إتمام الوفاء

في سيرة الخلفاء

تأليف المرحوم
الشيخ محمد الخضري بك المفتش بوزارة المعارف
ومدرس التاريخ الإسلامي بالجامعة المصرية

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

المطبعة العربية بمصر
شارع المزين بالموسكي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أوضح السبل وبلغ الرسالة كاملة والرضاء عن أصحابه الكرام البررة الذين اتبعوا نهجه القويم فدانت لهم الملوك وذلت لهيبتهم الامم

﴿ أما بعد ﴾ فيقول المرحوم محمد الخضري بن المرحوم الشيخ عفيفى الباجورى سألتنى وفقنى الله واياك أن أردف لك كتابى فى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الذى سميته « نور اليقين » بكتاب فيه تاريخ خلفائه الراشدين . اذ هم الذين ظهر الدين الاسلامي بأسمى مظاهره في أيامهم وتجلى فى أجمل حليتــه بأقوالهم وأفعالهم طالباً منى أن أنهج على سنن الـكتاب الاول فى سهولة التعبير والاجتهاد فى جمع ماتشتت من تاريخ هؤلاء السادة في مطولات الـكتب التى يمل القارىء منها ذاكراً أن من أعظم مايبث في الامة روح النشاط والاجتهاد أن تعـكف على دراسة تاريخ كبارها حتى تعرف كيف تغلبوا على المصاعب الجمة التى كادت تحول بينهم وبين أمانيهم العظيمة وتعرف النتيجة التي تعود من أتباع الدين والسير على نظاماته فعلمت حسن قصدك وصحة ايمانك وغيرتك على أمتك ورأيت أن أساعدك على مقصدك وأتغلب على المصاعب التى تحول بينى وبين هذا العمل الجسيم ، مستعيناً بالله سبحانه وتعالى وهو نعم العون وقد جعلت الـكتاب قسمين : (القسم الاول) فى

عصر اتحاد الكلمة وفيه الفتوحات الاسلامية في عهد الخليفتين ابى بكر وعمر وزمن غير قليل من زمن عثمان بن عفان رضى الله عنهم أجمعين وأتبعت هذا القسم بنبذة فى نظامات الامة الاسلامية اذ ذاك وسير المسلمين مع بعضهم من حسن الاخاء والسعى وراء تتميم ما أنبأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعميم الدين الاسلامي في مشارق الارض ومغاربها و(القسم الثاني) فى عصر الاختلاف والفتن وهو من أواخر مدة عثمان الى أن قتل على بن أبي طالب وسلم ابنه الحسن الخلافة الى معاوية رضى الله عنهم أجمعين وأتبعته بنبذة تظهر للمسلمين نتائج الاختلاف والفرقة ليكون الكتاب بعون الله درساً مفيداً لعامة المسلمين ﴿ وقدمت ﴾ أمام القسمين مقدمة صغيرة فى الخلافة وما يتعلق بها ولعل كتابى هذا يحل عند اخوانى المسلمين محل القبول فيقبلون عليه كما أقبلوا على سابقه واني بحمد الله واثق بحسن مسعاى لاني قصدت به وجه الله سبحانه أسأل به حسن الذخر في الاخرى وتوفيقا للمسلمين حتى تقوى شوكتهم وينزل الله النصر عليهم

وهذه هي الكتب التى استقيت منها في جمع كتابي هذا «١» صحيح ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى الجعفى في كثير من المواضع التي عنى فيها باخبار الصحابة رضى الله عنهم «٢» صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى كذلك «٣» تاريخ الرسل والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبرى الا ما كان من أمر صفين فاني لم أعثر على الجزء الذي يحتوي عليها «٤» تاريخ أبي الحسن على بن ابي الكرم محمد المعروف بابن الاثير الجزري «٥» تاريخ

عبدالرحمن بن خلدون المغربى «٦» تاريخ على بن الحسين المسعودى من ولد عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم «٧» احياء علوم الدين لابى حامد محمد بن محمد الغزالى «٨» سراج الملوك لابى بكر محمد بن محمد الفهرى الطرطوشي . وقد التزمت أن أنص لك على موضع النقل عند ماأرى ذلك لازما لما رأيت من حرصك على ذلك والله الموفق



المقدمة في الخلافة

معنى الخلافة

ارسل الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم بدين قويم وصراط مستقيم من اتبعه نجا ومن حاد عنه هلاك وقد اشتمل هذا الدين على قوانين بها صلاح المجتمع الانساني في الدنيا والاخرى فبلغ عليه الصلاة والسلام الرسالة كاملة ثم لحق بربه راضيا مرضيا فكان لابد للناس من أمام يخلفه في حمل الكافة على اتباع هذا الدين ليقف كل انسان عند حده فيتساوى القوي والضعيف والشريف والوضيع أمام الحق فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حراسة الدين وسياسة الدنيا

وجوب اقامة الخليفة

وقد أجمعت الامة الاسلامية بعد وفاة رسول الله صلي الله عليه وسلم على وجوب اقامة هذا الخليفة وتابعهم على ذلك من بعدهم من المسلمين ولم يشذ عن هذا الاجماع أحد اللهم الا بعضا من الخوارج والاصم من المعتزلة قالوا بالاستغناء عنه اذا صلحت الامة بان اتبعت الدين القويم فعملت بالكتاب والسنة والذى حملهم على ذلك انما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدنيا لما رأوا الشريعة ممتلئة بذم ذلك والنعي على أهله ومرغبة في رفضه

عدم تعدد الامام

وكذلك أجمع المسلمون على أنه لا يصح أن يكون لهم في عصر واحد خليفتان لما يجره ذلك من التنافس والتباغض اللذين هما سبب الخسران والوبال وكفى بما حصل للمسلمين منذ تفرقت كلمتهم وتعدد سلطانهم مانعا من ذلك فان عدوهم تمكن من أن يتصنع لأحدهم ليستعين به على الآخر فكان ملوك الروم يتقربون من ملوك الاندلس ليكونوا لهم رداء مانعاً من تعدى العباسيين عليهم وصارت الحال تتقهقر من سيء الى أسوأ حتى زمننا الذى نجتهد فيه للتقرب ممن يتمنون لنا الفناء والزوال ولو عرف ملوك الاسلام مصلحتهم وأزالوا الكبرياء من نفوسهم فتمسكوا بالدين ماوصلوا الى هذا الدرك الاسفل ، ان في ذلك لعبرة لاولى الالباب

صاحب الخلافة

منصب عظيم كمنصب الخلافة لا يستغرب تشعب الافكار فيه واختلاف الامة في الاحق به فقد مضت القرون والاحقاب وهذه المسألة شاغلة أفكار العلماء من أكابر المسلمين وأول خلاف ظهر فيها كان عقب وفاة رسول الله ﷺ فان الاصحاب كانوا في ذلك على ثلاثة مذاهب (قوم) قالوا انها ترجع لرأى الامة تختار من تشاء ليكون اماماً لها متى رأوا فيه القدرة على حراسة الدين وسياسة الدنيا لافرق في ذلك بين القرشى وغيره وكان هذا رأى أغلب الانصار من سكان المدينة رضوان الله عليهم ولذلك

طلبوها لانفسهم وأرادوا أن يبايعوا سعد بن عبادة سيد الخزرج وأخذ برأيهم من بعدهم عامة المعتزلة وأكثر الخوارج والحجة في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « اسمعوا وأطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشي ذو زبيبة » و (قوم) قالوا هي باختيار الامة أيضا ولكن لاتكون الا في قريش وكان هذا رأى أغلب المهاجرين رضوان الله عليهم وأخذ برأيهم من بعدهم عامة أهل السنة والحجة في ذلك ماروواه أبو بكر رضي الله عنه من قوله عليه الصلاة والسلام « الأئمة من قريش » و (قوم) رأوا أن الاولى بها قرابة رسول الله ﷺ والمقدم فيهم على بن أبي طالب رضي الله عنه لسابقته بالاسلام وحسن بلائه فيه وقوله عليه السلام له حينما خلفه على أهله في غزوة تبوك « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبوة بعدى » وكان هذا رأى أغلب بنى هاشم ومن شايعهم وأخذ برأيهم من بعدهم عامة الشيعة . والدليل على ان ذلك كان رأياً لعلى قوله لأبى بكر في حديث مسلم الآتي « وكنا نحن نرى لنا حقاً لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم » فلم يكن رضى الله عنه يرى لنفسه مرجحاً سوى هذه القرابة ولو كان هناك وصاية له أو لغيره لما خفيت عن أصحاب رسول الله ﷺ وقد تغلب الرأى الاوسط على ماسواه عقب وفاة رسول الله ﷺ ولكن ظهر لهذا الاختلاف في مستقبل الامة آثار لاتحمد من الشقاق العظيم والمصائب التى توالت على الامة حتى فرقت كلمتها وأضعفت أمرها ولو روعي السر الذي من أجله خصصت قريش بالخلافة لما كان هناك خلاف ولا فرقة

السر في تخصيص قريش بالخلافة

وانما خص رسول الله ﷺ قريشاً بخلافته اعتباراً للعصبية التي تكون بها الحماية ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن اليه الملة واهلها وينتظم حبل الألفة فيها ولا شك أن قريشاً كان لهم العز والشرف على سائر مضر، يعترف لهم بذلك سائر العرب فلو جعل الأمر في سواهم لتواقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة وهذا ماحذره الشرع أما اذا جعل فيهم فلا يحصل شيء من ذلك لانهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب لما يراد منهم فلا يخشى من أحد اختلاف عليهم ولا فرقة لانهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها .

قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه بعد كلام لايخرج عما ذكرناه « فاذا ثبت أن اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلمنا أن الشارع لايخص الاحكام بجيل ولاعصر ولا أمة علمنا أن ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهو وجود العصبية فاشترطنا فى القائم بامور المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك في الاقطار والآفاق كما كان في القرشية اذ الدعوة الاسلامية التى كانت لهم كانت عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا سائر الأمم وانما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة واذا نظرت سر الله في الخلافة لم تعد هذا لانه سبحانه

وتعالى انما جعل الخليفة نائباً عنه فى القيام بأمور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر الا من له قدرة عليه » اه

أقول ولا نعلم الآن عصبية كافية لحماية الامة أقوى من عصبية القائمين بامور المسلمين الآن وهم بنو عثمان بالقسطنطينية وفقهم الله للعمل بدينه القويم والسير بسيرة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين

شروط الخليفة

لا بد لمن يتولى هذا المنصب العظيم أن يكون جامعاً لشروط أربعة (١) العلم لأنه منفذ لاحكام الله تعالى ومتى كان جاهلا بها لا يمكنه تنفيذها (٢) العدالة لان الامامة منصب دينى ينظر في سائر الاحكام التى تشترط فيها العدالة فكانت أولى باشتراطها (٣) الكفاية بان يكون جريئاً على اقامة الحدود واقتحام الحروب بصيراً بها كفيلا بحمل الناس عليها عالماً بأحوال الدهاء قوياً على معاناة السياسة ليصلح له بذلك ما أسند اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وتدبير المصالح (٤) أن يكون سليم الحواس والاعضاء مما يؤثر فقدانه في الرأى والعمل ويلحق بذلك العجز عن التصرف لصغر أو أسر أو غيرهما

انتخاب الخليفة

قال الله تعالى فى سورة آل عمران مخاطباً لنبيه الكريم (وشاورهم فى الأمر) وهذا خطاب للأمة كلها فكانت الشورى بذلك أساساً للاعمال

العظيمة التى يعملها المسلمون وأجلها تنصيب الخليفة فلا تنعقد إلا بشورى المسلمين ورضاهم والمعتبر فى ذلك أهل الحل والعقد منهم وهم كبار الصحابة رضوان الله عليهم الذين امتازوا بكثرة الصحبة فاستنارت بصائرهم وعرفوا من يصلح للامة وهذا في العصر الاول وينزل منزلتهم فيما بعده من العصور من له سابقة خير فى الاسلام ولا يلزم اجماع ذوى الحل والعقد على المنتخب بل المعتبر الاغلبية وهى مازاد على نصف المجتمعين والحجة في ذلك عهد عمر فتى تم الرضا على واحد بايعوه على السمع والطاعة وعلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبهذه البيعة تجب على المسلمين طاعته وتنفيذ أوامره ماوافق منها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وليست الطاعة للامام في حياته فقط بل وبعد وفاته فاذا عهد لاحد من المؤمنين بالخلافة انعقدت له ووجبت مبايعته فصار واجب الطاعة وقد فعل ذلك أبو بكر لعمر رضي الله عنهما فأجازه المسلمون .واذا حصر الشورى في عدد مخصوص من ذوي الحل والعقد أجيز ذلك وصح انتخابهم كما فعل عمر مع عثمان رضى الله عنهما وهذه الكيفيات الثلاث فى انتخاب الامام وهي انتخابه بالشورى العامة أو الخاصة التى يختارها الامام السابق أو ولاية العهد هى الكيفيات التي عمل بها في العصر الاول وبقيت كيفية رابعة أقر العلماء بعد العصر الاول على انعقاد الامامة بها وهى كيفية التغلب وتكون حينما لا يكون للمسلمين امام واختلفوا فيما بينهم فلم يرضوا واحدا منهم فيجوز لمن يعرف من نفسه القدرة على سياسة الامة بدرايته وعصبيته أن يطلب هذا الامر فيدخل

الناس في طاعته إما طوعا وإما كرهاً ومتى هدأت الاحوال وأجيب نداؤه صارت خلافته معمولا بها وصار واجب الطاعة

طاعة الامام

قال الله تعالى في سورة النساء (يأأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وقال رسول الله ﷺ (اسمعوا وأطيعوا وان تأمر عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة) وقال عليه السلام (من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعنى ومن يعص الامير فقد عصاني) وقال عليه السلام لابى هريرة (عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك) والاثرة هى الاستئثار بالحقوق وقال عليه السلام (لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاستمعوا له وأطيعوا) وقال أبو ذر رضى الله عنه (أوصانى خليلي أن اسمع وأطيع وان كان عبدا مجدع الاطراف) وفي حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وأن لا ننازع الامر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كان لا نخاف فى الله لومة لائم) وفي رواية (بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ولا ننازع الامر أهله الا أن تروا كفراً بواحا) والبواح الظاهر المكشوف الذي لا تأويل فيه

مخالفة الامام

وهذه الطاعة محدودة بما حده الشرع فاذا أمر بما يطبق على قواعد الدين ولا يخالف صريح القرآن ولا السنة الظاهرة المكشوفة فأمره مطاع واجب التنفيذ وكذلك اذا كان باجتهاد من عنده استند فيه لكتاب أو سنة أما اذا أمر بما خالف صريح القرآن أوالسنة فلا طاعة له قال رسول الله ﷺ (لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق) وقال عليه السلام (فاذا أمرت بمعصية فلا سمع ولا طاعة) كما اذا أمر بشرب خمر أوترك صلاة مثلا فيجب على المرء المسلم أن لاينفذ أمره بل ينفذ أمر الله لا يخاف فيه لومة لائم

منابذة الامام

أما اذا خرج هو فى أعماله عن حد الشرع بان ظلم أو استأثر بالحقوق أو فسق بشرب خمر أو ترك صلاة مثلا فالواجب على المسلمين القيام بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر لاتأخذهم في ذلك لومة لائم عملا بحديث عبادة (وعلى أن نقول الحق أينما كان لانخاف فى الله لومة لائم) بشرط أن لايؤثر ذلك فى طاعته شيئا فلا يجوز الخروج عليه واشهار السلاح في وجهه أبداً مهما استأثر أو فعل الا اذا ظهر منه كفر صريح لا تأويل فيه ففي حديث عبادة (ولا تنازع الامر أهله الا أن تروا كفراً بواحا) وهنا لا امامة له ولا طاعة بل يجب على كل مسلم القيام ضده حتى يبوء بالخزي والنكال وقد كان أكثر الصحابة الذين فى عهد يزيد على هذا المبدأ فلما شهر يزيد بما شهر به

لم يجزأحد منهم الخروج عليه الا الحسين بن علي رضي الله عنه فانه رأى لنفسه ذلك لأهليته التي لا يماري فيها وشوكته التي لم تكن بالحادة فلم يتمكن مما أراد رحمه الله وقدعذله على خروجه أخوه محمد بن الحنفية وابن عمه عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير فلم يرض لنصحهم لأمر أراده الله. وقد كان في ذلك العصر كثير من الصحابة بالحجاز والشام والبصرة والكوفة ومصر وكلهم لم يخرج على يزيد لا وحده ولا مع الحسين ولم يقاتلوا مع يزيد أيضاً بل اعتزلوا هذه الفتنة ولعل الحسين رضي الله عنه تأول قوله تعالى «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» وساعد على ذلك أن أرسل له سراة أهل العراق يطلبونه لمبايعته فرأى ذلك له مع قرابته من رسول الله ﷺ فكان ما كان

جزاء المحاربين

الامام خليفة رسول الله ﷺ فمن عصاه فقد عصى الرسول ومن عصى الرسول فقد عصى الله ومن حارب الامام فقد حاربهما وأجدر بمن حارب الله ورسوله ان يبوء باثم عظيم وقد بين الله سبحانه وتعالى جزاء المحاربين في سورة المائدة قال تعالى « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم » فجعل المحارب اربعة انواع محارب قتل فجزاؤه القتل ومحارب قتل وسرق فجزاؤه

الصلب ومحارب سرق فجزاؤه القطع ومحارب اخاف السبيل فجزاؤه النفى . والذى حدد هذه الانواع السنة المطهرة . وقال بعض الفقهاء انه لا توزيع فى هذه العقوبات وللامام الخيار في الحكم بأي واحـدة منها حسبما يراه من المصلحة وان كانت له فئة يرجعون اليها كانوا بغاة ولهم احكام تذكرفي كتب الفقه . ثم ذكر سبحانه ان من تاب من قبل القدرة عليـه فقد عفا الله عنه ولذلك يلزم الامام ان يدعوهم الى طاعته قبل ان يبدأهم بالقتال وقد فعل ذلك علي بن أبي طالب مع من خرج عليه من الحروريين وأرى ان قليلا ممن خرج على الأئمة فى العصور السابقة لهم مقاصد دينية والغالب عليهم المقاصد الذاتية النفسانية ولذلك قلما رأينا منهم من نجح لأن سنة المصطفي ﷺ هي النور التى يستضيء به كل مسلم وهي قد حرمت الخروج تحريماً شديداً مخافة تفريق المسلمين وتشتيت كلمتهم

واجبات الامام

قد علمنا أن وظيفة الامام هى حراسة الدين وكفاية الامة فالواجب عليه اذاً أن يكون الشرع قائده لاينحرف يمنة ولا يسرة عما جاء في كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة رسوله ﷺ العادلة الصحيحة واجماع أئمة المسلمين فى العصر الأول فان فعل ذلك واهتدى بهدى من هو خليفة عنه وهدى خلفائه الراشـدين كانت مرتبته مرتبة الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وكان من الذين يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وأما ان انحرف وحاد واتبع شهواته النفسانية فهناك

يكون الوعيد الشديد والعقاب الاليم قال عليه الصلاة والسلام « ما من امريء يلى امر المسلمين ثم لم يجتهد لهم وينصح الا ويدخل الجنة معهم » وقال عليه السلام « ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة » وقال عليه السلام « من ولى من أمر المسلمين شيئا ثم لم يحطهم بنصيحة كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار » الى غير ذلك من الاحاديث التى كلها تحذير للأئمة كيلا تهوى بهم أعمالهم في الدرك الأسفل من النار نعوذ بالله من ذلك . اللهم ألهم ولاة أمورنا الرشد وبين لهم السداد ليقتدوا بسيرة نبيك ﷺ سيد الانبياء وسيرة خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين.



القسم الاول من الكتاب

خلافة أبي بكر

لما لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الاعلى اجتمع أصحابه من مهاجرين وأنصار فى سقيفة بني ساعدة لاقامة خليفة له وكان الانصار أهل المدينة يريدونها لانفسهم لما لهم من نصرة رسول الله ﷺ وايوائه بطيبتهم ولا يرون اختصاص قريش بالخلافة فلما حجهم ابو بكر رضى الله عنه بقوله عليه الصلاة والسلام « الائمة من قريش » أصاخوا له وتركوا ماذهبوا اليه من أحقيتهم بالخلافة لان المخالف مادام حائداً عن الهوى سهل ارجاعه الى الحق وهؤلاء كانوا أجلة أصحاب رسول الله ﷺ فلا يهمهم الاضم كلمة المسلمين ولم شعثهم غير ناظرين الى الدنيا وزخارفها (وكان) بنو هاشم يريدونها لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه لما يرون من أحقيته بالخلافة لقرابته من رسول الله ﷺ ولكن الرأي الغالب كان مع أبى بكر رضوان الله عليه لان رسول الله ﷺ خلفه فى الصلاة وقت مرضه فقال المؤمنون قد رضيه ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا فبويع بها لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول من السنة الحادية عشرة وأول من بايعه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يبايع على بن ابى طالب الا بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها . وفي مسلم عن عائشة

رضى الله عنها ان فاطمة بنت رسول صلى الله عليه وسلم ارسلت الى ابى بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما افاء الله عليه بالمدينة وفدك (قرية بخيبر) وما بقي من خمس خيبر فقال ابو بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يورث ما تركناه صدقة انما يأكل آل محمد من هذا المال واني والله لا اغير شيئا من صدقة رسول الله صلى عليه وسلم عن حالها التي كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعمل فيها الا بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أبو بكر أن يدفع الى فاطمة شيئا فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك قال فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها وكانت لعلي من الناس وجهة حياة فاطمة فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الاشهر فارسل الى أبي بكر ان ائتنا ولا يأتنا معك احد كراهية محضر عمر بن الخطاب فقال عمر لابي بكر والله لا تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر وما عساهم أن يفعلوا بي والله لآتينهم فدخل عليهم أبو بكر فتشهد علي بن ابى طالب ثم قال انا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله ولا ننفس عليك خيراً ساقه الله اليك ولكنك استبددت علينا بالامر وكنا نحن نرى لنا حقا لقرابتنا من رسول الله ﷺ فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبي بكر فلما بكى أبو بكر قال لقرابة رسول ﷺ أحب أن أصل من قرابتي وأما الذى شجر بيني وبينكم من هذه الاموال فاني لم آل فيها عن الحق ولم أترك أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه الا صنعته فقال لابى بكر موعدك العشية

للبيعة فلما صلى أبو بكر صلاة الظهر رقي على المنبر فتشهد وذكر شأن على وتخلفه عن البيعة وعذره بالذى اعتذر اليه ثم استغفر وتشهد على بن أبى طالب فعظم شأن أبي بكر وانه لم يحمله على الذى صنع نفاسة على ابى بكر ولا انكار للذى فضله الله به ولكنا كنا نرى لنا فى الامر نصيبا فاستبد به فوجدنا فى أنفسنا فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت وكان المسلمون الى على قريبا حين راجع الأمر بالمعروف. ولما قضى الأمر ببيعة ابي بكر صعد المنبر فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه (أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينونى وان صدفت فقومونى، الصدق امانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه والقوى فيكم ضعيف عندى حتي آخذ الحق منه (ان شاء الله لا يدع أحد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل أطيعونى ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله)

ترجمة أبي بكر

هو أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر التيمى القرشى يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. ولد رضى الله عنه لسنتين من ميلاد رسول الله ﷺ وشب على الاخلاق الفاضلة والسيرة الكريمة وكان ذا يسار يحمل الكل ويكسب المعدوم وكان مصاحبا لرسول الله ﷺ قبل النبوة فلما

شرف الله محمدا برسالته كان أبو بكر أول رجل اجابه حتي قال عليه السلام «ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت له كبوة غير ابى بكر» ثم قام بدعوة اخوانه وأصدقائه من قريش الى هذا الدين فاجابه جمع منهم عثمان بن عفان والزبير ابن العوام وطاحة بن عبيد الله وغيرهم ولما آذى المشركون من أسلم من عبيدهم كان لأبى بكر اليد الطولى فى شرائهم وعتقهم ابتغاء وجه ربه الأعلى، منهم بلال بن رباح وعامر بن فهيرة وغيرهما. وقد أراد الهجرة الى الحبشة مع من هاجر فمنعه من ذلك ابن الدغنة سيد القارة وقال مثل ابى بكر لايخرج وجعله فى حمايته فأقام أبو بكر على ذلك زمنا ثم ترك هذه الحماية راضيا بحماية الله سبحانه وتعالى اذ لايليق بالمسلم القوى الايمان أن يرضى بحماية غير الله جل جلاله. ولما أذن الله لنبيه صلي الله عليه وسلم فى الهجرة الى المدينة كان له شرف الصحبة بنص القرآن الشريف قال تعالى فى سورة التوبة « اذ يقول لصاحبه لاتحزن أن الله معنا » وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنته عائشة وسنها اذ ذاك سبع سنوات وبنى بها وهو في المدينة وسنها تسع سنوات. وشهد أبو بكر مع رسول صلى الله عليه وسلم مشاهده كلها وكان يحمل رايته العظمى فى آخر غزواته وهي غزوة تبوك. وأمره عليه السلام أن يحج بالمسلمين فى السنة التاسعة ولما مرض عليه السلام أمره أن يصلى بالناس وهذه اعظم إشارة لاستحقاقه الخلافة من بعده. وكان له من الولد عبد الله الذى جرح بالطائف وتوفى فى أول خلافة أبيه وأسماء زوج الزبير بن العوام وأم عبدالله بن الزبير وله عبد الرحمن وأم المؤمنين عائشة ومحمد الذى ولى مصر فى مدة على بن أبى طالب وقتل بها وأم كلثوم

التي ولدت له بعد وفاته . وكان رضى الله عنه أبيض خفيف العارضين أحنى لا يتمسك ازاره معروق الوجه « قليل لحمه » نحيفا أقنى غائر العينين يخضب بالحناء والكتم . ولما تولى الخلافة كان منزله بالسنح وهو محلة خارج المدينة فكان يأتيها كل يوم ماشيا وربما ركب فرسه ثم انتقل الى المدينة بعياله بعد ستة أشهر من خلافته وترك تجارته التى كان ينفق منها على عياله وقال ما تصلح الناس أمور التجارة وما يصلح لهم الا التفرغ والنظر فى شأنهم وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه وعياله يوما بيوم وكان يحج ويعتمر ثم فرضت له الامة شيئاً معلوما يقوم بكفايته وقدره ستة آلاف درهم سنويا. ومن مآثره رضى الله عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه « أن من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الاسلام ومودته لا يبقين فى المسجد بابا الا سد الا باب أبى بكر » وجاءت أمرأة الى النبى صلى الله عليه وسلم فامرها ان ترجع اليه قالت أرأيت أن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت قال صلى الله عليه وسلم « ان لم تجدينى فأتى أبا بكر » وحدث أبو الدرداء قال كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى ابدى عن ركبتيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما صاحبكم فقد غامر (الق بنفسه في الشدة) فسلم وقال يارسول أنه كان بينى وبين أبن الخطاب شىء فاسرعت فى الحال اليه ثم ندمت فسألته أن يغفرلى فأبى على فأقبلت اليك فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا ثم أن عمر قدم فأتى منزل أبى بكر فسأل أثم ابو بكر فقالوا لا فأتى النبى ﷺ فسلم عليه فجعل وجه النبى صلى الله عليه وسلم يتمعر « يتغير غيظا »

حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال يارسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وواساني بنفسه وماله فهل انتم تاركو لى صاحبي مرتين » فما اوذى بعدها

اعماله فى خلافته

اول عمل بدأ به أبو بكر تسيير جيش اسامة بن زيد الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم جهزه الى ابنى ولم يثنه عن ذلك ماحصل من الاضطرابات فى بلاد العرب عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وقد طلب بعض كبار الانصار على لسان عمر بن الخطاب من ابي بكر ان يولى امارة الجيش رجلا اسن من اسامة فغضب ابو بكر حتى قام وقعد وقال يا عمر استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني ان اعزله ثم خرج رضى الله عنه وشيع الجيش بنفسه ماشياً واسامة راكب فقال له اسامة ياخليفة رسول الله لتركبن اولا نزلن فقال والله ما نزلت ولا ركبت وما على ان اغبر قدمي ساعة فى سبيل الله فان للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وستمائة سيئة تمحي عنه ثم وصاه هو واصحابه فقال (لاتخونوا ولا تغدروا ولاتغلوا ولاتمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا تعزقوا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا للأكل واذا مررتم بقوم فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم لهواذا لقيتم قوماً فحصوا أوساط رؤسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاضربوا بالسيف مافحصوا عنه فاذا قرب عليكم الطعام

فاذكروا اسم الله. يا أسامة اصنع ما أمرك نبي الله ببلاد قضاعة ثم انت قافل ولا تقصر من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ودعه من الجرف ورجع (والجرف موضع قرب المدينة) ورغب اسامة من عمر بن الخطاب التخلف عن هذا البعث والمقام مع ابى بكر شفقة من ان يدهمه امر فاذن ابو بكر لعمر في ذلك وسار أسامة حتى انتهى لما امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث الجنود الى بلاد قضاعة (وكان لبنى قضاعة ملك ما بين الشام والحجاز الى العراق فى أيلة وجبال الكرك الى مشارف الشام واستعملهم الروم على بادية العرب هنالك وكان اول الملك فيهم فى تنوخ منهم ثم غلبهم عليه بنو سليح وكانت رياستهم فى ضجعم بن سعد منهم ثم غلبهم على هذا الملك بنو غسان الذين جاؤهم من اليمن فصار ملك العرب بالشام لبنى جفنة الذين مدحهم حسان بن ثابت) واغار اسامة على أبنى فسبى وغنم ورجع الى المدينة ظافراً بعد ان غاب عنها اربعين يوما وكان انفاذ هذا الجيش من اعظم الامور نفعاً للمسلمين فان العرب قالوا لولم يكن بهم قوة لما ارسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا عزموا عليه

اخبار الردة

(منى الاسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصيبة عظمى لولم تتداركها حكمة أبى بكر رضى الله عنه لضعف الدين وتشتت شمل المسلمين فان العرب ما لبثت بعد ان علمت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتدت ولم يبق أحد متمسكا بدينه منهم الا قريشا بمكة وثقيفا بالطائف

وقليلا من غيرهم وكان الناس في ذلك على قسمين فنهم التارك للدين بالمرة وهم بنو طي وأسد ومن تبعهم من غطفان الذين اتبعوا طليحة بن خويلد الاسدى وبنو حنيفة الذين اتبعوا مسيلمة واهل اليمن الذين اتبعوا الاسود العنسى وكثير غيرهم ومنهم المعطل للزكاة وهم بعض بنو تميم الذين يرأسهم مالك ابن نويرة وبنو هوازن وغيرهم وكان من رأى أبي بكر رضي الله عنه قتال مانعي الزكاة كما يقاتل المرتدون لان تعطيل الزكاة طعن على الصلاة بل على جميع منازل الدين فقال له عمر بن الخطاب يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله فمن قال لا إله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله » قال أبو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت أن قد شرح الله صدر ابي بكر للقتال فعلمت أنه الحق» (رواه البخاري) فشمر رضي الله عنه عن ساعد الجد غير مبال بهذه الاهوال الجسام مع قلة جيشه وكثرة عدوه واثقا بوعده سبحانه وتعالى في قوله « أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وها نحن نسوق لك حروب الردة لتعرف كيف ينجح الانسان اذا اعتمد على ربه واستسهل الصعاب وليعلم المسلمون كافة فعل خليفتهم الأول عند ما كان المسلمون كالغنم في الليلة الممطرة لقلتهم وكثرة عدوهم واظلام الجو بفقد نبيهم

خبر عبس وذبيان

أقام أبو بكر ينتظر جيش اسامة فعاجلته عبس وذبيان ومنازلهم بنجد مما يلي وادي القرى وجبل طيء فنزل بعضهم بالابرق ونزل آخرون بذى القصة (موضعان شمالى المدينة الغربي جهة نجد) واجتمع معهم جماعة من بني أسد ومن انتسب اليهم من كنانة وبعثوا وفداً لابي بكر يطلبون الاقتصار على الصلاة دون الزكاة فأبى أبو بكر وردهم خائبين وخشي على المدينة من البيات فجعل على انقابها عليا وطلحة والزبير وعبد الله بن مسعود وأمر أهل المدينة بلزوم المسجد فلما رجع وفد مانعي الزكاة الى قومهم اطمعوهم في المدينة لقلة من فيها فأغاروا عليها فارسل من بالانقاب الى أبي بكر فخرج بالمسلمين على النواضح « الابل التي يسقى عليها » فهرب العدو وتبعهم المسلمون الى ذى خشب (واد بقرب المدينة) فخرج عليهم ردء للعدو بقرب قد نفخوها وفيها الحبال ثم دهدهوها (دحرجوها) علي الارض فنفرت ابل المسلمين ورجعت بهم الى المدينة ولم يصرع أحد منهم بفضل الله ثم خرج أبو بكر ايلا على بقية وبيت الاعداء فلم يشعروا الا والمسلمون على رؤوسهم ولم تطلع الشمس الا وقد ولوا الادبار فتبعهم أبو بكر حتى وصل ذا القصة فترك بها النعمان بن مقرن ورجع الى المدينة وحينذاك قدم أسامة ابن زيد من غزوته فاستخلفه أبو بكر على المدينة وترك معه جنده ليستريحوا وخرج هو قاصدا ذا خشب وذا القصة ثم سار حتى نزل على أهل الربذة فقاتل من هناك من المرتدين وهزمهم ثم غلب على بلاد ذبيان وجعلها حمي

لدواب المسلمين ثم رجع الى المدينة حتي اذا استراح جيش اسامة وثاب من حوالى المدينة خرج الى ذى القصة فعسكر بها وعقد أحد عشر لواء لأحد عشر قائد

تسيير الجيوش الى اهل الردة

(١) سيف الله خالد بن الوليد ووجهه الى طليحة بن خويلد الاسدى فاذا فرغ منه قصد مالك بن نويرة بالبطاح (٢) عكرمة ابن أبي جهل ووجهه الى مسيلمة باليمامة (٣) شرحبيل بن حسنة ووجهه فى أثر عكرمة (٤) المهاجر بن أبى امية ووجهه الى جنود العنسى ومعاونة الابناء (قوم من الفرس سكنوا اليمن) ثم يمضى الى كندة (٥) حذيفة بن محصن الغلفانى ووجهه الى اهل دبا (٦) عرفجة بن هرثمة ووجهه الى اهل مهره وأمر هذا ومن قبلة أن يجتمعا وكل واحد أمير علي صاحبه في عمله (٧) سويد بن مقرن ووجهه الى تهامة اليمن (٨) العلاء بن الحضرمي ووجهه الى البحرين (٩) طريفة بن حاجز ووجهه الى بني سليم ومن معهم من هوازن (١٠) عمرو ابن العاص ووجهه الى قضاعة (١١) خالد بن سعيد بن العاص ووجهه الى مشارف الشام

كتاب ابي بكر للامراء

وكتب للامراء عهدا هذه صورته

﴿ بسم الرحمن الرحيم ﴾ هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الاسلام

وعهد اليه ان يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وجهره وأمره بالجد فى أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام الى أماني الشيطان بعد أن يعذر اليهم فيدعوهم بدعاية الاسلام فان اجابوه أمسك عنهم وأن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتي يقروا له ثم ينبئهم بالذى عليهم والذي لهم فيأخذ ماعليهم ويعطيهم الذى لهم لاينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم فمن اجاب الى أمر الله وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف وانما يقاتل من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله فاذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به ومن لم يجب الى داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمة لا يقبل الله من أحد شيا مما أعطى الا الاسلام فمن أجابه وأقر قبل منه وأعانه ومن قاتله فان أظهره الله عليه عز وجل قتلهم فيه كل قتلة بالسلاح والنيران ثم قسم ما أفاء الله الا الخمس فانه يبلغناه ويمنع أصحابه العجلة والفساد وان لايدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ماهم لئلا يكونوا عيونا ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم وان يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولايعجل بعضهم عن بعض ويستوصى بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول)

وكتب الى المرتدين جميعهم كتبا صورتها واحدة وهذا نصها

كتب ابي بكر الى المرتدين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من ابي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من بلغه كتابي هذا من عامة أو خاصة أقام على الاسلام أو رجع

عنه سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والهوى فانى أحمد الله اليكم الذى لا اله الا هو واشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له. وأن محمدا ﷺ عبده ورسوله وأؤمن بما جاء به (أما بعد) فان الله ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق من عنده الى خلقه بشيراً ونذيراً وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين يهدي الله للحق من اجاب اليه وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم باذنه من ادبر عنه حتي صار الى الاسلام طوعا او كرها ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لامر الله ونصح لامته وقضى الذى عليه وكان الله قد بين ذلك لاهل الاسلام فقال (انك ميت وانهم ميتون) وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفائن مت فهم الخالدون) وقال للمؤمنين (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزى الله الشاكرين) فمن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن يعبد الله وحده لا شريك له فان الله بالمرصاد حى قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم حافظ لأمره منتقم من عدوه بجزيه وأنى أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله وما جاء به نبيكم وان تهتدوا بهديه وان تعتصموا بدين الله عز وجل فان من لم يهد الله ضل وكل من لم يعرفه مبتلى وكل من لم ينصره مخذول فمن هداه الله كان مهديا ومن أضله كان ضالا (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتي يقر به ولم يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه

بعد أن أقر بالاسلام وعمل به اغتراراً بالله عز وجل وجهالة لامره واجابة للشيطان وقال جل ثناؤه (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) وقال جل ذكره ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) واني قد انفذت لكم خالد بن الوليد في جيش من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وامرته ان لا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله فمن استجاب واقر وكف وعمل صالحاً قبل منه واعانه عليه ومن ابى ان يقاتله على ذلك ولا يبقي على احد منهم قدر عليه وان يحرقهم بالنيران ويقتلهم كل قتلة ويسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد الا الاسلام فمن آمن فهو خير له ومن تركه فان يعجز الله وقد امرت رسولي ان يقرأ كتابي في كل مجمع لكم والداعية الاذان فان اذن المسلمون فاذنوا كفوا عنهم وان لم يؤذنوا فاسألوهم بما عليهم فان ابوا عاجلوهم وان اقروا قبل منهم وحملهم على ماينبغي لهم) وسير هذه الكتب قبل مسير الامراء ثم خرجت الامراء معهم العهود كل الى وجهته والله ناصره

خبر طليحة

كان طليحة بن خويلد الاسدي رجلا كاهنا ادعي النبوة في حياة رسول الله ﷺ فتبعه افاريق من بني اسرائيل ونزل سميراء من بلاد بني اسد شرقي نجد مما يلي العراق فبعث رسول الله ﷺ ضرار بن الازور الاسدي

لمقاتلته فسار اليه ولما هم بمناجزته جاءت الاخبار بوفاة رسول الله ﷺ فاستطار امر طليحة واجتمعت اليه غطفان وهوازن وطيء فرجع ضرار الى المدينة وحينئذ سير ابو بكر خالد بن الوليد اقتال طليحة ومن معه وكان فى جيش خالد عدى بن حاتم الطائي فاستأذن خالدا فى ان يتعجل حتى يدعو قومه بني طيء الى الرجوع لدين الله فسار اليهم ودعاهم فأجابوه لذلك وتركوا طليحة وانضموا الى جيش المسلمين ودعا عدى ايضاً من مع طليحة من بني جديلة فأجابوه ثم سار خالد حتى التقي بالمرتدين ببزاخه فقاتلهم قتالا شديدا . ولما راى طليحة ان لا قبل له بالحرب هرب هو وزوجته على فرسين كان قداعدهما لذلك ولحق بالشام فانهزم جيشه . وقد اسلم طليحة بعد ذلك حينما علم باسلام بني اسد وغطفان وله ذكر جميل فى فتح العراق ثم اجتمعت قبائل غطفان الى سلمى بنت مالك بن حذيفة بالحوأب وكانت سلمي هذه قد سبيت في مدة رسول الله ﷺ واعتقتها ام المؤمنين عائشة وقال لها عليه السلام يوما وقد دخل عليها وهي في نسوة في بيت عائشة ان احداكن تستنبح كلاب الحوأب فكان فعلها هذا مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام (عن ابن خلدون) ولما علم بذلك خالد سار اليها وقاتل جيشها وهي راكبة على جمل قتل دونه نحو مائة رجل ثم قتلت هي ايضا فانهزم جيشها

اما بنو عامر فانهم لما راوا ما حل باسد وغطفان اتوا خالدا وقالوا ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله فقبل منهم وبايعهم على ان يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاه ويبايعوا على ذلك ابناءهم ونساءهم . ثم طلب من احدثوا حدثا

في الاسلام فأتي بهم وجازاهم بمثل مافعلوا . (اما) بنو سليم فقدكان الفجاءة ابن عبد ياليل سار الى أبي بكر وطلب منه المعونة ليقاتل اهل الردة فاعطاه ابو بكر وأمره فلما رجع الى قومه ارتدوا وارسل نجبة ابن المثنى ليشن الغارة على المسلمين فسار اليه طريفة بن حاجز احد امراء جيوش الردة وقاتله فقتل نجبة وهرب الفجاءة فأدرك وارسل الى أبي بكر فقتله ورجعت بنو سليم للاسلام

خبر مالك بن نويرة

كان رسول الله ﷺ قد أمر على بني تميم خمسة أمراء وهم الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم وصفوان ابن صفوان وسبرة بن عمرو ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة فلما توفي عليه السلام سير الزكاة الى ابي بكر صفوان بن صفوان والزبرقان بن بدر ومنعها قيس بن عاصم ومالك بن نويرة فقام من بقي على اسلامه في وجه من ارتد ومنع الزكاة وبينما هم على اختلافهم اذجاءتهم امرأة اسمها سجاح من ارض الجزيرة ثم من بني تغلب وكانت نصرانية فلما توفي رسول الله ﷺ ادعت النبوة فتبعها كثير من أوباش العرب فقصدت بهم غزو أبي بكر فلما وصلت بلاد تميم (وكانت منازلهم بارض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة) ارسلت الى مالك بن نويرة تطلب موادعته فوادعها وردها عن غزو المدينة وأغراها على المسلمين من تميم ففروا أمامها أما هي فسارت تريد المدينة حتى بلغت النباج (قرية بالبادية) فاعترضها قوم من تميم فحاربوها وأسروا بعض رجالها ثم تحاجزوا على أن تطلق أسراهم

ويطلقوا أسراها وترجع فلا تجتاز عليهم فيئست بذلك من الذهاب الى المدينة وانقلبت تريد اليمامة . أما بنو تميم فانهم راجعوا الاسلام وندموا على مافعلوا الا مالك بن نويرة فانه ظل متحيراً واجتمع اليه قومه بالبطاح فسار اليه خالد بعد ان انتهى من أمر طليحة فلما علم مالك بمسيره امر قومه فتفرقوا في المياه فبث خالد السرايا في أثرهم فأتى بكثير منهم اسرى وبينهم مالك بن نويرة فامر بقتلهم وتزوج امرأة مالك . وقد نقم عليه عمر بن الخطاب قتل مالك وزواج امرأته لأن جماعة شهدوا عنده ان مالكا كان قد راجع الاسلام فطلب من أبي بكر ان يقتص منه فقال أبو بكر تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فاني لا أشيم سيفاً سله الله على الكافرين

خبر مسيلمة

كان بنو حنيفة ممن وفدوا على رسول الله ﷺ في حياته وفيهم مسيلمة بن ثمامه أحد بني عدى بن حنيفة فلما ورد المدينة جعل يقول ان جعل لي محمد الامر من بعده تبعته فاقبل اليه النبي ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي ﷺ قطعة جريد حتي وقف على مسيلمة في اصحابه وقال لو سألتني هذه القطعة ماعطيتكها ولن اتعدي أمر الله فيك وان ادبرت ليعقرنك الله واني لاراك الذى اريت فيك ماأريت وهذا ثابت يجيبك عني ثم انصرف فسأل ابن عباس أبا هريرة عما رآه النبي ﷺ فقال ان النبي ﷺ قال بينا انا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحى

الي فى المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى فكان أحدهما العنسى صاحب صنعاء والآخر مسيلمة صاحب اليمامة (رواه مسلم) فلما رجع مسيلمة ومن معه الى منازلهم (وهي اليمامة بين نجد والبحرين كالحجاز بين نجد وتهامة) ادعى مسيلمة النبوة وانه اشرك مع محمد في الامر فاتبعه قومه وكتب الى رسول الله ﷺ من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله . سلام عليك فاني قد اشركت في الامر معك وان انا نصف الارض ولقريش نصف الارض ولكن قريش قوم لايعدلون . فكتب اليه رسول الله ﷺ « من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب . سلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » قال الطبري وذلك بعد منصرف رسول الله ﷺ من حجة الوداع فلما توفي عليه السلام عقد ابو بكر لواء لعكرمة بن أبي جهل وسيره لقتال مسيلمة وسير على أثره شرحبيل بن حسنة مدداً له فلم ينتظر عكرمة مدده حتي يكون اجتماعهما أشد على عدوهما بل تعجل ليكون له الفضل خاصة فتقدم ولاقى جيش مسيلمة فنكب ولما علم بذلك أبو بكر غضب عليه ونهاه عن العودة الى المدينة وأمره باللحاق الى اليمن ليكون مع حذيفة وعرفجة على قتال اهل مهرة فاذا انتهوا سار الى المهاجر بن أبي أمية لقتال جنود الاسود العنسي . وبعث ابو بكر خالد بن الوليد يأمره بالمسير الى مسيلمة وأمده بجيش كثيف من المهاجرين والانصار وأرسل الي شرحبيل يأمره بانتظار خالد حتي يجتمعا على جنود مسيلمة التى تبلغ عدتها أربعين الفاً فلما علم مسيلمة وبنو حنيفة بدنو خالد خرجوا فعسكروا

في منتهى ريف اليمامة واستنفروا الناس فنفر اليهم عدد كثير فتقدم خالد وعلى مقدمته شرحبيل ولما كان على ليلة من معسكر بنى حنيفة التقى بسرية منهم راجعة من بلاد بني تميم وعامر لادراك ثأر لهم وعليهم مجاعة بن مرارة من سادات بني حنيفة فأمر بهم خالد فقتلوا الا مجاعة فانه استبقاه لشرفه ثم سار خالد حتى التقى بجيش المرتدين فتقاتل الفريقان قتالا شديداً ولما حمى القتال انكشف المسلمون بادىء الامر حتى وصل المرتدون الى فسطاط خالد وأرادوا أخذ زوجته فمنعهم من ذلك مجاعة وقال نعم الحرة هي . ثم تداعى المسلمون وأنزل الله عليهم سكينته فحمل خالد في الناس حتى رد المشركين الى أبعد ما كانوا وتذامر بنو حنيفة وقاتلوا قتالا شديداً فعلم خالد ان رحى الحرب تدور على مسيلمة فطلبه لابراز فبرز اليه فلما اشتد عليه الامر أدبر وزال أصحابه فنادى خالد في المسلمين فحملوا حتى هزموا المرتدين شر هزيمة فتحصنوا في بستان لمسيلمة كان يسمى حديقة الرحمن فقال البراء بن مالك أحد شجعان الانصار ألقوني عليهم في الحديقة فألقوه عليهم فقاتل عن الباب حتى فتحه فدخله المسلمون واكثروا القتل في بنى حنيفة حتى قتل مسيلمة واشترك في قتله وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب ورجل من الانصار فانهزم بنو حنيفة وركبهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقال مجاعة لخالد والله ماجاءك الا سرعان الناس وان جماهيرهم لفي الحصون فهلم أصالحك على قومي وقد كان خالد التقط من دون الحصون من نساء وصبيان ومال فقال مجاعة أصالحك على مادون النفوس وانطلق كأنه يشاورهم فافرغ السلاح على

النساء ووقفهن بالاسوار ثم رجع اليه وقال ابوان يجيزوا ذلك فنظر خالد الى الحصون فوجدها ممتلئة بالجيوش والمسلمون قد نهكتهم الحرب وقتل من الانصار مايذيف على ثلاثمائة وستين من المهاجرين ومثلهم ومن التابعين لهم مثلهم أو يزيدون وقد فشت الجراحات فيمن بقى فجنح للسلم فصالحه على الصفراء والبيضاء ونصف السبي والسلاح وحائط ومزرعة من كل قرية فأبوا فصالحهم على الربع فصالحوه وفتحت الحصون فلم يجد بها خالد الا النساء والمستضعفين فقال لمجاعة خدعتني فقال قومي ولم استطع الا ماصنعت وبعد هذا الصلح جاءه كتاب من أبي بكر يأمره فيه بقتل كل محتلم فوفى لهم بصلحه ولم يغدر ثم أرسل وفداً منهم لابي بكر باسلامهم فلقيهم وسألهم عن اسجاع مسيلمة فقصوها عليه فقال سبحان الله هذا الكلام ماخرج من أل ولا بر فأين يذهب بكم عن أحلامكم وردهم الى قومهم

خبر البحرين

كانت ارض البحرين مقر الكثير من قبائل ربيعة منهم عبد القيس بن افصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ومنهم بنو بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى وكان اهل البحرين قد وفدوا على رسول الله ﷺ في حياته واسلموا فأمر عليهم المنذر بن ساوي فلما توفي عليه السلام توفي عقبه المنذر بن ساوى فارتد اهل البحرين فاما بكر فتمت علي ردتها اما عبد القيس فراجعت الاسلام بهمة الجارود بن المعلي العبدى فانه جمعهم

حينما قالوا لو كان محمد نبيا لم يمت فقال لهم أتعلمون انه كان لله انبياء فيما مضى قالوا نعم قال فما فعلوا قالوا ماتوا قال فان محمداً قد مات كما ماتوا وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فأسلموا وثبتوا على اسلامهم فاجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة الا الجارود ومن تبعه وخرج الحطم بن ضبيعة من بكر ابن وائل فاجتمع اليه كثير من المشركين والمرتدين حتى نزل القطيف وهجر وحصر أصحاب الجارود فارسل أبو بكر العلاء بن الحضرمي لاهل البحرين فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفي في مسلمة بني حنيفة وقيس ابن عاصم المنقري فى قومه وأتاه كثير من أهل اليمن فسلك بهم الدهناء حتى اذا كانوا فى بحبوحتها (وسطها) نزل وأمرهم بالنزول فنفرت ابلهم بأصحابها فغموا لذلك غماً شديداً فقال لهم العلاء ماالذى حل بكم فقالوا كيف نلام ونحن ان بلغنا غداً لم تحم الشمس حتى نهلك فقال لن تراعوا انتم المسلمون وفى سبيل الله وأنصار الله فأبشروا فوالله لن تخذلوا فلما صلوا الصبح دعا العلاء ودعوا فامع الماء فمشوا اليه فشربوا واغتسلوا فما تعالى النهار حتى أقبلت الابل تجمع من كل وجه فأناخوها وسقوها ثم أرسل العلاء الى الجارود يأمره أن ينزل بالحطم مما يليه وسار هو فيمن معه حتى نزل عليه مما يلي هجر فاجتمع المشركون الى الحطم واجتمع المسلمون الى العلاء وخندق كل على نفسه وكانوا يتراوحون القتال فاذا أمسوا رجع كل الى خندقه حتى اذا كانت ليلة سمع المسلمون فيها ضوضاء فى عسكر المشركين فأرسل العلاء من يستعلم الخبر فجاء بأنهم سكارى فبيتهم المسلمون شر بيات حتى هربوا فمن بين مقتول ومأسور وقتل الحطم ثم قصد فلهم دارين (جزيرة فى الخليج

الفارسى قريبة من سواحل البحرين) فعبر خلفهم المسلمون خوضاً وقاتلوهم هناك فظفروا بهم وا كثروا فيهم القتل ثم أرسل العلاء الى أبى بكر بهذا الفتح المبين

خبر عمان

لما أسلم أهل عمان في حياة رسول الله ﷺ ولى عليهم الاخوين جيفر وعبد ابنى الجلندى وكان يسامى الجلندى في الجاهلية ذو التاج لقيط بن مالك الازدى من رؤساء عمان فلما توفي رسول الله ﷺ ادعى لقيط النبوة فتبعه كثير من أهل عمان فخافه ابنا الجلندى فالتجآ الى الجبال وكاتب جيفر أبا بكر فبعث اليه حذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة الاول الى عمان والثانى الى مهرة وكل منهما أمير على صاحبه في عمله فاذا قاربا عمان كاتبا جيفرا وأرسل في أثرهما عكرمة بن أبى جهل بعد هزيمته في اليمامة فلحقهما قبل أن يصلا عمان فلما قاربوها كاتبوا جيفراً فأتاهم وعسكروا بصحار (عاصمة عمان) اما لقيط فانه جمع جموعه وعسكر بدبا فالتقى الفريقان واقتتلا قتالا شديداً كاد المسلمون ينهزمون فيه لولا أن من الله عليهم بمدد عظيم من بنى ناجية فاستظهروا بهم وهزموا المشركين بعد ان قتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم سبوا الذرية وقسموا الغنيمة وبعثوا الى ابى بكر بالخمس مع عرفجة وأقام حذيفة بعمان يسكن الناس أما عكرمة فسار ومعه جمع من بنى ناجية الى مهرة ولما وصلها وجد أهلها قسمين مختلفين كل قسم له رئيس فكاتب رئيس أحد القسمين فاجابه وراجع الاسلام ولم يجب الآخر فقاتله حتى هزمه

اخبار الاسود

لما فتحت اليمن في عهد رسول الله ﷺ ولى عليها باذان الفارسى الذى كان عاملا للأكاسرة على اليمن ثم دان بالاسلام وكان مركزه صنعاء فلما مات قسم عليه السلام عمله فولى على صنعاء ابنه شهر بن باذان وعلى مأرب أبا موسى الأشعرى وعلى همدان (وكانوا يقيمون شرق اليمن) عامر بن شهر الهمداني وعلى عك والاشعريين الطاهر بن ابي هالة (بنو عك كانوا يقيمون بين زبيد ورمع وعك هو ابن عدنان والاشعريون كانوا يقيمون شمالى زبيد وينسبون الى أشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان) وعلى مابين نجران ورمع وزبيد خالد بن سعيد بن العاص وعلى نجران عمرو بن حزم وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياضى وعلى السكاسك والسكون (وهما قبيلتان من كندة كانا شمالى حضرموت) عكاشة بن ثور وعلى بنى معاوية من كندة المهاجر بن أبي أمية أخا ام المؤمنين أم سلمة ولم يذهب الى عمله حتي توفى رسول الله ﷺ لمرض كان به وكان زياد بن لبيد يقوم بعمله وعلى الجند يعلي بن أمية وكان معاذ بن جبل معلماً ينتقل في كل بلد فقبل وفاة رسول الله ﷺ ثار باليمن رجل من عنس اسمه عبهلة ولقبه ذو الحمار وشهرته الأسود فادعى النبوة فأجابته مذحج ووثبوا على نجران فأخرجوا منها عاملها عمرو بن حزم وأخرجوا عمرو بن سعيد بن العاص فلحقا بالمدينة ثم توجه الأسود في سبعمائة من قومه الى صنعاء فقتل شهر بن باذان واستولى على المدينة وتزوج امرأة شهر ثم استولى

على مابين صنعاء وحضرموت من الجنوب الى أعمال الطائف من الشمال الى البحرين من الشرق واستفحل أمره فخرج معاذ بن جبل هاربًا ومر بأبي موسى وهو بمأرب فخرج معه ولحقا بحضرموت فنزل معاذ فى قبيلة السكاسك ونزل أبو موسى فى قبيلة السكون وأقام الطاهر بن أبي هالة ببلاد عك فلما بلغ خبر ذلك الى رسول ﷺ أرسل الى من باليمن من الابناء وأبي موسى ومعاذ والطاهر أن يقوموا بقتال الاسود وقتله اما غيلة أو مصادمة فقام بذلك من الابناء فيروز وداذيه واهتموا بقتله وساعدتهم زوجه التي كانت تحت شهر بن باذان فقتلوه ليلا ،قتله فيروز فلما أصبح الصبح نادوا بشعائر المسلمين وهو الاذان فماج الناس بعضهم في بعض واختطف بعض أصحاب الأسود صبيانًا من أبناء المسلمين وخرجوا من المدينة تاركين فيها كثيراً من صبيانهم ثم تراسل الفريقان فى أن يرد كل مابيده وأقام أصحاب الأسود يترددون بين صنعاء وعدن لا يأوون الى أحد وتراجع عمال رسول الله ﷺ الي أعمالهم واتفقوا على أن يصلى معاذ بالناس فى صنعاء لقتل عاملها شهر حتى يأتيهم أمر رسول الله ﷺ وبعثوا الى المدينة بالخبر فوصل البريد وقد توفي رسول الله ﷺ فكانت هذه أول بشارة أتت أبا بكر فلما شاع خبر الوفاة ارتد قيس بن عبد يغوث وكاتب المنهزمين من جنود الأسود فاجتمعوا اليه وأراد أن يتحيل في قتل كبار الابناء وهم فيروز وداذويه وخشنش فهيأ لهم طعاماً وجمعهم ليغدر بهم فظفر بداذويه ونجا الآخران فخرج في أثرهما فامتنعا بقبيلة خولان فرجع قيس الى صنعاء فاستأثر بها وعمد الى عيالات الابناء فغربهم وأخرجهم من اليمن في البر والبحر وعرضهم

للنهبي فلما علم بذلك فيروز همّ بحربه واستمد بني عقيل بن ربيعة وعلك فساروا اليه واستخلصوا عيالات الابناء التي سيرها قيس وقتلوا من معها من الرجال ثم توجهوا الى فيروز فقاتل بهم قيسا ورجاله حتى هزموهم وحينذاك أتاهم المهاجر بن أبي أمية الذى عقد له أبو بكر لواء وسيره لقتال جنود الاسود ومعاونة الابناء وجاء على أثره عكرمة بن أبي جهل بعد أن انتهى من عمان ومهرة فساعدا الابناء على قتال جنود قيس بن عبد يغوث حتى انهزموا وأسروا قيساً وعمرو بن معد يكرب الزبيدى الذى كان ارتد وتبع الأسود فسيراهما الى أبي بكر فقال ابو بكر ياقيس قتلت عباد الله واتخذت المرتدين وليجة من دون المؤمنين فأنكر قيس أن يكون قارف من أمر داذويه شيئاً ولم يكن هناك دليل ظاهر على قتله له لأن القتال كان خاصة فتجافى له عن دمه وقال لعمرو بن معد يكرب أما تستحي أنك كل يوم مهزوم أو مأسور لو نصرت هذا الدين لرفعك الله فقال لاجرم لأقبلن ولا أعود ورجعا الى عشائرهما مؤمنين ثم تتبع المهاجر بن أبي أمية بقية جنود الاسود بكل مكان وقتلهم بكل سبيل حتى لم تعد لهم قائمة وكانت مدة الاسود الى أن هلك قريباً من أربعة أشهر

اخبار كندة

كانت كندة قد ارتدت في عهد الاسود بسبب ماوقع بينهم وبين زياد في أمر فريضة من فرائض الصدقة أطاقها بعض بني عمرو بن معاوية من كندة بعد أن وقع عليهم ميسم الصدقة غلطا فقاتلهم زياد وهزمهم فاتفق

بنو معاوية من كندة على منع الصدقة الا شرحبيل بن السمط وابنه فانهما قالا لبني معاوية انه لقبيح بالاحرار التنقل ان الكرام ليلزمون الشبهة فيتكرمون أن ينتقلوا الى أوضح منها مخافة العار فكيف الانتقال من الامر الحسن الجميل والحق الى الباطل القبيح اللهم أنا لا نمالئ قومنا على ذلك وانتقلا ونزلا مع زياد وقالا له بيت القوم فان لم تفعل خشينا أن يتفرق القوم عنا فطرقهم في محاجرهم فأصاب ملوكهم فقتلهم وهرب من قومهم من أطاق الهرب وعاد المسلمون بالغنائم والسبي فمروا على بني الحارث بن معاوية في محاجرهم وفيهم الاشعث بن قيس فنزل واستخلص السبي منهم فكتب زياد الى المهاجر يستحثه فاستخلف على جنده عكرمة وتعجل هو في سرعان الناس وقدم على زياد فالتقوا بالاعداء فانهزم بنو الحارث وتحصنوا بالنجير (وهو حصن لهم) فحصرهم المسلمون ولما اشتد عليهم الحصار خرجوا فقاتلوا قتالا لم يغنهم شيئا فعادوا الى الحصن ثم أرسل الاشعث في طلب الصلح على تسليم الحصن بمن فيه مشترطاً الامان لتسعة نفر من الرؤساء وكتب بذلك كتابا ولكنه نسي نفسه فدخل المسلمون الحصن وقتلوا المقاتلة وسبوا وغنموا ثم عرضوا من أمنوا فاذا الأشعث ليس فيهم فأراد المهاجر قتله ولكن أشار عليه أصحابه أن يرسله الى أبي بكر ليرى فيه رأيه فأرسله اليه فعفا عنه أبو بكر رضي الله عنه وهو ممن أبلى بلاء حسناً في فتح العراق

والى هنا انتهت أخبار أهل الردة ومنها يفهم المسلمون الذين يريدون الاقتداء بسلفهم الصالح ان المؤمن لا ينبغي ان يهن مهما كثرت اعداؤه لان

المسلمين لايغلبون من قلة ولا يخذلون الا من اتباعهم الهوى وحيادهم عن الصراط السوى هذا أبو بكر أول خليفة المسلمين كان العرب كلهم اعداءه فصار هو ومن معه كالشعرة البيضاء فى الثور الأدهم فلم يعقه ذلك عن اعزاز دين الله وقتال من كفر بالله بمن معه من المسلمين بل وثق بوعد الله حيث قال (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) فجازاه الله على ذلك بالنصر العظيم والفتح المبين ودانت له امم العرب فهكذا يكون الاسلام والايمان

تلك المكارم لاقعبان من لبن　　شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

أمر العراق

لما انتهى ابو بكر رضى الله عنه من حروب أهل الردة جمع العرب كلها للاسلام والف الله الكلمة وجه همته لتعميم عدل الاسلام ومساواته بين الأمم الاخرى التى كان ملوكها يعتقدون في أنفسهم أنهم أرقى درجة من رعيتهم فتصوروهم عبيداً لهم ليس لهم فى نفسهم شئ فيسومونهم الخسف ويعاملونهم بالجور والظلم وكانت الممالك العظمى المجاورة للاسلام اذ ذاك مملكة الفرس في الشرق ومملكة الروم فى الشمال فابتدأ بأمر الفرس وأول ماحصل بين المسلمين وبين هذه الدولة العظمى كتاب رسول الله ﷺ الى كسرى ابرويز يدعوه فيه الى الاسلام فمزقه كسرى استكباراً وهذا يدلك على مقدار الجبروت والكبرياء الذين كانا شعاراً للملوك اذ ذاك وجاء الدين الحنيفى يهدمها وبلغ من استعظام ابرويز لهذا الكتاب أن أرسل لعامله باذان على اليمن أن يبعث الى رسول الله ﷺ برجلين جلدين يأتيان به فتوجها

كما أمر فلما وصل الرجلان الى المدينة كلمهما رسول الله ﷺ وقال لهما في هذا اليوم قتل ابرويز قتله ابنه وكان الأمر كما أخبر عليه السلام فان ابنه شيرويه ثار به بمساعدة كبار الفرس فقتله واستولى على ملك فارس فلما علم الرجلان صدق رسول الله ﷺ أسلما وبعث شيرويه الى باذان أن لايتعرض للنبي عليه الصلاة والسلام وفي عهده عليه السلام فتحت اليمن وأسلم باذان فولاه عليه السلام عليها فكانت أول بلاد تحت حماية الفرس انضمت للاسلام ثم انضم اليه أيضا البحرين وعمان وكانتا تحت حماية الفرس أيضا فلما توفي رسول الله ﷺ وانتهى أبو بكر من حروب أهل الردة انتدب سيف الله خالد بن الوليد ليكون أول من يضع أساس الدين القويم بالبلاد الفارسية وذلك في بدء المحرم من السنة الثانية عشرة من الهجرة وأمره أن يبدأ بالابلة (ثغر من ثغور الفرس على الخليج الفارسى عند مصب دجلة) وأمده بالقعقاع بن عمرو وانتدب عياض بن غنم ليغزو الفرس من شمال العراق وأمره أن يبدأ بالمضيح (قرية على الفرات شمالى العراق) وأمده بعبد يغوث الحميري وأمرهما أن يستنفرا من قاتل أهل الردة وأن لايغزون معهما مرتد لأن رأيه رضى الله عنه كان أن لايستعان بمن ارتدوا على غزو أبداً

وقعة الابلة

فسار خالد بن الوليد حتى قارب الأبلة فقسم جيشه ثلاث فرق على الاولى المثنى بن حارثة الشيبانى وعلى الثانية عدي بن حاتم الطائي وجعل الثالثة تحت أمرته وسير الفرقين قبله وواعدهما الحفير (موضع على طريق

السائر من مكة الى البصرة وهو قريب من الابلة) وكان صاحب هذا الثغر عظيما من عظماء الفرس أسمه هرمز وكان مبغوضاً عندالعرب لكثرة غزوه لهم فكلهم ناقم عليه ولما سمع بخبر خالد وانه واخذ طلائعه الخفير سبقه اليه فال خالد بالناس الى كاظمة فسبقه هرمز اليها فنزل جيش المسلمين على غير ماء فقال خالد جالدوهم على الماء فان الله جاعله لاصبر الفريقين وتقدم هو وسط الصف يطلب البراز راجلا فبرز اليه هرمز ونزل عن فرسه فاحتضنه خالد فلما رأى ذلك الفرس أرادوا الغدر بخالد وهجموا عليه فلم يمنعه ذلك عن قتله ولما رأى ذلك القعقاع حمل بجيش المسلمين فأزال الفرس عن خالد وحمى القتال فانهزم المشركون وهذه أول موقعة بين المسلمين والفرس ثم أرسل خالد البشارة وخمس الغنيمة الى أبي بكر بعد أن قسم اربعة أخماسها على المقاتلين للراجل ثلث الفارس وأرسل المثنى بن حارثة فى أثر المنهزمين ولم يتعرضوا للفلاحين بأذى كما أوصاهم بذلك أبو بكر ولما وصل خبر هذه الهزيمة الى ملك الفرس واسمه أزدشير ومقامه بالمدائن (هي مدائن كانت للاكاسرة على نهر الدجلة جنوبى بغداد وهي شرقية وغربية وكان في الشرقية ايوان كسري الشهير) أرسل الى المسلمين جيشا آخر يقوده عظيم من عظماء الفرس اسمه قارن فجمع المنهزمين ورجع بهم حتى وصل الثنى (منعطف النهر قرب البصرة)

وقعة الثنى

فنزل به فسار اليه خالد ولما التقى الجيشان خرج قارن يطلب البراز ليدرك ثار هرمز فبرز اليه فارس مسلم فقتله وعندئذ حمل جمع المسلمين على

جمع المشركين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة سوى من غرق منهم فى النهر ثم أخذ خالد الجزية من الفلاحين وصيرهم ذمة وأرسل بالفتح والخمس الى أبى بكر (أما) ملك الفرس فانه سير الى المسلمين جيشاً آخر يقوده الاندر زعز وفي أثره آخر يقوده بهمن جاذويه فعسكر الجيشان كلاهما في الولجه

وقعة الولجة

فسار خالد اليهما وقاتلهما المسلمون قتالا شديدا حتي هزم عسكر المشركين ومات القائد الاندر زعز في هزيمته وأصاب خالد أبناء من بكر بن وائل فقتلهم فغضب لهم قومهم من نصارى بكر فاجتمعوا باليس وكاتبوا ملك الفرس ليمدهم بجيش يساعدهم على قتال المسلمين فكتب ازدشير الى بهمن جاذويه المنهزم من الولجة يأمره بأن يسير الى نصارى بكر ليكون معهم على قتال المسلمين فلما جاءته الرسالة سير أمامه جابان وذهب هو الى ازدشير ليعلم الاخبار ويستشيره فوجده مريضا فتوقف هناك

وقعة الليس

واما جابان فانه وصل الى جيش البكريين وعسكر معهم باليس (موضع على الفرات من قرى الانبار) فأقبل اليهم خالد بكتيبة وتوسط الميدان طالباً البراز فبرز اليه رئيس من رؤساء بكر فقتله ثم حمل المسلمون على الاعاجم فثبت هؤلاء كثيراً لتوقعهم قدوم بهمن وثبت المسلمون لتكون كلمة الله هي العليا فما كان الا ضحوة نهار حتي ولى الفرس الادبار بعد أن

قتل منهم مقتلة عظيمــة فقسم خالد الغنائم وأرسل بالفتح والخمس الى أبي بكر وكانت هذه الموقعة في صفر من السنة الثانية عشرة

فتح الحيرة

(ثم) سار قاصدا الحيرة (هي عاصمة ملوك العرب من قبل الفرس وهي غربي الفرات على قرب من الـكوفة) وكان خالد يسير بحراً في الفرات فخرج اليه مرزبان الحيرة وهو الازاذبة وعسكر بظاهرها وارسل ابنه فقطع الماء عن سفن المسلمين فبقيت على الارض (وكانوا يقطعون الماء عن الفرات بارساله في الترع المنفرعة منه) فسار خالد على خيل نحو ابن الازاذبة فقتله على فرات بادقلي ثم سار نحو الحيرة فهرب مرزبانهــا الازاذبة فحاصر خالد قصورها وهي القصر الابيض وقصر الغريين وقصر ابن مازن وقصر ابن بقيلة ودعا أمراءها الى الاسلام وأجلهم يوما وليلة فأبوا وافتتح المسلمون الديور فصاح القسيسون والرهبان بأهل القصور يطلبــون منهم مصالحة المسلمين فنادى أمراء القصور قد قبلنا واحدة من ثلاث الاسلام أو الجزية أو المحاربة فكف عنهم المسلمون ثم جاء الامراء الى خالد يتقدمهم ويتكلم عنهم عمرو بن عبد المسيح فقال له خالد أسلم أنت أم حرب قال بل سلم فقال خالد ماهذه القصور قال بنيناها للسفيه نحبسه فيها حتى ينهاه الحليم فصالحهم خالد على الجزية وقدرت بمائة الف وتسعين ألفاً وأهدوا له هدايا على عادتهم مع ملوك الفرس فارسل خالد بالفتح والهدايا الى أبي بكر فقبل الهدايا وعـدها

من الجزية وأمر خالداً أن يعدها منها فهكذا الدين دين الاسلام لم يرض خليفتنا الاول ان يأخذ شيئاً كانت الرعية تدفعه لملوكها ملاطفة بل لايؤخذ منهم الا مافرض عليهم

مابعد الحيرة

(فلما) رأى دهاقين ما بعد الحيرة فعل خالد صالحوه على مايلي الحيرة من الفلاليج الى هرمز جرد على الف الف سوى جباية كسرى ثم أرسل خالد أمراءه فمخروا ماوراء ذلك الي شاطىء دجلة ثم كتب الى ملوك الفرس كتابا هذه صورته :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أما بعد فالحمد لله الذى حل نظامكم ووهن كيدكم وفرق كلمتكم ولو لم نفعل ذلك كان شراً لكم فادخلوا فى أمرنا ندعكم وأرضكم ونجزكم الي غيركم والا كان ذلك وأنتم كارهون على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة) وكتب الى المرازبة كتابا هذه صورته

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ اما بعد (فالحمد لله الذى فض حدتكم وفرق كلمتكم وجذل حرمكم وكسر شوكتكم فأسلموا تسلموا والا فاعتقدوا في الذمة وأدوا الجزية والا فقدجئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر) وفي ذلك الوقت دهي الفرس أمر عظيم لا يزيدهم الا وهناً ولا يزيد المسلمين الا قوة وهو اختلافاتهم الداخلية بعد موت ملكهم ازدشير وعدم وجود من يولي من بيت كسرى فلما وصلتهم كتب خالد اتفق نساء كسرى على تولية أحد أمراء فارس وهو الفرخزاذ بن البنذوان حتي يعثروا على صالح للملك من بيت كسرى

فتح الانبار

أما خالد فانه سار من الحيرة قاصداً الانبار (مدينة على شاطيء الفرات شمالي الكوفة) وكان على جيشها شيرزاد صاحب ساباط فأنشب معهم المسلمون القتال ولما رأى شيرزاد مالا قبل له به طلب الصلح على أمر لم يرضه خالد فرد رسوله ونحر الضعاف من ابل الجيش ورماها في خندق المشركين وعدى اليهم فلما رأى ذلك شيرزاد صالح خالداً على ما أراد فقبل منه خالد وسيره الى مأمنه فالحق ببهمن.

فتح عين التمر

(ثم) سافر خالد قاصداً عين التمر (بلد في برية العراق على ثلاثة مراحل من الانبار) بعد ان استخلف على الانبار الزبرقان بن بدر فوصل الى عين التمر وبها جمع عظيم من الفرس عليهم بهرام بن بهرام جوبين ومعهم عدد عظيم من العرب من النمر وتغلب الذين يقيمون بتلك الجهات تحت حكم الاكاسرة فجعل الفرس في المقدمة العرب لانهم أدرى بقتال العرب فحمل خالد على رئيسهم وهو يسوى صفوفه فاسره فانهزم قومه من غير قتال ولما رأى ذلك بهرام هرب هو وجيشه ايضا وترك الحصن فتحصن به المنهزمون واستأمنوا لخالد فلم يؤمنهم ثم بعث بالخمس والبشارة الى أبي بكر.

فتح دومة الجندل

ثم سار من عين التمر قاصداً دومة الجندل (١) ليعين عياض ابن غنم على فتحها وكان رسول الله ﷺ قد أرسل خالد بن الوليد الى دومة الجندل في حياته وكان بها اكيدر بن عبد الملك فأصابه خالد في ليلة مقمرة فأسره وجاء به الى رسول الله ﷺ فحقن دمه وصالحه على الجزية ورده الى قريته فلما كان في عهد أبي بكر أرسل عياض ابن غنم لفتح العراق من أعلاه فاجتمع عليه وهو بناحية دومة الجندل كثير من نصارى العرب فارسل الى خالد بن الوليد كتابا يستحثه فيه لمساعدته فصادفه الكتاب وهو بعين التمر فأقبل حتى جعل دومة بينه وبين عياض فخرج الجودى الذى كان يشارك اكيدرا في امارة دومة الى حرب خالد وأرسل فرقة تقاتل عياضا فهزم كل من القائدين من يليه وفتح الحصن عنوة وأقام به خالد. أما اكيدر فانه قد فارق الجودى لأنه لم يتبع ما أشار عليه به من عدم قتال خالد فارسل خالد وراءه من قبض عليه وقتله لانه كان نقض ما عاهد عليه رسول الله ﷺ من إعطاء الجزية.

وقعة الحصيد والخنافس

أما عرب الجزيرة فانهم ثارت حميتهم لمن قتل من العرب بعين التمر

---

(١) يرى ياقوت أن دومة الجندل هذه ليست هي التى فتحت في زمن النبى ﷺ وانما هي دومة أخرى أسسها اكيدر على مثالها

فكاتبوا الفرس يطلبون منهم ارسال الجيوش لتكون لهم عونًا فخرج من الفرس عظيمان يريدان الانبار وانتهيا الى الحصيد والخنافس (موضعان قرب الانبار) فسمع بالخبر القعقاع خليفة خالد على الحيرة فأرسل اليهما سريتين حالتا بينهما وبين الريف ثم قدم خالد راجعاً الى الحيرة عند ما بلغه الخبر فسير القعقاع وأبا ليلى بن فدكى الى لقاء جمع الفرس فسارا حتى التقيا بهم فقتل من الفرس مقتلة عظيمة وقتل القائدان وغنم المسلمون ما في الحصيد وانهزمت الأعاجم الى الخنافس وبها المهبوذان من الاساورة فسار أبو ليلى مقتفياً آثارهم حتى هزم المهبوذان الى المضيح وكان به بعض عرب الجزيرة فكتب خالد الي القعقاع وأبي ليلى أن يوافياه على المضيح في ساعة عينها لهما لقتال من به من عرب الجزيرة ووافاها هو في جيشه فالقياه بها وقاتلوا العرب وهزموهم شر هزيمة ثم توجه خالد الى بجير التغلبي وهو متجمع في جيشه بالثنى فبيته وهزمه ثم سار الى البشر وقد تجمع به عسكر عربي ضخم فبيتهم خالد بغارة شعواء حتى لم يفلت منهم أحد (ثم) أرسل بالفتح والاخماس الى أبي بكر

وقعة الفراض

وسار الى الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة وكان الحر شديداً والشهر رمضان من السنة الثانية عشرة فأفطر بها هو والمسلمون وكان بها جمع عظيم من الفرس والروم والعرب اتفقوا جميعاً على حرب المسلمين وعبروا نهر الفرات فقاتلهم خالد وقاتل المشركون قتالا شديداً لكنهم

لم يلبثوا أن انهزموا (أولئك حزب الشيطان ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون) ثم أمر خالد بالرجوع الى الحيرة وتخلف هو مظهراً أنه في الساقة ويقال انه توجه الى مكة فحج ولحق ساقة الجيش قبل أن تدخل الحيرة وهذا غريب جداً لبعد المسافة

صرف خالد الى الشام

وفي ذلك الوقت صرف أبو بكر خالد بن الوليد عن حرب العراق وسيره الى الشام مددا لجيوش المسلمين هناك فاستخلف على جيش العراق المثنى بن حارثة الشيبانى فأقام بالحيرة وأذكى العيون ووضع المسالح وكان ملك فارس بعد رحيل خالد شهريران بن اردشير فوجه الى المثنى جيشا عظيما يقوده هرمز

وقعة بابل

فخرج اليه المثنى من الحيرة حتى أتى بابل (بلدة قديمة شرقى الفرات أمامها مدينة الحلة الآن) فأقام بها وهنالك لاقاه هرمز في جيش الفرس فقاتله جيش المسلمين قتالا شديداً حتى هزم وبعد هذه الهزيمة مات شهريران وكثرت الاختلافات الداخلية في مملكة الفرس فشغلوا عن المسلمين وأبطأ خبر أبي بكر على المثنى فاستخلف على جيشه بشير بن الخصاصية وتوجه الى المدينة ليستأذن أبا بكر فى الاستعانة بمن حسنت

توبته من المرتدين فوجده مريضاً فاستحضر أبو بكر عمر بن الخطاب وقال له اني لأرجو أن أموت يومي هذا فاذا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلكم مصيبة عن أمر دينكم ووصية ربكم فقد رأيتني وقت وفاة رسول الله ﷺ وماصنعته وماأصيب الخلق بمثله واذا فتح الله على أهل الشام فاردد اهل العراق الى عراقهم فانهم أهله وولاة أمره وأهل الجرأة عليهم هذا ماانتهى اليه أمر فارس في عهد الصديق رضي الله عنه تقلص ظل ملك الفرس عن كل الأراضي الخصبة التي في غربي الفرات وهو ما يعبر عنه بريف العراق فصار حد مملكة فارس هو نهر الفرات

بدء امر الروم

مملكة الروم هى المملكة الثانية العظمى التي كانت تحد البلاد العربية من الشمال وأول ما كان بينها وبين المسلمين كتاب رسول الله ﷺ الي هرقل ملك الروم يدعوه فيه الى الاسلام (والكتاب وحديث أبي سفيان عنه مذكوران فى كتابى نور اليقين صحيفة ٢١١ وما بعدها من الطبعة الثانية) ثم كتب ﷺ الى الحرث بن أبي شمر الغساني ملك غسان بالبلقاء من أرض الشام وعامل قيصر على العرب يدعوه الى الاسلام فادركته العزة بالاثم فأراد ان يغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه امر من قيصر ينهاه عن ذلك . وفى السنة الثامنة من الهجرة جهز عليه السلام جيشا الى الشام تحت امرة زيد بن حارثة وهي غزوة مؤتة فجمع لهم الروم جمعا كثيرا مأئة الف او يزيدون فاستشهد زيد وجعفر بن ابى طالب وعبدالله بن رواحة واستلم

سيف الله خالد امرة الجيش فخاصه من الهلاك . والكلام في هذه الغزوة مستوفى في نور اليقين . وفي السنة التاسعة تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزو الروم فبلغ تبوك واتاه صاحب أيلة يوحنا بن رؤبة وصاحب جرباء وأذرح وأعطوا الجزية فلما بلغ هرقل مافعله يوحنا امر بقتله وصلبه عند قريته . وفى السنة التي توفى فيها رسول الله ﷺ جهز سرية تحت أمرة أسامة بن زيد بن حارثة لتتوجه الى أبنى وقضاعة للقصاص من قتلة أبيه فتوفي عليه السلام ولم يخرج أسامة فلما استخلف أبو بكر جهز السرية فسار زيد حتى وصل أبنى وأوقع بقبائل من قضاعة ثم رجع فائزاً . فلماعقد أبو بكر الألوية فى ذي القصة عقد منها لواء خالد بن سعيد بن العاص ووجهه الى مشارف الشام ثم أمره أن يكون ردءاً المسلمين بتيماء لا يفارقها الا بأمره ولا يقاتل الا من قاتله فبلغ خبره هرقل ملك الروم فجهز اليه جيشاً من العرب التابعين للروم من بهراء وسليح وكلب ولخم وجذام وغسان فسار اليهم خالد بن سعيد فلقيهم على منازلهم فافترقوا وأرسل هولأ بي بكر بالخبر فكتب اليه يأمره بالاقدام فتقدم واقيه بطريق رومي اسمه ماهان فهزمه خالد وكتب إلى أبى بكر يستمده فعند ذلك اهتم رضى الله عنه بأمر الشام وكان قد ورد اليه أوائل مستنفرى اليمن وقدم عكرمة بن أبي جهل فيمن معه من تهامة والبحرين وأرسل الى عمرو بن العاص وكان واليا على صدقات سعد وهذيم من قضاعة كان أبو بكر سيره اليها يوم عقد الألوية في ذي القصة وقد كان رسول الله ﷺ وعده ولايتها فكتب اليه أبو بكر (انى كنت رددتك الى العمل الذى ولاك رسول الله ﷺ مرة ووعدك به أخرى إنجازاً لمواعيد

رسول الله ﷺ وقد وليته وقد أحببت ان أفرغك لما هو خير لك في الدنيا والآخرة الا أن يكون الذى أنت فيه أحب اليك) فكتب اليه عمرو (أني سهم من سهام الاسلام وأنت بعد الله الرامى بها والجامع لها فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به) فأمره فقدم عليه فجهز أبو بكر أربعة جيوش على أحدها عمرو بن العاص ووجهه الى فلسطين (كورة بالشام فى جنوبه) وعلى ثانيهما شرحبيل بن حسنة وكان قدم عليه من العراق ووجهه الى الأردن (كورة بالشام سميت باسم نهر هناك يبتدئ من بحيرة طبرية وينتهي بالبحيرة الميتة)وعلى الثالث يزيد بن أبي سفيان ووجهه الى البلقاء (بلد بالشام) وأتبعه بأخيه معاوية وعلى الرابع أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح ووجهه الى حمص فسارت الأمراء على بركة الله وكان أبو بكر يودعهم ماشيا ويوصيهم بما فيه صلاح دنياهم وأخراهم . ومما يؤثر عنه رضى الله عنه وصيته العظيمة ليزيد وقد أحببت ايرادها برمتها لما فيها من النصائح التى يلزم كل أمير جيش اتباعها وهاهي : « انى قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك فان أحسنت رددتك الى عملك وزدتك وان أسأت عزلتك فعليك بتقوى الله فانه يرى من باطنك مثل مايرى من ظاهرك وان أولى الناس بالله أشدهم توليا له وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا اليه بعمله وقد وليتك عمل خالد(هو ابن سعيد بن العاص الذي كان أبو بكر سيره الى الشام أولا)فاياك وعبية الجاهلية فان الله يبغضها ويبغض أهلها واذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم اياه واذا وعظت فأوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً وأصلح نفسك يصلح لك الناس وصل الصلاة لأوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها واذا قدم عليك

رسل عدوك فأكرمهم واقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون ولا تريهم فيروا خللك ويعلموا علمك وأنزلهم في ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولى لكلامهم ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك واذا استشرت فأصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتي من قبلك واسمر بالليل فى أصحابك تأتك الاخبار وتنكشف عندك الاستار واكثر حرسك وبددهم في عسكرك واكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه فى غير افراط وأعقب بينهم بالليل والنهار واجعل النوبة الأولى أطول من الاخيرة فانها أيسرهما لقربها من النهار ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجن فيها ولا تسرع اليها ولا تخذلها مدفعا ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ولا تجسس عليهم فتفضحهم ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء وأصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس واجتنب الغلول فانه يقرب الفقر ويدفع النصر وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له » ولم تزل الجيوش سائرة حتى وصلت الشام فنزل عمرو بن العاص العربة من فلسطين ونزل شرحبيل الاردن ونزل يزيد البلقاء ونزل أبو عبيدة الجابية فلما بلغ ذلك هرقل ملك الروم قال لقومه أرى أن تصالحوا المسلمين فوالله لان تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب اليكم من أن يغلبوكم على بلاد الشام ونصف بلاد الروم فرفضوا رأيه فسار حتى نزل حمص (مدينة شامية فى الشرق من نهر العاصى

وعلى بعد قليل منه) وأمر بجمع الجيوش فاجتمع من الروم عدد عظيم فوجه لكل أمير جيشاً يفوق عدة من معه فأشار عمرو بن العاص على الامراء بالاجتماع فأرسلوا الى ابى بكر فى ذلك فأشار عليهم بمثل رأي عمرو وقال (ان مثلكم لا يؤتى من قلة وانما تؤتون من الذنوب فاحترسوا منها)

وقعة اليرموك

فاجتمعوا باليرموك (وهو واد في الجنوب الشرقى من الشام) وكل واحد من الامراء امير على جيشه والروم أمامهم وبين الفريقين خندق فكان الروم يقاتلون باختيارهم وان شاؤا احتجزوا بخنادقهم وأقام الفريقان على ذلك صفراً والربيعين من السنة الثالثة عشرة من الهجرة فارسل الامراء الى أبي بكر يستمدونه فكتب الى خالد بن الوليد أمير جند العراق يأمره ان يستخلف على جنده بعد أن يأخذ معه نصفه ويتوجه الى الشام مدداً لامرائه فصار خالد ينسف الارض نسفاً حتى وصل الى المسلمين في ربيع الآخر وصادف وصوله وصول ماهان بجيش مدداً للروم فتولى خالد قتاله وقاتل كل أمير من بازائه متساندين فرأى خالد ان هذا القتال لا يجدي نفعاً مادامت كل فرقة من الجيش لها أمير فجمع الامراء وخطبهم وقال بعد ان حمد الله واثنى عليه (ان هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه البغي ولا الفخر اخلصوا جهادكم وأرضوا الله بعملكم فان هذا يوم له ما بعده ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية وانتم متساندون فان هذا لا يحل ولا ينبغي وان من ورائكم من لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا بما لم تؤمروا فيه بما ترون انه رأى من واليكم ومحبته)

قالوا هات فما الرأى فأشار بأن يؤمر على الجيش كله أمير واحد ويتناوبوا الامارة حتي يؤمروا كلهم وان يؤمر هو في اليوم الاول فقبلوا مشورته وأمروه فخرج رضي الله عنه في تعبية لم تعبها العرب قبل ذلك وليس تعبية اكثر في رأى العين من الكراديس (الفرق) فجعل القلب كراديس واقام فيه أبا عبيدة وجعل الميمنة كراديس وأقام فيها عمراً وشرحبيلا وجعل الميسرة كراديس وأقام فيها يزيد وجعل على كل كردوس رجلا من الشجعان وكان عدد الكراديس ستة وثلاثين كل كردوس الف رجل ثم امر القعقاع بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل ان ينشبا القتال فأنشباه والتحم الناس وتطارد الفرسان واظهر خالد عجائب الشجاعة والحمية الاسلامية ثم أن الروم حملوا حملة أزالوا بها المسلمين عن مواقفهم فنهد خالد بالقلب حتي حال بين خيل المشركين ورجالهم فانهزم الفرسان وتركوا الرجالة فأفرج لهم المسلمون واشتدوا على الرجلة فهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيراً لاسيما اناسا منهم كانوا اقترنوا في السلاسل لئلا يفروا وقاتل نساء المسلمين في ذلك اليوم قتالا شديداً وأبلين بلاء حسنا وممن أبلى في ذلك اليوم بلاء حسنا ابو سفيان بن حرب بسعيه وتحريضه وانتهت هذه الموقعة بهزيمة الروم شر هزيمة وفى أثنائها جاء بريد المدينة بموت الصديق وخلافة عمر بن الخطاب وتولية أبي عبيدة رئاسة الجيوش فلم يبلغ هذا الخبر الجيش الا بعد ان انقضت الموقعة

(وفاة الصديق)

لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة حم أبو بكر فاما اشتد عليه المرض جمع كبار الصحابة فاستشارهم في العهد لعمر بن الخطاب

فكلهم قال خيراً فدعا عثمان بن عفان وأملى عليه (بسم الله الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد ﷺ عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويوقن فيها الفاجر اني استعملت عليكم عمر ابن الخطاب ولم آلكم خيراً فان صبر وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل امرىء ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون) ثم أمر بالعهد فقرىء على المسلمين وقد أطل عليهم فقال لهم أترضون من استخلفت عليكم فاني ما استخلفت عليكم ذا قرابة واني قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا فاني والله ما ألوت من جهد الرأي فقالوا سمعنا وأطعنا ثم نادى عمر فقال له (اني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله ﷺ ياعمر ان الله حقا بالليل ولا يقبله فى النهار وحقا فى النهار ولا يقبله في الليل وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ألم تر ياعمر انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لايوضع فيه غداً الا حق أن يكون ثقيلا ألم تر ياعمر انما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لايوضع فيه غداً الا باطل أن يكون خفيفا) ألم تر ياعمر انما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ماليس له ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه . ألم تر ياعمر (انما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم فاذا ذكرتها قلت اني لارجو أن لا أكون منهم وانما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لانه تجاوز لهم عما كان من شيء فاذا ذكرتها قلت أين عملي من

أعمالهم فان حفظت وصيتى فلا يكون غائب أحب اليك من حاضر من الموت ولست بمعجزه) ثم توفى رضى الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة فكانت خلافته رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال) توجها باعماله الجليلة وسيرته الحميدة فبه كان لم شعث المسلمين بعد فرقتهم بردة الكثير من العرب وهو الذي ابتدأ تجريد الجيوش على الدولتين العظيمتين المجاورتين لبلاد الاسلام لدعوتها إلى الدين القويم أو الدخول تحت حكمه حتى يكون عدله ومساواته عامين لجميع الامم الذين رزئوا بملوك يعدون أنفسهم آلهة ويعدون رعيتها عبيداً ويسيرون وراء لذاتهم وشهواتها مهما عاد من ضررها على الرعية ففازت جيوشه بالنصر في جميع مواقعها وكان يقضى له عمر بن الخطاب وأمينه أبو عبيدة ويكتب له عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وكانت ولايات الاسلام في عهده (مكة) وواليها عتاب بن أسيد الذى ولاه رسول الله ﷺ عليها عقب الفتح (والطائف) وعليها عثمان بن ابى الثقفي (وصنعاء) وعليها المهاجر بن ابى امية (وحضرموت) وعليها زياد بن لبيد (وخولان) وهي قبيلة عظيمة باليمن كانت تسكن في جباله الشرقية وكان عليهم يعلى بن أمية و (زبيد) وعليها أبو موسى الاشعرى و (نجران) وهو موضع شمالى اليمن يقيم به قبائل من بني الحارث بن كعب بن علة من مذحج وبنى ذهل بن مزيقيا من الازد وكانت رياسة نجران حين النبوة في بني الحرث بن كعب ليزيد بن عبد المدان بن الديان ووفد اخوه حجر بن عبد المدان على النبي ﷺ على يد خالد بن الوليد . ووالى نجران في عهد ابى بكر جرير بن عبد الله البجلي و (البحرين) وهي شواطيء بلاد العرب المطلة على الخليج الفارسى وواليها

العلاء بن الحضرمي و (جرش) وهو مخلاف باليمن . والمخلاف الكورة وواليها عبد الله بن ثور و (دومة الجندل) وعليها عياض بن غنم وأمير جند العراق المثنى بن حارثة الشيباني وقاعدة أعماله الحيرة وأمير جند الشام خلد بن الوليد القرشي المخزومي . وكن آخر ما تكلم به أبو بكر (توفني مسلما وألحقني بالصالحين) وغسلته زوجه أسماء بنت عميش وابنه عبد الرحمن وكفن في ثوبيه كما أوصى وصلى عليه خليفته من بعده عمر بن الخطاب ودفن ليلا في حجرة عائشة وجعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ ودخل قبره ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبد الله

ترجمة عمر بن الخطاب

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قرط ابن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر العدوى القرشي يجتمع مع رسول الله ﷺ فى كعب بن لؤى وكنيته أبو حفص ولقبه الفاروق وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة المخزومية بنت عم خالد بن الوليد ولد رضى الله عنه في السنة الثالثة عشرة من ميلاد رسول الله ﷺ وتربى على الشهامة والنجدة والحمية الجاهلية ولما جاء الاسلام كان من أكبر المعارضين له فلما هاجر المسلمون الى أرض الحبشة خوف الفتنة من الله عليه بالاسلام ببركة دعوة رسول الله ﷺ (اللهم أعز الاسلام بعمر) فأتى دار الأرقم بن أبي أرقم عبد مناف ابن ابي جند اسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم التى كان رسول الله ﷺ مستخفيا فيها ودان بالاسلام واشار على رسول الله ﷺ بترك الاختفاء واظهار الدين فخرج عليه السلام ومعه المسلمون صفين يقدم احدهما عمر بن الخطاب ويقدم الآخر حمزة بن عبد المطلب ولا تسل عما نال مشركى قريش من الكآبة اذ ذاك حتى تعصبوا على عمر وارادوا قتله فحماه العاصى بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم والد عمرو بن العاصى وصار بعد ذلك عمر ينصر هذا الدين بما أتاه الله من قوة البطش حتى قال عبدالله بن مسعود (مازلنا اعزة منذ اسلم عمر) رواه البخاري فلما اذن الله بالهجرة الى المدينة كان المسلمون يتسللون الى الهجرة خفية الا عمر رضى الله عنه فانه لما عزم عليها جاء قريشاً فى ناديهم واخبرهم بعزمه وقال من اراد ان تثكله (تفقده)

أمه فليلقني وراء هذا الوادى فلم يجسر أحدهم على اتباعه وحضر مع رسول الله ﷺ مشاهده كلها من بدر الى تبوك وزوجه ابنته أم المؤمنين حفصة بعد أن توفي عنها زوجها خنيس بن حذافه بن قيس بن عدى بن سهم من جراحة أصابته بأحد ومن مآثره قول رسول الله ﷺ (بينا أنا نائم شربت يعني اللبن حتى أنظر الى الري يجرى في ظفرى أو أظفارى ثم ناولته عمر قالوا فما أولته يارسول الله ﷺ قال العلم) وقوله عليه السلام (رأيت في المنام كأنى أنزع بدلو بكرة على قليب (بئر) فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا (دلواً) أو ذنوبين نزعا ضعيفاً والله يغفر له ثم جاء عمر فاستحالت غربا (دلواً عظيمة) فلم أر عبقريا (سيداً) يفرى فريه (يأتى بالعجب فى عمله مثله) حتي روى الناس بعطن (أى أناخوا حول الماء بعد السقي) وفي هذا الحديث اشارة الى مدة خلافة الشيخين أبى بكر وعمر رضي الله عنهما وقال عليه السلام مخاطباً لعمر (والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكا فجاً قط الا سلك غير فجك) وقال عليه السلام (لقد كان فيما قبلكم محدثون « ملهمون » فان يكن فى أمتي أحد فانه عمر) وقال عليه السلام (بينا انا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص فمنها مايبلغ الثدى ومنها مايبلغ دون ذلك وعرض علي عمر وعليه قميص اجتره قالوا فما اولته يارسول الله قال الدين) وكان عمر كثيراً مايشير على رسول الله ﷺ بأشياء ينزل بها القرآن كمسألة اسرى بدر ومسألة الحجاب ولما مات رسول الله ﷺ جزع عمر جزعا شديداً على صلابته وشدته حتي قال والله ما مات رسول الله ﷺ قالت ام المؤمنين عائشة قال عمر والله ما كان يقع في نفسى الا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن ايدي رجال وأرجلهم فلما جاء الصديق

وذكرهم خشع ورجع الي الصواب وكأن الله سبحانه وتعالى اراد أن لا يكون من أصحاب رسول الله ﷺ شيء ليس فيه فائدة فلقد خوف عمر الناس وان فيهم لنفاقاً فردهم الله بذلك ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى وعرفهم الحق الذى عليهم هكذا قالت أم المؤمنين من رواية البخارى وكان لعمر فضل عظيم يوم السقيفة حيث سارع الي بيعة الصديق قبل ان تحدث فرقة ولما ولي الصديق كان له عمر أعظم مشير حتى أن ابا بكر لم ير غيره أهلا للخلافة بعده فعهد له بها ونعما فعل . وكان رضى الله عنه طويلا أصلع أعسر ايسر يعمل بيديه كلتيهما وكان لطوله كأنه راكب شديد البياض تعلوه حمرة وكان أشيب يصفر لحيته ويرجل رأسه وكان له من الاولاد عبد الله وعبد الرحمن الاكبر وأم المؤمنين حفصة وعبيد الله وقتل بصفين مع معاوية ومن ولده فاطمة وعاصم ورقية وزيد وعبد الرحمن الاوسط وكان عمر رضى الله عنه يلقب بالفاروق بويع بالخلافة صبيحة وفاة ابى بكر رضى الله عنه ولما بويع صعد المنبر وقال انما مثل العرب مثل جمل آنف اتبع قائده فلينظر قائده اين يقوده اما انا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق

امر العراق في عهد عمر

توفي الصديق رضى الله عنه والمثنى بن حارثة أمير جيش العراق مقيم بالمدينة يطلب المدد فلما ولى عمر ندب الناس مع المثنى فكان اول منتدب لذلك أبو عبيد بن مسعود الثقفى وسعد بن عبيد الانصارى وسليط بن قيس فأمر عليهم اسبقهم انتدابا ابا عبيد بن مسعود وقال له (اسمع من أصحاب

رسول الله ﷺ وأشركهم في الامر ولا تجتهد مسرعا بل اتئد فانها الحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة ولا يمنعني ان أؤمر سليطاً الا سرعته الى الحرب والسرعة الى الحرب الا عن بيان ضياع والله لولا سرعته لأمرته) ثم قال(انك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية تقدم على قوم تجرؤا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون وأحرز لسانك ولا تفشين سرك فان صاحب السر ما يضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه واذا لم يضبطه كان بمضيعة) ثم أمر المثنى ان يتقدم الى أن يلحقه الجيش وامره ان يستنفر من حسنت توبته من المرتدين فسار مسرعا حتى وصل الحيرة في عشر وكان الفرس قد شغلوا عن المسلمين باختلافتهم الداخلية على من يلي ملكهم ثم اتفقوا أخيراً علي ولاية بوران بنت كسرى وان يقوم بأمرها رستم حتى يجدوا رجلا من بيت كسرى يصلح للملك فاستعد رستم لقتال المسلمين وجهز لذلك الجيوش فارسل جيشاً الى فرات بادقلي وقائده جابان وجيشاً آخر الى كسكر (بلد على الشاطىء الغربي لدجلة بين بغداد والبصرة على آثارها الآن مدينة واسط) وقائده نرسى وجيشاً آخر لمصادمة المثنى وارسل الى الفلاحين ان ينتقضوا على المسلمين ففعلوا ولما بلغت هذه الاخبار المثنى خرج من الحيرة حتى نزل خفان (مأسدة قرب الكوفة) وانتظر أبا عبيد حتى وصل بعد شهر من مقدم المثنى وكان قد اجتمع من الفرس جمع عظيم وعسكروا بالنمارق

بلد شمالى واسط والزاب نهر بين سوراء وواسط ونهر آخر بقربه وعلى كل منهما كورة وهما الزابان وتجمع بما حواليــه من الأنهار فيقال الزوابي ونهر جور كذلك من الأنهر المتشعبة فى جنوبي الجزيرة) فهزمت السرايا من تجمع فى هذه الجهات من الفرس وطلب امراؤها الصلح فأجيبوا ودفعوا الجزاء معجلا ثم جاءوا الى أبي عبيد بأنواع الأطعمة المحبوبة عند الفرس فقال لهم هل أكرمتم الجند بمثلها فقالوا لم يتيسر ونحن فاعلون فقال أبو عبيد (لاحاجة لنا فيه بئس المرء أبو عبيد أن صحب قوماً من بلادهم استأثر عليهم بشيء ولا والله لا آكل ما أتيتم به ولا مما أفاء الله الا مثل ما يأكل أوساطهم) فليتأمل المسلمون كيف كان سلفهم رضى الله عنهم ثم سار حتى لقي الجالينوس بباقشياثا من باروسما فقاتله حتى هرب وانهزم جيشه فأرسل أبو عبيد الى عمر بالبشارة والأخماس وفيها تمر كان لنرسي لا يأكله الاملوك الأعاجم أو من أكرموه بشيء منه أولا يغرســه غيرهم وكتب الى عمر (ان الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة تحميها وأحببنا أن تروها لتشكروا أنعام الله وأفضــاله) ولمــا رجع الجالينوس الى رستم منهزماً جهز جيشــاً عظيما تحت قيادة بهمن جاذويه المعروف بذى الحاجب ومعه الراية العظمى لفارس واسمها (درفش كابيان) عرضها ثمانية أذرع فى طول أثنى عشر من جلود النمر فلما بلغ ذلك أبا عبيد رجع الى الحيرة وأقبل الجالينوس حتى نزل قس الناطف على الفرات وأقبل أبو عبيد فنزل عدوته مقابلا لجيش الفرس وبين الفريقين نهر الفرات فنصب الفرس جسراً عليه

وقعة الجسر

وخير بهمن المسلمين في أن يعبروا هم أو يعبر الفرس اليهم فاختار أبو عبيد العبور فنهاه ذوو الرأي منهم فلم يقبل وقال لا يكون الفرس أجرأ على الموت منا فعبروا واشتد القتال وكانت الفيلة كثيرة في جيش الفرس فهابتها خيل المسلمين واشتد الأمر عليهم فقال أبو عبيد احتوشوا الفيلة واقطعوا بطانها واقلبوا عنها أهلها ووثب هو على الفيل الابيض ففعل به ذلك ولكن الفيل خبطه بيده فوقع فوطئه الفيل حتى مات فأخذ الراية بعده ثنيه فقاتل عن جثته حتى تمكن من أخذها ثم قتل فتتابع الراية سبعة نفر من ثقيف كلهم يأخذ الراية ويقتل ثم أخذ الراية المثنى فرأى أن الامر اشتد على المسلمين وابتدأ بعضهم بالهزيمة فرأوا الجسر مقطوعاً قطعه أحد المسلمين لئلا يفروا فلم يعقهم ذلك بل نزلوا في الفرات فغرق بعضهم ونجا آخرون فنادى المثنى من عبر وأمرهم بعقد الجسر فعقدوه وأمر المسلمين بالعبور وقال اعبروا على هينتكم فانا دونكم ولا تدهشوا ولا تغرقوا نفوسكم وبقي هو حتى عبر من عبر ثم عبر آخرهم وكان آخر من قتل على الجسر سليط بن قيس ومات من المسلمين في هذه الوقعة ماينيف عن أربعة آلاف بين قتيل وغريق وقد ذهب كثير ممن عبر عن المثنى استحياء مما فعلوه من الهزيمة فبقي المثنى جريحاً في قلة من جيشه ومنع الله بهمن عن العبور خاف المسلمين بما بلغه من اختلاف الفرس وانقسامهم قسمين قسم يريد رستم وقسم يريد الفيرزان فرجع عن قصده ولما بلغ عمر خبر هذه الهزيمة وان كثيراً من الناس ذهبوا

في البلاد استحياء قال (اللهم ان كل مسلم في حل منى أنا فيئة كل مسلم يرحم الله أبا عبيد لو كان انحاز الى لكنت له فيئة) ثم أمد المثنى بجيوش كثيرة فيهم جرير بن عبد الله البجلي وقومه وعصمة بن عبدالله الضبي وقومه واستنفر من حسنت توبته من المرتدين فكلما أتاه أحد منهم وجهه الى المثنى (أما) رستم والفيرزان اللذان يتنازعان امرة الفرس فانهما لما علما بذلك وجها جيشاً بقيادة مهران الفارسي الى الحيرة فكتب المثنى الى جرير وعصمة ومن معهما أن يوافوه بالعذيب (مما يلي الكوفة الآن) وسار المثنى حتى التقى بهم هناك فلقوا جيش مهران وبينهما نهر الفرات فاختار المثنى أن يعبر اليه الفرس لان المسلم لايلدغ من جحر مرتين فأبلغ الفرس ذلك فعبروا أما المثنى فسوى صفوفه وصار يحرض المسلمين ويعظهم ويقول انى لارجو أن لا تؤتى الناس من قبلكم اليوم والله مايسرني اليوم لنفسي شيء الا وهو يسرني لعامتكم وانصف الناس من نفسه فى قوله وفعله وخلطهم فى المحبوب والمكروه وقال انى مكبر ثلاثا فاذا كبرت الرابعة فاحملوا فلما كبر الاولى اعجلتهم الفرس فرأى خللا في صفوف بني عجل فارسل اليهم الامير يقرئكم السلام ويقول لكم لاتفضحوا المسلمين اليوم فاعتدلوا فضحك فرحاً ثم اشتد القتال وحمل المثنى على قلب المشركين وفيه مهران والمجنبتان تقتتلان لاتستطيع احداهما أن تفرغ النصر لاميرها لا المسلمون ولا المشركون فتغلب قلب الاسلام على قلب الشرك واوجع فيه حتى قتل مهران فلما رأى ذلك مجنبتا المسلمين مالوا على من أمامهم ميلة واحدة فردوهم على اعقابهم مدحورين فتسابقوا الى الجسر يريدون العبور فسبقهم اليه المثنى وحال بينهم وبين مايشتهون فافترقوا مصعدين

ومنحدرين وكان المثنى رضي الله عنه يذكر هذا العمل من زلاته ويقول (لاينبغي احراج من لا يقوى على امتناع) ثم سير سرية لتعقب الفرش فبلغت ساباط (موضع بالمدائن) وافتتحها وصار بعد ذلك طريق المسلمين من الحيرة الى شـواطىء دجلة آمناً ثم سار قاصداً سوق الخنافس (موضع قرب الانبار) وسوق بغداد بعد أن خلف على الحيرة بشير بن الخصاصية فأغار عليهما وسار حتى نزل نهر الساحلين بالانبار ثم سرح سرية لقتال جمع من العرب بصفين (موضع غربي الفرات من جهة الشمال وهي الآن في ولاية حلب الشهباء) فسارت اليهم وهزمتهم وبذلك صار سواد العراق للمسلمين يأخذون الجزية من أهل الذمة ويستغلون ما فتحوه عنوة ولم تبق للفرس سلطة ماغربي الفرات وضعفت في بلاد الجزيرة فتأثر من ذلك عامة الفرس ورأوا ملكهم آخذاً في الاضمحلال فالزوال ان لم يتلافوا الامر فيسعوا أولا في ازالة هذه الاختلافات التي كادت تقضي على حياتهم فاجتمع كبراؤهم عند رستم والفيرزان وقالوا لهما انه لم يساعد العرب ويكسبهم الظفر علينا الا تفرقكم وتخاذلكم فان لم تحسموا هـذا النزاع وتلتفتوا لعدوكم بدأنا بكم فاشتفينا قبل ان يضيع ملك فارس فانتهى الاميران الى قول العظماء وبحثا عن رجل من آل كسرى يصلح لولاية الملك وبعد الجهد وجدوا ابنا له اسمه يزدجرد فتوجاه بتاج الملك وفرح به الامراء وجميع الرعية واطاعه الكل فسمي جيوشاً لحماية ثغور البلاد واسترداد ما فقد منها فسير جيشا للابلة وجيشاً للحيرة وجيشاً للانبار وكانت هذه اعظم ثغورهم من الجهة الغربية فبلغت المثنى هذه الاخبار فأرسل لعمر بها فقال عمر والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب

فلم يدع رئيساً ولا ذا رأى أو شرف وبسطة ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به وكتب إلى المثنى يأمره بالانسحاب من أرض العجم والتفرق في المياه حتي تجتمع الجيوش وأمره أن لا يدع فى ربيعة ومضر أحداً من أهل النجدات ولا فارسا الا أحضره طوعا أو كرهاً فأنزل المثنى جيشه على حدود بلاد الفرس أولهم بالحلة وآخرهم بغضى (وهو جبل البصرة) متناظرين يغيث بعضهم بعضاً وكتب عمر الى عماله أن يبعثوا من كانت له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأى وخرج الى الحج سنة ثلاث عشرة فحج ورجع فجاءته أفواجهم الى المدينة ومن كان أقرب الى العراق انضم الى المثنى فلما اجتمع عند عمر جيش عظيم خرج بهم من المدينة بعد أن استخلف عليها علياً بن أبي طالب ونزل بصرار (موضع قرب المدينة) فعسكر به والمسلمون لا يعلمون قصده أيسافر الى العراق أم يقيم فسأله عثمان بن عفان عن حركته فأعلمهم واستشارهم أيقيم ويولى قيادة الجيش غيره أم يقود الجيش بنفسه فقال العامة سر وسر بنا معك وأشار خاصة أصحاب رسول الله ﷺ بالمقام وتولية رجل من أهل الشهامة والنجدة أميراً على الجيش فتبع رأيهم وانتخب لقيادة هذا الجيش العظيم سعد بن أبي وقاص الزهرى القرشى خال رسول الله ﷺ فولاه ووصاه وكان فيما قال له (ياسعد ابن أم سعد لا يغرنك من الله أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله فان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب الا بطاعته فالناس في دين الله سواء وهم عباده يتفاضلون عنده بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الى الأمر الذى رأيت رسول الله ﷺ يلزمه فالزمه) ثم سرحه بأربعة

آلاف وأتبعه بمثلها وأرسل اليه عهداً هذه صورته

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * أما بعد (فانى آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم وعدتنا ليست كعدتهم فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ولا ننصر عليهم بفضلنا ، لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ماتفعلون فاستحيوا منهم ولاتعملوا بمعاصي الله وانتم في سبيل الله ولا تقولوا أن عدونا شر منا فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل لما عملوا بمعاصى كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا وسلوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم واسأل الله ذلك لنا ولكم . وترفق بالمسلمين فى سيرهم ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم ولاتقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر ولم ينقص من قوتهم فانهم سائرون الى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع واقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة حتي تكون لهم راحة يحيون بها الأنفس ويرمون اسلحتهم وأمتعتهم ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك الامن تثق بدينه ولايرزا أحد من أهلها شيئاً فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم فتولوهم خيرا

ولا تذنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح واذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ولايخف عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو من أهل الارض من تطمئن الى نصحه وصدقه فان الكذوب لاينفعك خبره وان صدقك في بعض والغاش عين عليك وليس عينا لك وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم واختر للطلائع أهل البأس والرأى من أصحابك وتخير لهم سوابق الخيل فأن لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة واجعل أهل السرايا من أهل الجهاد والصبر على الجلاد ولاتخص بها أحد بهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك ولا تبعث طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية فاذا عاينت العدو فاضمم اليك أقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع اليك مكيدتك وقوتك ثم لا تعاجلهم بالمناجزة مالم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك ثم اذك حراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك ولا تأتى بأسير ليس له عقد الاضربت عنقه لترهب به عدو الله وعدوك والله ولى أمرك ومن معك وولى النصر لكم على عدوكم والله المستعان)

ولما وصل سعد زرود بلغه أن المثني توفي من أثر جراحة أصابته وانه ولى على جيشه بشير بن الخصاصية فجمع سعد اليه جيش المثني وكان ثمانية آلاف وعسكر بشراف وعبي الجيش وأمر الامراء وعرف على كل عشرة عريفاً وجعل على الرايات رجالا من أهل السابقة أيضا ورتب المقدمة

والساقة والمجنبات والطلائع فجعل على المقدمة زهرة بن الحوية فانتهي الى العذيب وعلى الميمنة عبد الله بن المعتم وعلى الميسرة شرحبيل بن السمط الكندى وخليفته خالد بن عرفطة وعلي الساقة عاصم بن عمرو وعلى الطلائع سواد بن مالك وعلى المجردة سلمان بن ربيعة الباهلي وعلى الرجلة حمال ابن مالك الاسدى وعلى الركبان عبد الله بن ذى السهمين الحنفي وعلى القضاء بينهم عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وكاتب الجيش زياد بن أبي سفيان ورائده وداعيه سلمان الفارسى وكل ذلك بأمر من عمر ثم سار حتى نزل القادسية (قرية قرب الكوفة ينزل بها حاج الكوفة الآن) بين العتيق والخندق (هو حفير اسابور ملك الفرس ببرية الكوفة والعتيق من فروع الفرات بحيال القنطرة (وهي قرية بها قنطرة على فرع من فروع الفرات فعرفت القرية بها) وكتب عمر الى سعد (اني القي في روعي انكم اذا لقيتم العدو غلبتموهم فمتي لاعب أحدمنكم أحدا من العجم بأمان أو إشارة أو لسان كان عندهم أمانا فاجروا له ذلك مجرى الامان والوفاء فان الخطأ بالوفاء بقية وان الخطأ بالغدر هلكة وفيها وهنكم وقوة عدوكم) وأقام سعد بالقادسية شهر الا يأتيه من الفرس خبر فبث سراياه بين كسكر والانبار فاغارت على من ليس لهم ذمة ومن غدر من أهلها فارسل أهل السواد الى يزدجرد ملك الفرس يخبرونه بما صنع المسلمون وأعلموه انه أن تأخر القوا بأيديهم فارسل يزدجرد الى رستم وأمره بالاستعداد والتاهب ليكون قائدا لجيش عظيم يحارب المسلمين فامتثل كرها لانه كان من رأيه مطاولة المسلمين حتي يهنوا وخرج فعسكر بساباط وبلغ خبره سعدا فبلغه عمر فأرسل

اليه عمر (لا يكربنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه وابعث رجالا من أهل المناظرة والرأى والجلد يدعونه فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم) فارسل سعد جماعة من الاشراف دعاة الى يزدجرد منهم النعمان ابن مقرن وقيس بن زرارة والاشعث بن قيس وفرات بن حيان وعاصم ابن عمرو وعمر بن معديكرب والمغيرة بن شعبة فلماوصلوا المدائن ادخلوا على يزدجرد فسألهم بواسطة ترجمانه ماجاء بكم ودعاكم الى غزونا والولوع ببلادنا أمن أجل أنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا فتكلم عنهم النعمان بن مقرن فقال (ان الله رحمنا فارسل الينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة الا قاربه منها فرقة وتباعد عنه منها فرقة ثم أمر أن نبتدىء بمن خالفه من العرب فبدأنا فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتبط وطائع فازداد فعرفنا جميعا فضل ماجاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق ثم أمر أن نبتدىء بمن جاورنا من الأمم فندعوهم الى الانصاف فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله فان ابيتم فأمر من الشر أهون من آخر شر منه الجزية فان أبيتم فالمناجزة فان اجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وان بذلتم الجزاء قبلنا منكم ومنعناكم والا قاتلناكم) فقال يزدجرد إني لا أعلم أمة فى الارض كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم فقد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونا أمركم ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس فان كان غرور لحقكم فلا يغرنكم منا وان كان الجهد فرضنا لكم قوتا

الى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسونا كم وملكنا عليكم ما كا يرفق بكم فقام قيس بن زرارة فقال أما ما ذكرت من سوء الحال فكما وصفت واشد ثم ذكر من عيش العرب ورحمة الله بهم بارسال النبي ﷺ مثل مقالة النعمان ثم قال (اختر اما الجزية عن يد وانت صاغر او السيف والا فنج نفسك بالاسلام) فقال يزدجرد لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم لا شيء لكم عندي ثم استدعي بوقر من تراب وقال لقومه احملوه على اشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن فقام عاصم بن عمر وقال انا أشرفهم وأخذ التراب فحمله وخرج الى راحلته فركبها ولما وصل الى سعد قال له ابشر فوالله لقد أعطانا الله أقاليد ملكهم ثم أن رستم خرج بجيشه الهائل مائة الف أو يزيدون من ساباط فلما مر على كوثي (قرية بين المدائن وبابل) لقيه رجل من العرب فقال له رستم ماجاء بكم وماذا تطلبون منا قال جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وابنائكم ان أبيتم أن تسلموا قال رستم فان قتلتم قبل ذلك قال من قتل منا دخل الجنة ومن بقي أنجزه الله وعده فنحن على يقين قال رستم قد وضعنا اذاً في أيديكم قال العربي أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها فلا يغرنك ماترى حولك فانك لست تجادل الانس وانما تجادل القدر فغضب منه رستم وقتله فلما مر بجيشه على البرس (قرية بين الكوفة والحلة) غصبوا أبناء أهله وأموالهم وشربوا الخمور ووقعوا على النساء فشكى اهل البرس الى رستم فقال لقومه والله لقد صدق العربي والله ماأسلمنا الا اعمالنا والله ان العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب احسن سيرة منكم ثم سار حتى نزل الحيرة فعنف عظماءها على الاستسلام للمسلمين فقال

له ابن بقيلة لا تجمع علينا ان تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن انفسنا (ولما) علم سعد امير جيش المسلمين خبر رستم ارسل عمرو بن معد يكرب الزبيدى وطليحة بن خويلد الاسدى يستكشفان خبر الجيش مع عشرة رجال فلم يسيروا الا قليلا حتى رأوا سرح العدو منتشراً على الطفوف فرجعوا الا طليحة فانه ظل سائراً حتى دخل جيش العدو وعلم مافيه فرجع الى سعد وأخبره خبره

وقعة القادسية

ثم أن رستم سار بجيشه من الحيرة حتى نزل القادسية على العتيق (جسر القادسية) امام عسكر المسلمين يحول بينهم وبين النهر ومع الفرس ثلاثة وثلاثون فيلا ولما نزل ارسل الى سعد ان ابعث الينا رجلا نكلمه فأرسل اليه ربعي بن عامر فجاءه وقد جلس على سرير من ذهب وبسط النمارق والوسائد منسوجة بالذهب فأقبل ربعي على فرسه وسيفه في خرقة ورمحه مشدود بعصب فلما انتهى الى البساط وطئه بفرسه ثم نزل وربطها بوسادتين شقهما وجعل الحبل فيهما ثم اخذ عباءة بعيره فاشتملها فأشاروا عليه بوضع سلاحه فقال لو اتيتكم فعلت ذلك بامركم وانما دعوتموني ثم اقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه حتى افسد مامر عليه من البسط ثم دنا من رستم وجلس على الارض وركز رمحه على البساط وقال انا لانقعد على زينتكم فقال له رستم ماجاء بكم قال (الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام

فأرسل رسوله بدينه الى خلقه فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وارضه ومن أبى قاتلناه حتى نفضي الى الجنة أو الظفر (فقال رستم قد سمعنا قولكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه فقال نعم (وان مما سن انا رسول الله ﷺ أن لا نمكن الاعداء اكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر فى امرك واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل: الاسلام وندعك وارضك أو الجزاء فنقبل ونكف عنك وان احتجت الينا نصرناك أو المنابذة في اليوم الرابع الا أن تبدأ بنا وأنا كفيل بذلك عن اصحابي) فقال رستم أسيدهم انت قال لا (ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجيز ادناهم على أعلاهم) ثم انصرف فخلا رستم باصحابه وقال رأيتم كلاما قط مثل كلام هذا الرجل فأروه الاستخفاف بشأنه فقال رستم ويلكم إنما انظر الى الرأى والكلام والسيرة والعرب تستخف اللباس وتصون الاحساب فلما كان اليوم الثانى من نزوله ارسل الى سعد ان ابعث الينا هذا الرجل فأرسل اليه حذيفة بن محصن الغلفانى فلم يختلف عن ربعى في العمل والاجابة ولا غرابة فهما مستقيان من ماء واحد وهو دين الاسلام فقال له رستم ماقعد بالاول عنا قال (أميرنا يعدل بيننا في الشدة والرخاء وهذه نوبتى) فقال رستم والمواعدة الى متى قال الى ثلاث من امس وفى اليوم الثالث ارسل الى سعد أن ابعث الينا رجلا فأرسل اليه المغيرة بن شعبة فتوجه اليه ولما كان بحضرته جلس معه على سريره فأقبلت اليه الاعوان يجذبونه فقال لهم (قد كانت تبلغنا عنكم الاحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم انا معشر العرب لايستعبد بعضنا بعضاً الا ان يكون محارباً لصاحبه فظننت انكم تواسون

قومكم كما نتواسى وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم ارباب بعض وان هذا الأمر لايستقيم فيكم واني لم آتكم ولكنكم دعوتموني . اليوم علمت انكم مغلوبون وان ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول) فقالت السوقة صدق والله العربي وقالت الدهاقين (زعماء الفلاحين) لقد رمي بكلام لا تزال عبيدنا تنزع اليه قاتل الله سابقينا حيث كانوا يصغرون امر هذه الأمة ثم تكلم رستم بكلام عظم فيه شأن الفرس وصغر شأن العرب وذكر ما كانوا عليه من سوء الحال وضيق العيش فقال المغيرة (أما الذى وصفتنا به من سوء الحال والضيق والاختلاف فنعرفه ولا ننكره والدنيا دول والشدة بعدها الرخاء ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم قليلا على ما أوتيتم وقد أسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال وان الله بعث فينا رسولا ثم ذكر مثل ما تقدم وختم كلامه بالتخيير بين الاسلام أو الجزية أو المنابذة ثم رجع فخلا رستم بأهل فارس وقال أين هؤلاء منكم ألم يأتكم الاولان فحسرا كم واستخرجا كم ثم جاء كم هذا فلم يختلفوا وسلكوا طريقا واحداً ولزموا أمراواحدا هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا ام كاذبين والله لئن بلغ من أدبهم وصونهم لسرهم أن لا يختلفوا فما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم لئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء فلجوا ولم تنتفع الفرس بهذه الدعوة بل تمادوا فى غيهم ليقضى الله أمراً كان مفعولا فاجمع القائدان على المناجزة وأقرا على أن يعبر الفرس نهر العتيق فعبروا وعبي رستم جيشه العرمرم وجعل بينه وبين يزدجرد بريداً يخبره بالحوادث فى أوقاتها وعبي أمير المسلمين جيوشه وكانت

صفوفهم مع حائط قديس والخندق فكان الجيشان بين العتيق والخندق وارسل سعد رجالا من ذوى المنطق الفصيح يحرضون على الجهاد وأمر القراء بقراءة سورة الانفال فقرئت ولما أتموا قراءتها شهت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة بقراءتها ثم قال لهم سعد الزموا مصافكم فاذا صليت الظهر فاني مكبر فاذا كبرت الاولى فكبروا واستعدوا واذا كبرت الثانية فكبروا والبسوا عدتكم واذا كبرت الثالثة فكبروا ونشطوا الناس فاذا كبرت الرابعة فازحفوا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا (لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم) وكان ذلك في المحرم من السنة الرابعة عشرة فلما كبر سعد تكبيرته الاخيرة خرج أهل النجدات فأنشبوا القتال ثم حمل الجيشان ولم يكن أشد على المسلمين من الفيلة وكادت بجيلة أن تهلك انفار خيلها فأرسل سعد الى بني أسد أن دافعوا عن بجيلة فقام رئيسهم طليحة بن خويلد بما عهد اليه خير قيام فلما رأى الاشعث بن قيس مايفعله بنواسد قال لقومه يابنى كندة لله دربني أسد أى فرى يفرون وأى هذ يهذون أغنى كل قوم مايليهم وانتم تنتظرون من يكفيكم أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم من العرب ثم نهد فنهدوا معه وأزالوا من بإزائهم ووجه الفرس قوتهم الى بنى اسد لما رأو من شدتهم على الفيلة فدارت رحي الحرب على بنى أسد والفيلة تضربهم كثيرا فارسل سعد الى عاصم بن عمرو زعيم بني تميم أن ينظر حيلة للفيلة فنادى رماة قومه وقال لهم ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال لآخرين استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها (الوضين بطان عريض منسوج من سيور أو شعر والبطان حزام القتب) ففعلوا

فعوت الفيلة وقتل أصحابها فنفس عن أسد بعد أن قتل منهم خاصة في هذه الموقعة نحو خمسمائة ولم يزل القتال نارا تلظى الى أن غربت الشمس فانفصل الجيشان وهذا هو اليوم الاول من أيام القادسية ويسمى يوم ارماث وتسمى ليلته ليلة الهدأة لانه لم يحصل فيها قتال فلما أصبحوا وكل سعد بالجرحى من يداويهم وبالقتلى من يدفنهم وعبي الجيش كما كان بالأمس وبينما هم مصطفون اذ قدم على المسلمين مدد من الشام بعثه بأمر عمر ابو عبيدة عامر بن الجراح وعليه هاشم بن عتبة بن ابي وقاص الملقب بالمرقال (لقبه بذلك على بن ابى طالب يوم صفين لانه أعطاه الراية فصار يرقل بها اى يمرح) وكان على مقدمته القعقاع بن عمرو فوصل أولا لانه تعجل فقدم صبيحة اليوم الثانى من ايام القادسية فقويت به قلوب المسلمين ولم يلبث حتى خرج يطلب البراز فبرز اليه ذو الحاجب صاحب وقعة الجسر فعرفه القعقاع ونادى يالثارات ابى عبيد وسليط واصحاب الجسر ثم تضاربا فقتل ذو الحاجب وافرح قتله المسلمين بقدر ما احزن المشركين ثم حمى القتال وفى هذا اليوم شعر المسلمون بالظفر لان الفيلة كانت تكسرت توابيتها فاشتغل الفرس باصلاحها وحمل بنو عم القعقاع عشرة عشرة على ابل قد البسوها وهي مجللة مبرقعة واطافت بها خيولهم تحميهم وامرهم القعقاع أن يحملوها على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة فلقيت منها خيل الفرس اعظم مالاقت خيل المسلمين بالامس واظهر القعقاع فى هذا اليوم شجاعة عظمى واستمر القتال الى نصف الليل فانفصل الجيشان ويسمى هذا اليوم يوم اغواث وهو اليوم

الثاني من ايام القادسية وتسمي ليلته ليلة السواد ثم اصبحوا فى اليوم الثالث وهو يوم عماس على مصافهم وبين الصفين من جرحي المسلمين وقتلاهم الفان فنقلهم اخوانهم الجرحي للمداواة والقتيل للدفن وكان النساء هن اللاتي يداوين الجرحي اما قتلى المشركين الذين يزيدون على عشرة آلاف فلم يعتن قومهم بنقلهم وفي هذا اليوم اقبل هاشم المرقال في بقية جيشه وقد احترس الفرس فى هذا اليوم على الفيلة فجعلوا وراءها رجالا يحمونها لئلا تقطع وضنها ولكن خيل المسلمين لم تنفر منها لان الفيل اذا كان وحده كان أوحش واذا أحاط به الرجال كان آنس ولان الخيل أيضا تعودت رؤيتها ثم ابتدأ القتال وحمي وطيسه فانتدب سعد القعقاع ومعه آخر لقتل الفيل الأبيض وهو كبير الفيلة وانتدب آخران لقتل الفيل الأجرب فذهب القعقاع ورفيقه وأشرع كل منهما رمحه فوضعه فى عين الفيل فوقع لجنبه ثم قتلا ساسته وذهب الآخران فطعن أحدهما الفيل في عينه فأقعى (تساند الى ماوراءه) ثم استوى فضربه الثانى فأبان مشفره فولي الفيل لايلوى على شيء حتى رمى نفسه فى العتيق وتبعه الفيلة فخرقت صفوف الاعاجم وعبرت العتيق وظل القتال مستمراً حتي جاء المساء فانفصل الجيشان قليلا ثم أمر سعد بمعاودة القتال متى اعلن بشعار القتال وهو (الله أكبر) فاعجلتهم الفرس عن انتظار تكبير سعد فحمل القعقاع ولم ينتظر فقال سعد اللهم اغفر له وانصره فقد اذنت له وان لم يستأذن لان المسلمين قد جربوا نتائج العصيان فى وقعة أحد في عهد رسول الله ﷺ فخاف سعد أن يعاقبوا فأذن في القتال وان لم يستأذنوه ثم حمل بنو أسد فقال سعد اللهم اغفر لهم

وانصرهم فقد أذنت لهم وهكذا كان يقول رضى الله عنه كلما حمل قوم قبل اعلانه التكبير فلما صلى العشاء كبر فحمل المسلمون كلهم وكانت ليلة ايلاء صوت الحديد فيها وكان كصوت القيون. وترك المسلمون الكلام واذا كانوا يهرون هريرا ولذلك سميت هذه الليلة ليلة الهرير رأى فيها العرب والفرس مالم يروا مثله قبلها فالمسلمون يحامون عن دينهم والفرس يحامون عن دولتهم ولكن أين من يحارب عن الدنيا ممن يحارب لتكون كلمة الله هى العليا واستمر القتال الى الصباح فقال القعقاع ان الدائرة تكون لمن صبر ساعة فاصبروا ساعة فان النصر مع الصبر فانضم اليه جماعة من الرؤساء واستمروا يقاتلون حتى قام قائم الظهيرة فابتدأ الفرس بالتقهقر وكان أول من زال الفيرزان والهرمزان فتأخرا عن مواقفهما ثم حمل هلال ابن علفه احد فرسان المسلمين فقتل رستم فلما رأى ذلك الفرس ابتدؤا بالانهزام فقام الجالينوس على الردم ومر الجيش بالعبور فعبر من نجا منهم فتبعهم زهرة ابن الحوية وادرك الجالينوس وهو يجمع المنهزمين فقتله وأخذ ضرار بن الخطاب الفهري الراية العظمى لفارس وهي (درفش كابيان) ويسمى هذا اليوم يوم القادسية وبعد تمام الهزيمة أمر سعد بجمع الاسلاب والغنائم وكانت شيئا كثيرا فقسمها كما أمر الله سبحانه وتعالى وهنأ جنوده بهذا النصر المبين وبعث بالخمس والبشارة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكان رضى الله عنه يخرج كل يوم من المدينة يتنسم الأخبار حتى يرده حر الظهيرة فلما جاء البشير لاقاه عمر وهو يسير سيرا حثيثا فسأله عمر من اين فاخبره الرجل انه آت من قبل سعد فقال ياعبد الله حدثنى قال هزم الله

المشركين وعمر يخب وراءه الرجل لايعرفه حتى دخل المدينة فاذا الناس يسلمون عليه بأمرة المؤمنين فقال البشير هلا اخبرتني رحمك الله فقال عمر لابأس عليك ياأخي

وهذه الموقعة كانت أعظم وقعات المسلمين مع فارس قتل فيهامشاهير الفرس وكبار قوادهم وقتل من الجيش كثير غرقا وقتلا وقاتل فيها أغلب رؤساء العرب لان عمر لم يترك احدا من ذوى النجدات يتأخر عنها وكان المسلمون لا يذكرون مابعدها من الوقائع وأقام سعد بالقادسية شهرين ينتظر أمر عمر حتى جاءه بالتوجه لفتح المدائن وتخليف النساء والعيال بالعتيق مع جند كثيف يحوطهم وعهد اليه ان يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمون في عيالاتهم ففعل وسار بالجيش لأيام بقين من شوال وكان فل المنهزمين لحق ببابل وفيهم بقايا الرؤساء مصممين على المدافعة

فتح البرس

فلما وصلت مقدمة المسلمين برس قابلهم فيها بعض عساكر الفرس فقاتلوا ثم انهزموا ولما أدركهم سعد اخبروه الخبر فسر واستمر سائرا حتى وصل بابل

فتح بابل

وهناك عبر الفرات وقاتل من تجمع ببابل فلم يلبث الفرس الا ساعة من نهار وانهزموا مدحورين في أسرع من لفت الرداء وناهيك بقتال من ملىء قلبه رعباً وهذا مصداق قول رسول الله ﷺ (نصرت بالرعب)

وهرب الفيرزان الى نهاوند وهرب الهرمزان الى الاهواز (اقليم بالجنوب الغربي من بلاد فارس بين البصرة واقليم فارس وهى تسع كور وقاعدتها السوس ومن مدنها تستر) وقصد بقية المنهزمين المدائن (مدينة كسرى جنوبي بغداد على الدجلة وسميت المدائن لكبرها وهى غربية وشرقية وفى هذه ايوان كسرى وهي قاعدة الملك) وتبع زهرة المنهزمين فلحقهم بين الدير وكوثى فطردهم وقتل منهم جمعا عظيما

فتح كوثي

ثم سار حتى وصل كوثى فخرج اليه أميرها مقاتلا فقتل وانهزم جيشه وانتظر زهرة هناك سعداً

فتح ساباط

وبعد أن وصل سار زهرة حتى ورد ساباط فصالحه أهلها على الجزية وانتظر سعداً فلما جاء سار الجيش كله قاصداً بهرسير وهي المدينة الغربية فرأى المسلمون ايوان كسرى أمامهم وتذكروا وعد رسول الله ﷺ روى مسلم عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال (عصيبة من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض بيت كسرى أو آل كسرى) فقويت قلوبهم وعظمت همتهم وهؤلاء جديرون بنصر الله لهم لأنهم على يقين من دينهم فكلما سنحت لهم فرصة تقربهم الى الله بادروا اليها (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) ونادى ضرار بن الخطاب الله أكبر هذا أبيض كسرى هذا ما وعد الله

وصدق رسوله وكبر وكبر معه المسلمون وحاصر سعد المدينة في ذي الحجة من السنة الرابعة عشرة وأرسل الخيل لفتح القرى المجاورة واستشار سعد عمر في أسرى الفلاحين فجمع عمر أصحاب شوراه وخطبهم فقال (انه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط حظه ولا يضر الا نفسه ومن يتبع السنة وينته الى الشرائع ويلزم السبيل النهج ابتغاء ماعند الله لأهل الطاعة أصاب أمره وظفر بحظه وذلك بأن الله عز وجل يقول (ووجدوا ماعملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) وقد ظفر أهل الأيام والقوادس بما يليهم وجلا أهله وأتاهم من أقام على عهدهم فما رأيكم فيمن زعم أنه استكره وحشر وفيمن لم يدع ذلك ولم يقم وجلا وفيمن أقام ولم يدع شيئاً ولم يجل وفيمن استسلم) فأجمعوا على الوفاء لمن أقام وكف لم يزده غلبه الا خيراً وان من ادعي فصدق أو وفى فبمنزلتهم وان كذب نبذ اليهم أو أعادوا صلحهم وأن يجعل أمر من جلا اليهم فان شاؤوا دعوهم وكانوا لهم ذمة وان شاؤا تموا على منعهم من أرضهم ولم يعطوهم الا القتال وأن يخيروا من أقام واستسلم بين الجزاء والجلاء فكتب عمر الى سعد بما أقر عليه علماء المسلمين ورجال شوراهم فخلى سعد عن الفلاحين وأرسل الى الدهاقين ودعاهم الى الاسلام أو الجزية ولهم الذمة فتراجعوا ولم يبق غربي دجلة سوادى الا دخل في ذمة المسلمين واغتبط بملكهم كيف لا وقد رأوا قوماً أساس دينهم المساواة فأميرهم كاصغر الرعية أمام الحق لا كبر، لا ظلم، لا فساد في الارض، خفت عنهم وطأة الكبرياء والعبودية التي كانوا يسامونها فصاروا عباد الله وحده (ولما) اشتد الحصار على المدائن الغربية ترك يزدجرد المدينة وعبر الى المدينة الشرقية فعزم سعد على العبور

ولكن الفرس كانوا جمعوا المعابر فدله فارسي على مخاضة تصلح للعبور فقال سعد لرؤساء الجيش اني قد عزمت على قطع هذا البحر فقالوا جميعاً عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل فانتدب منهم من يعدى أولا ويحمى الفراض حتى يعبر المسلمون فأجابه لذلك ذو البأس والنجدة عاصم بن عمرو سيد بنى تميم فعبر في ستين فارسا من قومه فلما رآهم الاعاجم قصدوهم فشرعوا نحوهم الرماح فلم يصبر الفرس ولما رأى سعد أن الفراض محمية أمر المسلمين بالعبور فعبروا وهم يقولون نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وكان يساير سعدا سلمان الفارسى فعامت بهم خيولهم وسعد يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن عدوه ان لم يكن في الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات . فقال له سلمان الاسلام جديد ذللت لهم البحور كما ذلل لهم البر أما والذى نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فأبر الله قسمه وخرجوا ولم يفقد أحد منهم شيئا ولم يغرق منهم أحد غير أن رجلا زال عن ظهر فرسه فثنى القعقاع عنان فرسه اليه فأخذ بيده وأخرجه سالما فانظر رعاك الله كيف لم تشغل القعقاع نفسه وهو فى أحرج المواقف بل آثر رفيقه على نفسه وبذلك تتجلى لك مظاهر الاسلام والاخوة الاسلامية في أعلى درجاتها . وكان هذا اليوم يسمي يوم الجراثيم لا يعيي أحد الا تبينت له جرثومة يريح عليها (ولما) رأى الفرس عبور المسلمين سقط في أيديهم ورأوا أن لا قبل لهم بالمدافعة فترك يزدجرد المدينة وهرب قاصداً حلوان (بلدة بينها وبين بغداد اربعة مراحل وهي منتهى العراق من جهة الشرق

وتعد من كور الجبال وهي مبنية على شاطيء نهر متفرع من دجلة وتقابل طبرستان) وكان قد قدم اليها أهله وولده فدخل المسلمون المدينة من غير معارض ونزل سعد القصر الابيض واتخذه مصلى وقرأ قوله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين) وابتدأ يجمع الغنائم والاسلاب وكانت شيئا عظيما وأرسل وراء الهاربين بالاموال والذخائر فأتى بهم ولم يفلت منهم أحد وكان أول من دخل المدائن من جيوش المسلمين كتيبة القعقاع بن عمرو وتسمى الخرساء وبعدها كتيبة عاصم بن عمرو وتسمى كتيبة الاهوال ثم قسم سعد الغنيمة فأصاب الفارس اثنا عشر الفا وقسم المنازل بين الناس وأحضر العيالات من العتيق فانزلهم الدور وصارت المدائن قاعدة لاعمال العراق يقيم بها أميره وكانت اول جمعة جمعت بالمدائن في صفر من السنة السادسة عشرة وارسل سعد الاخماس الى عمر ومعها كل شيء أراد أن يعجب منه العرب وكان فتح المدائن في أواخر السنة الخامسة عشرة ولما قدم البشير على عمر بذخائر كسرى قال ان قوما أدوا هذا لذوو أمانة فقال له علي (انك عففت فعفت الرعية) ومما بعث به اليه بساط كان لكسرى يسمى القطف وكان ستين ذراعاً فى ستين فاستشار عمر أصحابه فيما يفعل به فكلهم أشار عليه بأخذه لنفسه الا عليا فانه قال له يا أمير المؤمنين الامر كما قالوا ولم يبق الا التروية انك ان تقبله على هذا اليوم لم تعدم في غد من يستحق به ماليس له قال صدقتني ونصحتني فقسمه بينهم وولى عمر سعد ابن ابي وقاص صلاة ماغلب عليه وحربه وولى على الخراج النعمان بن مقرن

على ما سقت دجلة ، وسويدا اخاه على ما سق الفرات ثم استعفيا فولى عملهما حذيفة بن أسيد وجابر بن عمرو المزنى ثم ولى عملهما بعد حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف.

فتح جلولاء

ولما انهزم الفرس ورحلوا عن المدائن اتجهوا شمالا حتى وصلوا جلولاء شرق دجلة (بلدة على شاطىء دجلة شمالي المدائن وهي من اعمال بغداد فافترقت بهم الطرق ، أهل أذربيجان يريدون الشمال وأهل اقليم فارس يريدون الجنوب فقالوا ان افترقنا لم نجتمع فهلم فلنحتشد لحرب العرب هنا فان كانت لنا كان ما أردنا وان كانت علينا كنا شفينا أنفسنا وولوا أمرهم مهران الرازى وحفروا حولهم خندقاً أحاطوه بحسك الحديد الا طرقهم فبلغ ذلك سعداً فسرح اليهم ابن أخيه هاشم بن عتبة في اثنى عشر الفاً وجعل على مقدمته القعقاع حسبما أمر عمر فساروا في صفر من السنة السادسة عشرة حتى أتوا جلولاء فانحصر الفرس فى خنادقهم ثمانين يوماً ولا يقدر عليهم المسلمون وبعد هذه المدة انكشف لهم طريق من الخندق كان المشركون أعدوه لسير خيلهم فهجموا منه وقاتلوهم قتالا شديداً شبيهاً بقتال ليلة الهرير الا أنه كان أسرع فقتل من المشركين مقتلة عظيمة وانتهى القتال بهزيمتهم الى خانقين فتبعهم اليها القعقاع وهزمهم منها. أما يزدجرد فانه لما بلغه امتلاك المسلمين لجلولاء ترك حلوان وتوجه الى الرى فسار القعقاع الى حلوان وامتلكها ثم أرسل سعد الى عمر يخبره بهزيمة الفرس ويستأذنه في اتباعهم

الى داخل بلادهم فلم يرض عمر وقال وددت ان بين السواد والجبل سداً حصيناً من ريف السواد فقد آثرت سلامة المسلمين على الفيء والاخماس ولما قدمت عليه الاخماس قال والله لايجنها سقف حتى أقسمها فبات عبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن الأرقم يحرسانها في المسجد فلما أصبح الصبح جاء عمر فنظر الى مافى الاخماس من جوهر ودر فبكى فقال عبد الرحمن مايبكيك يا أمير المؤمنين فوالله ان هذا لموطن شكر فقال عمر والله ما ذلك يبكيني وبالله ما أعطى الله هذا قوماً الا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم ومنع عمر من قسمة السواد وهو ما بين حلوان شرقاً الى القادسية غربا وكان فتح جلولاء في ذى القعدة من السنة السادسة عشرة وفي جمادى الاولى من السنة السادسة عشرة بلغ سعداً أن الانطاق ملك الموصل سار منها الى تكريت (بلد على شاطىء دجلة الشرقى شمال بغداد) ومعه جمع كثير من الروم والعرب فسير اليه عبد الله بن المعتم حسبما أمر عمر فسار عبد الله الى تكريت وحصرها أربعين يوماً وفى نهايتها راسل العرب الذين مع الانطاق يستميلهم اليه ويدعوهم لنصرته وخذلان الفرس والاروام الذين يئسوا من جنسهم فأجابوه لذلك وانهم معه فارسل اليهم ان كنتم صادقين فأسلموا فهداهم الله للدين القويم وأسلموا فأرسل اليهم اذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا انا قد أخذنا أبواب الخندق فخذوا الابواب التى تلى دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ثم حمل عبد الله وكبر فكبر العرب فظن المشركون أن المسلمين جاؤهم من خلفهم مما يلى دجلة فقصدوا أبواب الخندق فأخذتهم سيوف المسلمين فلم يستطيعوا مدافعة وهرب منهم من أطاق الهرب ودخل المسلمون المدينة

فتح نينوى والموصل

ثم أرسل عبد الله سرية لفتح نينوى والموصل (بلدان علي دجلة بعد الدرجة السادسة والثلاثين من العرض الشمالى الاولى على الشاطىء الشرقي والأخرى على الغربى) وأرسل في هذه السرية جمعاً من العرب الذين كانوا مع الفرس فسبقوا الى البلدين وأخبروا بفتح وظفر للفرس ففتحت لهم الابواب ولم يلبث المسلمون أن جاؤا قد خلوا من غير معارض فطاب أهلها الأمان على الجزية فأمنوا وصاروا ذمة ثم قسم عبد الله الغنائم وأرسل الخمس الى عمر

فتح ماسبذان

(ثم) بلغ سعداً أن جمعاً عظيما من الفرس تجمعوا بسهل ماسبذان فارسل اليهم ضرار بن الخطاب الفهرى فشتت شملهم وأقام بماسبذان مرابطاً لأنها كانت ثغراً تؤتى المدائن من قبلها

فتح هيت

(ثم) أرسل سعد عمر بن مالك بجيش الى هيت (ناحية من نواحي بغداد) لفتحها فجاء وقد خندق حولها المشركون فحاصرها وفى أثناء الحصار افتتح قرقيساء) بلد على شاطىء الفرات شمالى الانبار بينها وبين الرقة وهذه واسطة ديار ربيعة التى مركزها نصيبين) ولما رأى أهل هيت أن لاقبل لهم بالحرب أجابوا الى دفع الجزية وصاروا ذمة

تخطيط الكوفة

مكثت المدائن قاعدة اعمال العراق منذ فتحت الى السنة السابعة عشرة فرأى عمر بن الخطاب فى وجوه العرب الذين نزلوا بها تغيراً فى ألوانهم وضعفاً في ابدانهم فكتب الى سعد ان ابعث سلمان الفارسى وحذيفة بن اليمان رائدين فاير تادا منزلا بريا بحريا ليس بينى وبينكم فيه بحر ولا جسر فأرساهما سعد كل واحد من جهة فاجتمعا بالكوفة ومعناها الرملة الحمراء المستديرة أو كل رملة تخالطها حصباء فاستحسناها وصليا بها ودعوا الله أن يجعلها منزل الثبات ثم رجعا الى سعد وأخبراه فارسل الى القعقاع وعبد الله ابن المعتم أن يستخلفا على جيوشهما ويحضرا ثم سار من المدائن حتى وصل أرض الكوفة فعسكر بها فى المحرم من السنة السابعة عشرة ثم استشاروا عمر فى البناء بالقصب فأذن لهم ولما حصل فيها الحريق عقب تخطيطها استأذنوه فى البناء باللبن فقال افعلوا ولا يزيدن أحدكم عن ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة وكان مخطط الكوفة أبو هياج بن مالك فجعل النهج (الشارع الأعظم) اربعين ذراعا وما يليه ثلاثين وما بين ذلك عشرين والأزقة سبعة أذرع ليس دون ذلك شيء وجعل القطائع ستين ذراعا وأول شيء أسس فيها المسجد وبنى بحياله داراً لسعد وهي قصر الكوفة والمدينة مبنية على الشاطيء الغربى لنهر الفرات بينها وبينه نحو نصف فرسخ كله حدائق نخل ملتفة تمتد سوادها امتداد البصر والمسافة بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا أي عرض الجزيرة من هناك . وبعد أن تم تخطيطها

نقل اليها العرب الذين بالمدائن بعد أن خيرهم فمن شاء الاقامة بالمدائن تركه ومن شاء الرجوع الي الكوفة رجع وصارت قاعدة أعمال العراق من ذلك الحين وفى هذه السنة على ماعليه اكثر المؤرخين أسست مدينة البصرة وهى قريبة من خليج فارس على مجتمع الدجلة والفرات أسسها عتبة بن غزوان بأمر عمر وصارت قاعدة ثانية للعراق لأن عمر قسمه قسمين أعلى وقاعدته الكوفة وواليها سعد وأسفل وقاعدته البصرة وواليها عتبة وقد كان يتبع الكوفة من ولايات الفرس بعد افتتاحها الباب واذربيجان وهمذان والري وأصبهان وماه والموصل وقرقيساء وكلها في الجهة الشمالية وكان يتبع البصرة خراسان وسجستان ومكران وكرمان وفارس والاهواز

غزو الفرس من البحرين

كان المسلمون فى العصر الاول يتنافسون فيما يقربهم الى الله فلما رأى العلاء بن الحضرمي أمير البحرين نكاية سعد فى الفرس أراد أن يؤثر فيهم أثراً مثله فانتدب اصحابه لذلك فأجابوه فقسمهم ثلاث فرق على احداها الجارود بن المعلى العبدى وعلى الثانية سوار بن همام وعلى الثالثة خليد بن المنذر بن ساوى وهو الرئيس العام واجازهم خليج الفارسى لفتح تلك الجهات ولكن مما يؤسف له ان هذا العمل كان بغير استشارة أمير المؤمنين وخصوصاً أن الغزو من البحر كان مما لا يراه عمر بن الخطاب وكثيراً ما كان ينهى عنه خوف الغرق فعبر جيش العلاء البحر وسار حتى أتى اصطخر (وسط اقليم فارس وهي المدينة العظمى فيه) فخرج اليهم جمع عظيم من الفرس وحالوا بينهم وبين مراكبهم فلما علم بذلك خليد خطب اصحابه

فقال (أما بعد فان القوم لم يدعوكم الى حربهم وانما جئتم لهم والسفن والارض لمن غلب فاستعينوا الصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين، ثم عبىء جيشه وحمل فقتل من المسلمين الجارود وسوار وقتل من الفرس كثير . ولما رأى المسلمون أن مكثهم وهم قليلون وسط بلاد الفرس تغرير بهم أرادوا الرجوع الى البصرة من طريق البر لأنه لا سبيل لهم الى السفن فأخذ الفرس عليهم الطريق فعسكروا وامتنعوا ولما بلغ عمر فعلة العلاء وحصر المسلمين ارسل لعتبة بن غزوان أمير البصرة أن يجهز جيشا كثيفا لتخليص المحصورين قبل أن يهلكوا فجهز لهم جيشا فيه اثنا عشر الف مقاتل فساروا حتى التقوا بالمسلمين وقد جمع لهم الفرس جمعا عظيما فقاتلوهم حتى هزموهم وخلصوا اخوانهم من شر عمل لم يستشر فيه أمير المؤمنين وهذه أول غزوة شرفت بها نابتة البصرة وكان عقاب عمر للعلاء ان صرفه عن امارة البحرين وسيره الى الكوفة ليكون تحت امرة سعد

فتح الاهواز

قدمنا ان الهرمزان لما انهزم من القادسية قصد الاهواز وملك خوزستان (من كور الاهواز وهي الآن اسم لاقليم فى بلاد الفرس قاعدته تستر) وكان يغير على أهل ميسان (كورة بين البصرة وواسط) يأتي اليها من مناذر ونهر تيرى (من ثغور الأهواز) فارسل عتبة بن غزوان الى عمر يخبره بخبر الهرمزان فأرسل عمر الى سعد امير الكوفة ان يمد عتبة فأمده بنعيم ابن مقرن ونعيم بن مسعود وامرهما أن ياتيا اعلى ميسان حتى يكونا بين

البصرة وثغور الاهواز وارسل عتبة سلمى بن القين وحرملة بن مريط فنزلا على ثغور البصرة بميسان ودعوا من يقيم هنالك من العرب ليكونوا مع المسلمين على قتال الفرس فاجابهم بنو العم وكانوا ينزلون قبل الاسلام بخوزستان فتعد الأميران مع رئيسين من هؤلاء العرب على أن يثور احدهما بمناذر والآخر بنهر تيرى في يوم عيناه لهما فلما كان هذا اليوم انشب جيشا البصرة والكوفة القتال مع الهرمزان وبينما هو يقاتل اذجاءه الخبر بأخذ مناذر ونهر تيرى فانكسرت نفسه وانهزم جيشه فاتبعهم المسلمون الى شاطيء دجيل (شعب من دجلة بالاهواز) وعبر الهرمزان جسر سوق الاهواز وطلب الصلح فصولح على ما دون مناذر ونهر تيرى المأخوذين عنوة وأقيمت فيهما حامية وكان فتح الاهواز في السنة السابعة عشرة ورجع باقي المسلمين الى البصرة ومعهم بنو العم الذين هدوا للاسلام فأرسل عتبة وفدا منهم الى عمر وفيهم الاحنف بن قيس فلما وصلوا اليه طلب من كل منهم أن يرفع اليه حاجة فطلب كل واحد منهم خاصة نفسه الا الاحنف ابن قيس فانه قال (ياأمير المؤمنين لقد يعزب عنك مايحق علينا انهاؤه اليك مما فيه صلاح العامة وانما ينظر الوالى فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر ويسمع بآذانهم) ثم ذكر حال البصرة وحال الكوفة وبين ما امتاز به الكوفيون عن اخوانهم البصريين وقال في آخر كلامه (وقد وسع الله علينا وزادنا في ارضنا فوسع علينا ياأمير المؤمنين وزدنا طبقة تطوف علينا ونعيش بها) فلما سمع قوله أحسن اليهم واقطعهم مما كان لاهل كسرى ثم قال ان هذا الفتى سيد قومه وكتب الى عتبة أمير البصرة أن يسمع منه ويرجع الى رأيه

انتقاض الهرمزان

(ثم) أن الهرمزان انتقض بعد الصلح لخلاف حصل بينه وبين حامية مناذر ونهر تيرى في تحديد التخوم واستعان بالاكراد فكتب عتبة الى عمر يخبره بذلك فاجابه بأن يقصده وأمد المسلمين بحرقوص بن زهير السعدى وأمره على القتال وعلى ماغلب عليه فسار وسار معه جيش البصرة حتى أتى جسر سوق الاهواز وعبره وقاتل الهرمزان وهزمه وبعث في أثره جز بن معاوية ففتح سوق الاهواز واعجزه الهرمزان فمال الى مدينة سرق (قاعدة كورة بالاهواز) وفتحها ودعا من هرب للرجوع ودفع الجزية فأجابوا واقام هنالك واليا فعمر البلاد وشق الانهار واحيا الموات (ثم) أن الهرمزان راسل حرقوصا فى طلب الصلح فأجابه بعد استئذان عمر واقام الهرمزان والمسلمون يمنعونه من الاكراد ونزل حرقوص جبل الاهواز فشق ذلك على المسلمين واهل الذمة فكتب اليه عمر أن انزل السهل وان لاتشق على مسلم ولا معاهد وأن لاتدركك فترة ولاعجلة فتكدر دنياك وتذهب آخرتك وفى هذا الوقت ولى عمر البصرة المغيرة بن شعبة بعد وفاة أميرها عتبة بن غزوان رضى الله عنه ثم عزله وولى عليها أبوموسى الاشعرى واعانه بتسعة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم انس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر (وفى) عهد ابي موسى كان يزدجرد ملك الفرس بمرو يدعو الفرس للاخذ بناصره واسترداد ملكهم فتحركوا وكاتبوا أهل الاهواز الذين صالح عليهم الهرمزان فبلغ ذلك ولاة الاهواز

فارسلوا الى عمر بالخبر فكتب الى سعد أمير الكوفة أن يسير الى الاهواز جندا كثيفا مع النعمان بن مقرن وارسل الى أبي موسى أمير البصرة أن يسير اليها جندا كثيفا مع معد بن عدى وأن يكون قائد الجيشين أبو سبره بن ابى برهم فسار النعمان بن مقرن مع جيشه حتى وصل رامهرمز (بلد بخوزستان) والهرمزان بهاعاص فقاتله النعمان حتي هزمه فاحق بتستر (من مدن الاهواز قريبة من السوس) فملك النعمان رامهرمز

فتح تستر

ولما وصل جيش البصرة الى الاهواز نزلوا سوقها وكانوا يريدون رامهرمز فبلغهم خبر الواقعة وأن الهرمزان لحق بتستر فقصدوها وكذلك النعمان وولاة الاهواز ونزل الجميع عليها والفرس مخندقون حولها فأقام المسلمون على حصارها وممن أبلى فيه بلاء حسنا البراء بن مالك ومجزأة بن ثور وعدة من أهل البصرة والكوفة ولما اشتد الحصار على أهل تستر خرج منهم رجل فاستأمن المسلمين على أن يدلهم على مدخل يدخلون منه المدينة فأمنوه فدلهم على مدخل الماء فانتدب قائد الجيش من يسير مع الرجل فأجابه عدة من أهل البصرة والكوفة فساروا ودخلوا من هذا السرب والمسلمون ينتظرون تكبيرهم فلما وصلوا المدينة كبروا فكبر المسلمون وفتحت الابواب ومن قاتل قتل وتحصن الهرمزان بقلعة المدينة فأطافوا به فطلب منهم النزول على حكم عمر فقبلوا ذلك منه وقتل فى هذا الحصار البراء ابن مالك ومجزأة بن ثور

فتح السوس

ثم سار الجيش حتي بلغ السوس (قاعدة كورة بالاهواز) وفتحها صلحاً ثم سير الأمير سرية لفتح جنديسابور فصالح أهلها وبعد تمام الفتح سير أبو سبرة الى عمر وفداً فيهم الأحنف ابن قيس وأنس بن مالك ومعهم الهرمزان

وفود الهرمزان

فلما قدموا المدينة ألبسوا الهرمزان كسوته من الديباج الذى فيه الذهب وتاجه وكان مكللا بالياقوت وحليته ليراه عمر والمسلمون ثم توجهوا الى عمر فى المسجد فوجدوه نائماً والدرة فى يده فقال الهرمزان أين عمر فقالوا اهاهو قال فأين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب قال فينبغي أن يكون نبياً قالوا بل يعمل بعمل الأنبياء فاستيقظ عمر وأخبر بالهرمزان فنظر اليه وقال (الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا واشباهه) ثم أمر بنزع ما عليه وأن يلبس ثوباً صفيقا ثم قال له عمر كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله فقال ياعمر أنا واياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان الآن معكم غلبتمونا فقال له عمر (انما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا) ثم قال عمر ما حجتك وما عذرك في انتقاضك مرة بعد أخرى فقال أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك قال لا تخف ذلك واستسقى ماء فأتي به فى قدح غليظ فقال لو مت عطشاً لم استطع أن

أشرب فى مثل هذا فأتى به في أناء يرضاه فقال أخاف أن أقتل قبل ان اشرب فقال عمر لا بأس عليك حتى تشربه فأكفأه فقال عمر أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش فقال لا حاجة لى فى الماء وانما أردت أن استأمن به فقال له عمر اني قاتلك قال قد أمنتنى فقال عمر كذبت فقال أنس بن مالك صدق يا أمير المؤمنين قد أمنته قال عمر يا أنس أنا أؤمن قاتل البراء بن مالك ومجزأة بن ثور والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك قال قلت لا بأس عليك حتي تخبرني ولا بأس عليك حتى تشربه وقال من حوله مثل ذلك فأقبل على الهرمزان وقال خدعتنى والله لا انخدع الا لمسلم فأسلم الهرمزان وصار من التابعين باحسان ففرض له عمر العطاء على ألفين وكان يترجم بينهما المغيرة بن شعبة ثم قال عمر للوفد لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة فلذلك ينتقضون قالوا مانعلم الا وفاء . قال فكيف هذا فقال الاحنف بن قيس ياأمير المؤمنين انك نهيتنا عن الانسياح في البلاد وان ملك فارس بين أظهرهم ولا يزالون يقاتلوننا مادام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان متفقان حتي يخرج احدهما الآخر وقد رأيت أنا لم نأخذ شيأ بعد شيء الا بانبعاثهم وغدرهم وان ملكهم هو الذى يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتي تأذن لنا بالانسياح فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم فهنالك ينقطع رجاؤهم فقال عمر صدقتنى والله وصمم على اتباع مشورته

وقعة نهاوند

اما ملك الفرس فانه لما اجتمعت له الجموع بنهاوند (من بلاد الجبل جنوبي همذان) سار اليهم من مرو وقام بمساعدته الملوك بين الباب والسند

وخراسان وحلوان (هذه حدود المملكة الفارسية من الشمال والجنوب والشرق والغرب) فكتب سعد الى عمر بالخبر وفى هذا الوقت اشتكى سعدا جماعة من أهل الكوفة واتهموه بانه لايعدل فقال عمر والله لايمنعني مانزل بالمسلمين عن النظر فى شكواهم واستقدم سعدا فخلف على عمله عبدالله بن عتبان وتوجه الى المدينة وحقق عمر مانسب الى سعد بواسطة محمد بن مسلمة الذي كان يقتص آثار من شكى من العمال فوجده بريئاً ولكن عمر كان يحب الا يكون بين الرئيس والمرؤوس بغضاً لان ذلك يؤدى الى الفشل والخيبة فعزله وولى على الكوفة النعمان بن مقرن المزني وكان قد افتتح جند نيسابور والسوس فى جمع من أهل الكوفة فأرسل اليه عمر عهد الولاية وهذا نصه

(بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى النعمان بن مقرن سلام عليك : فاني احمد الله اليك الذي لا إله الا هو : أما بعد فانه بلغني أن جموعا من الاعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فاذا اتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ولا تدخلهم غيضة فان رجلا من المسلمين احب الى من مائة الف دينار والسلام عليك » (من تاريخ الطبرى) وأمره بالسير الى ماه لتجتمع عليه الجيوش هنالك ثم يسير بهم الى نهاوند وكتب الى عبد الله بن عبدالله خليفة سعد على الكوفة يأمره باستنفار الناس للتوجه الى النعمان وارسل الى جند الاهواز يأمرهم بالمقام به ليكونوا حائلا بين أهل أقليم فارس وبين المجتمعين بنهاوند فلما اجتمعت

الجيوش عند النعمان أرسل عمر بن ثني وعمرو ابن معديكرب وطليحة بن خويلد يكتشفون الطريق بين ماه ونهاوند. فأما عمر بن ثني فرجع من ليلته فقيل له ما أرجعك فقال لم أكن بارض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرض عالمها وأمر عمرو بن معديكرب فرجع صبيحة اليوم الثاني فسئل عما رآه فقال سرنا يوماً وليلة فلم نر شيئاً وأما طليحة فلم يزل سائراً حتى رأى جيش الفرس وعرفه فرجع وأخبرهم أن ليس بينهم وبين نهاوند شيء يكرهونه فسار النعمان بالجيش وعلى مقدمته أخوه نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه اخوه سويد بن مقرن وحذيفة بن اليمان وعلى المجردة القعقاع وعلى الساقة مجاشع بن مسعود وجاءهم مدد من المدينة عليهم المغيرة بن شعبة فلما وصلوا نهاوند كبر النعمان فكبر الجند ثم حطوا الاثقال وضرب فسطاط النعمان أكابر الكوفة حذيفة بن اليمان وعقبة بن عامر والمغيرة بن شعبة وبشير بن الخصاصية وحنظلة الكاتب وجرير بن عبدالله والاشعث بن قيس وغيرهم فلم ير بناء فسطاط بالعراق كهؤلاء ثم انشب المسلمون القتال فقاتلوا يوم الاربعاء ويوم الخميس وفي يوم الجمعة انحجز الفرس في خنادقهم فخاف المسلمون أن يطول عليهم الانتظار فتشاوروا فيما يفعلون ثم أقروا على أن يأمروا القعقاع بانشاب القتال فاذا قاتله الفرس أظهر الهزيمة امامهم فاذا تبعوه وصاروا بين المسلمين قاتلوهم ويقضي الله مايشاء فامر النعمان القعقاع أن ينشب القتال ففعل فخرج المسلمون من خنادقهم فاظهر القعقاع الهزيمة امامهم فتبعوه فرحين لانهم لم يروا مثل ذلك من المسلمين قبل الآن ولم يزالوا حتى قاربوا الجيش فأمر النعمان جنده ان لا يحاربوا حتى

يأذن لهم وانتظر الساعة التى كان رسول الله ﷺ وسلم يحب أن يقاتل فيها اذا زالت الشمس فلما حانت حمل وكبر فتبعه المسلمون وقال ان قتلت الامير بعدى حذيفة وقاتل المسلمون والفرس قتالا لم يروا مثله ولا يوم القادسية وفى أثناء القتال استشهد النعمان فسجاه أخوه نعيم وكتم موته عن الجند لئلا يهنوا وأخذ الراية حذيفة واستمر القتال الى آخر النهار ولما أظلم الليل انهزم الفرس وعمى عليهم الطريق فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذى كان يعبدونه فوقع فيه كثير منهم ولم يفلت الا الشريد ونجا الفيرزان من بين الصرعى فذهب شمالا نحو همذان فتبعته فصيلة من الجيش وقتلوه بثنية همذان وفتحوا همذان صلحا ولما بلغ الماهين هذا الخبر بادروا الى طلب الصلح فاجيبوا وهذا نص كتاب عهدهم عن الطبرى

(بسم الله الرحمن الرحيم) هـذا ماأعطى حذيفة بن اليمان أهل ماه بهراذان أعطاهم الامان على أنفسهم وأموالهم وارضيهم لايغيرون عن ملة ولايحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنعة ماأدوا الجزية فى كل سنة الى من وليهم على كل حالم فى ماله ونفسه على قدر طاقته وما أرشدوا ابن السبيل وأصلحوا الطرق وقروا جنود المسلمين ممن مربهم فاوى اليهم يوما وليلة ووفوا ونصحوا فان غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة) شهد القعقاع بن عمرو ونعيم بن مقرن وسويد بن مقرن وكتب في المحرم سنة ١٩ ثم عادت السرية وجمع المسلمون من الغنائم والاسلاب شيئا كثيرا وكان الذى يحسب لهم ويكتب السائب بن الاقرع فأرسله حذيفة بالخمس والبشارة فلما قارب المدينة وجد عمر خارجا يتنسم الاخبار لانه قدر الواقعة قبلها فبات يتململ

فلما رأى السائب قال ماوراءك قال خيراً ياأمير المؤمنين فتح الله عليك وأعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن قال عمر (انا لله وانا اليه راجعون) ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه فوق كتده. فلما رأى السائب ذلك قال ياأمير المؤمنين ما أصيب بعده رجل يعرف وجهه فقال أولئك المستضعفون من المسلمين ولكن الذى اكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم وما يصنع أولئك بمعرفة عمر . وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف وسمى المسلمون فتح نهاوند فتح الفتوح لانه لم يقم للفرس بعده قائمة ومما يستحق الذكران المسلمين عثروا فى غنائم نهاوند على سفطين مملوءين جوهرا نفيساً من ذخائر كسرى فارسلهما حذيفة امير الجيش الى عمر مع السائب فلما أوصلهما له قال ضعهما في بيت المال والحق بجندك فركب راحلته ورجع فارسل عمر وراءه رسولا يخب السير في اثره حتى لحقه بالكوفة فارجعه فلما رآه عمر قال مالى وللسائب ماهو الا أن نمت الليلة التى خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبنى الى السفطين يشتعلان نارا يتوعدوني بالكى ان لم أقسمهما فخذهما عنى وبعهما فى أرزاق المسلمين فبيعا بسوق الكوفة. فرضى الله عنك ياعمر لقد سرت بسيرة نبيك فعززت وأعززت الاسلام والمسلمين اللهم ألهمنا الاتباع واكفنا شر الابتداع (ثم) رجع حذيفة بجيشه بعد وقعة نهاوند فائزا منصورا

فتح همذان

وبينما هو راجع بلغه أن أهل همذان انتقضوا بعد الصلح فأبلغ الخبر عمر فأمره أن يسير اليها نعيم بن مقرن فرجع اليها من الطريق على تعبية

واستولى على بلادها جميعاً وحاصرها هى فطلب أهلها الصلح فصولحوا على الجزية ثم توجه الى واج روذ حيث تجمع الديلم وأهل اذربيجان وأهل الرى فقاتلهم نعيم قتالا شديداً حتى هزمهم وأرسل الى عمر بالخبر فأمره بقصد الرى (بلد قرب طهران في جنوبها الشرقي) فسار حتى قدمها فخرج اليه رئيس جندها أبو الفرخان طالباً الصلح ومخالفاً لملكها فاستمد الملك من جاوره فأمدوه والتقى معهم نعيم في سفح جبل الري قريبا من المدينة وقاتلهم قتالا شديداً ولما رأى أبو الفرخان أن الامر سيطول طلب من نعيم أن يعطيه فصيلة من الجيش يدخل بها المدينة من حيث لا يشعر الفرس فسير معه جماعة دخل بهم المدينة كما قال. أما نعيم فبيت القوم فقاتلوه ولكنهم لما سمعوا التكبير من ورائهم انهزموا شر هزيمة وأفاء الله على المسلمين فى الري نحواً مما حازوه فى المدائن وجعل نعيم أبا الفرخان واليا على المدينة وكتب الى عمر بالفتح فأرسل اليه أن سير اخاك سويدا الى قومس (صقع بين خراسان وبلاد الجبل) فسيره اليها فلم يقف فى وجهه أحد فأخذها سلما وعسكر بها ثم كتب اليه أهلها في الرجوع الى بلادهم ودفع الجزية فأجابهم وكتب لهم كتاباً هذا نصه

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أعطى سويد بن مقرن أهل قومس ومن حشوا من الأمان، على أنفسهم وملاهم وأموالهم على أن يؤدوا الجزية عن كل حالم بقدر طاقته وعلى أن يدلوا وعليهم نزل من نزل بهم من المسلمين يوماً وليلة من أوسط طعامهم وأن بدلوا واستخفوا بعهدهم فالذمة منهم بريئة وكتب وشهد وسار الى جرجان (بلد شمالي بلاد الفرس) وعسكر قريبا منها

فراسله ملكها على الصلح ودفع الجزية فأجابه فخرج اليه الملك وتلقاه خارج المدينة ثم دخل معه وعسكر بها وجبى الخراج. وفيها راسله صاحب طبرستان (اقليم في الشمال) في الصلح على ان يتوادعا ويجعل له شيئا على غير نصر ولا معونة على أحد فأجابه وكتب له كتابا هذا نصه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا كتاب من سويد بن مقرن للفرخان اصبهبذ خراسان على طبرستان وجيلان من أهل العدو. انك آمن بامان الله عز وجل على أن تكف بصوتك وأهل حواشى أرضك ولا تؤوى لنا بغية وتتقى من ولي فرج أرضك بخمس مائة الف درهم من دراهم أرضك. فاذا فعلت ذلك فليس لاحد منا أن يغير عليك ولا يتطرق أرضك ولا يدخل عليك الا بأذنك سبيلنا عليكم بالأذن آمنة وكذلك سبيلكم ولا تؤون لنا بغية ولا تسلون لنا الي عدو ولا تغلون فان فعلتم فلا عهد بيننا وبينكم. شهد سواد بن قطبة التميمى وهند بن عمرو المرادى وسماك بن مخرمة الاسدى ابن عبيد الله العبسى وعتيبة بن النهاس البكرى

ثم أرسل عمر بن الخطاب الى عبيد الله بن عبيد الله بن عتبان أمير البصرة قبل المغيرة يأمره ان يسير الى اصبهان وأمر أبا موسى الاشعري ان يكون مددا له فسار عبد الله حتى وصل اصبهان (في العراق العجمى) وعلى جندها الاسبيذان فاقتتل الفريقان قتالا شديداً انتهي بهزيمة المشركين فطلبوا الصلح فصولحوا ثم سار عبد الله الى مدينة جي وهي قاعدة اصبهان فحاصرها ثم صالحه الفاذوستان وهو أمير اصبهان عليها مشترطًا الجزية على من اقام

وأقام على ماله وأن يجرى من أخذت ارضه عنوة مجراه ومن أبى وذهب كانت لكم ارضه

الانسياح فى بلاد العجم

ولما رأى عمر رضى الله عنه أن شوكة الفرس قد ضعفت فلم يعد يخاف على المسلمين من انسياحهم فى بلاد الفرس صمم على اتباع مشورة الاحنف ابن قيس فأرسل الى ابى موسى الاشعرى الذى قدمنا ان عمر ولاه البصرة بعد المغيرة بن شعبة وأمره ان يسير منها غير بعيد ويقيم حتى يأتيه أمره ثم بعث اليه مع سهيل بن عدى بألوية الامراء الذين يسيحون في بلاد العجم: لواء للاحنف بن قيس ووجهته (خراسان) ولواء لمجاشع بن مسعود السلمى ووجهته (ازدشير خره وسابور) ولواء لعثمان بن ابى العاص الثقفى ووجهته (اصطخر) ولواء لسارية بن زنيم الكناني ووجهته (فساودرابجر) ولواء لسهيل بن عدى ووجهته (كرمان) ولواء لعاصم بن عمرو ووجهته (سجستان) ولواء للحكم بن عمير التغلبي ووجهته (مكران) وكان مبدأ الانسياح في مبدأ السنة الثامنة عشرة

فتح ازربيجان

فسار بكير بن عبد الله الى اذربيجان (ولاية في الغرب من بحر الخزر وقاعدتها الآن تبريز) وكتب عمر الى نعيم بن مقرن فاتح الرى ان يمده بسماك بن خرشة فلما طلع بكير بجبال جرميدان قابله المنهزمون من واج روذ وعليهم اسفندياذ

أخو رستم قتيل القادسية فقاتلوا بكيراً ولكنهم انهزموا وأسر اسفنديار فقال لبكير السلم أحب اليك أم الحرب قال بل السلم فقال لاتقتلني وأمسكني معك فإن أهل ازربيجان لايصالحونك مالم أصالحك فأمسكه بكير وبعد قليل وصل اليه مدد نعيم فسار الجميع الى ازربيجان فصالح أهلها على الجزية وكتب بكير الى عمر بذلك فأمره أن يولي عتبة بن فرقد على اذربيجان ويتقدم هو مدد لجيش الباب فكتب عتبة لأهل اذربيجان كتاباً هذا نصه

(بسم الله الرحمن الرحيم) هـذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين أهل اذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشعابها وأهل ملاها كافة على الامان على أنفسهم وأموالهم وملاهم وشرائعهم على أن يؤدو الجزية على قدر طاقتهم ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن ليس في يديه شيء من الدنيا،ولا متعبد ولا متخل ليس فى يديه من الدنيا شيء ،لهم ذلك ولمن سكن معهم وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوما وليلة ودلالته ومن حشر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك ومن خرج فله الامان حتى يلجأ الى حرزه وكتب جندب)

فتح الباب

وسار سراقة بن عمر الى الباب (ثغر بالخزر وهو الفاصل بين الفرس وارمينية والروس) وعلى مقدمته عبد الرحمن بن أبي ربيعة وقد سبقه بكير اليها وانتظره فلما أطل عبد الرحمن بن أبي ربيعة أمير المقدمة على الباب والملك

بها يومئـذ شهريراز ، كاتب عبد الرحمن في الصلح فأجابه اليه فجاءه وقال له انى بازاء عدو كلب وأمم مختلفة ليست لهم احساب ولا ينبغى لذى الحسب والعقل أن يعينهم ولست من الفتح ولا الارمن فى شيء وانكم قد غلبتم على بلادى وأمتي فأنا فيكم ويدي في أيديكم وجزيتى اليكم والنصر لـكم والقيام بما تحبون فلا تسوموننا الجزية فتضعفونا بعدوكم فأرسله عبد الرحمن الى سراقة فكلمه بمثل ما كلم عبد الرحمن فقال له سراقة لابد من الجزية على من اقام ولم يحارب العدو فأجابه الى ذلك وصدق عليه عمر فكتب لهم سراقة كتاباً هذا نصه

(بسم الله الرحمن الرحيم) هـذا ما اعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهريراز وسكان ارمينية والارمن من الامان أعطاهم امانا لانفسهم وأموالهم وملتهم ان لا يضاروا ولا ينقصوا وعلى أهل ارمينية والابواب الطراء منهم والثناء ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لـكل غارة وينفذوا لـكل أمر ناب او لم ينب رآه الوالى صلاحا على أن توضع الجزاء عمن أجاب الى ذلك الا الحشر والحشر عوض من جزائهم ومن استغنى عنه منه وقعد فعليه مثل ما على أهل اذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوما كاملا فان حشروا وضع ذلك عنهم وان تركوا أخذوا به) ولما فرغ سراقة من الباب سير السرايا الى الجبال المحيطة بارمينية فوجه بكير بن عبد الله الى موقان (كورة بارمينية) وحبيب بن مسلمة الى تفليس (بلد في القوقاز من أملاك الروس الآن) وحذيفة بن أسـيد

الى جبال اللان (أمة وبلاد فى طرف ارمينية) وسلمان بن ربيعة الى الوجه الآخر فافتتح بكير موقان وصالح أهلها وكتب لهم هذ الكتاب

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أعطي بكير بن عبد الله أهل موقان من جبال القتح الامان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء دينار عن كل حالم أو قيمته والنصح ودلالة المسلم ونزله يومه وليلته فلهم الامان ماأو فروا ونصحوا وعلينا الوفاء والله المستعان فان تركوا ذلك واستبان منهم غش فلا أمان لهم الا أن يسلمو الغششة برمتهم والافهم متهمون كتب سنة (٢١) وكتب سراقة الى عمر بذلك ثم توفى سراقة رضى الله عنه واستخلف علي جيشه عبد الرحمن بن ابي ربيعة فاقره عمر وأمره أن يغزو الترك فخرج حتى قطع الباب فسأله شهريراز عن وجهته فقال أريد بلنجر (بلد بالخزر خلف باب الابواب) والترك فقال أنا لنرضي منهم ان يدعونا من دون الباب فقال عبد الرحمن لكنا لا نرضى حتى نغزوهم فى بلادهم وبالله أن معنا أقواماً لو يأذن لهم أميرنا فى الامعان لبلغت بهم الردم فقال شهريراز ومن هم قال أقوام صحبوا رسول الله ﷺ ودخلوا فى هذا الامر بنية ولا يزال هذا الامر فيهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم فسار حتى بلغ بلنجر فلما رآه أهلها قالوا ما اجترأ علينا الا ومعه الملائكة ولم يقفوا في وجهه ولم يزل حتى أبلغ خيله البيضاء على مائتي فرسخ من بلنجر ورجع ولم يصب أحد من جيشه وأقام هنالك والياً على جيش الباب

فتح خراسان

وسار الاحنف بن قيس الى خراسان ايلاق يزدجرد ملك الفرس الذي أقام بمرو يثير الفرس على المسلمين فلما بلغ هراة (بلد من اقليم خراسان وهي الآن من بلاد الافغان) افتتحها ثم سار نحو مرو الشاهجان فخرج منها يزدجرد ولحق بمرو الروذ (كلاهما بين هراة وبلخ) وكتب الى خاقان الترك والى ملك الصغد وملك الصين يستمدهما فملك الاحنف مرو الشاهجان واستخلف عليها ثم سار نحو مرو الروذ فخرج منها يزدجرد ولحق ببلخ (بلد قريب من نهر جيحون وهي الآن تحت حماية الروس) فملك الأحنف مرو الروذ وهنا أتته امداد أهل الكوفة فسيرهم أمامه الى بلخ فساروا حتى التقوا بيزدجرد هناك وقاتلوه فهزموه حتى عبر النهر ولم يدرك الاحنف ومن معه الموقعة حيث أتى بعد الهزيمة فرجع الى مرو وأقام بها وارسل الى عمر بالفتح والاخماس وأخبره بعبور يزدجرد النهر فنهاه عمر عن العبور خافه .أما يزدجرد فجاءته بعد عبوره امداد الترك وعليهم خاقان وامداد أهل فرغانة والصغد فعدى بهم النهر راجعاً وترك الترك أمام الاحنف وجيشه بمرو الروذ وقصد يزدجرد مرو الشاهجان فحصر حاميتها واستخرج منها خزائنه وأراد أن يرحل بها الى فرغانة أو الصين فيقيم باحداهما فلم يمكنه من ذلك أهل خراسان قائلين ارجع بنا الى هؤلاء القوم فصالحهم فانهم أوفياء وأهل دين وان عدوا يلينا فى بلادنا أحب الينا من عدو يلينا فى بلاده.

ولا دين لهم ولا ندرى ماوفاؤهم فلم يقبل فأخذوا منه الخزائن قهراً فلحق بخاقان ملك الترك الذى لم يتمكن من الوقوف أمام المسلمين وجاء الخراسانيون الى الأحنف فصالحوه ودفعوا اليه خزائن كسرى وتراجعوا الى بلدانهم وأموالهم على أفضل ما كانوا عليه زمن الأكاسرة واغتبطوا بملك المسلمين حيث أن الرجل منهم لم يكن مكلفاً الا يدفع شيء قليل جزاء حمايته وبعد ذلك ماله وعرضه ودمه كمال المسلم وعرضهودمهمحرم كحرمة اليوم الحرامفي الشهر الحرام فى البلدالحرام وناهيك بمن اعتبره المسلمون فيذمة الله فكيف تخفر وليس عليه بعد ذلك الا النصيحة للمسلمين وعدم الموالأة عليهم فان فعل شيئاً من ذلك فقد غدر وليست له ذمة فدمهحلال وماله حلال وهذا شيء يسير على الانسان مادامت له الحرية فى دينه وعمله وهذا ما قرره دين الاسلام .

وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهمه يوم القادسية ثم سار الاحنف الى بلخ وأنزلها أهل الكوفة لانها من فتوحهم وكتب بكل ذلك الى عمر وأقام هو والى خراسان وتتمة حديث يزدجرد ستأتي فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه

وسار عثمان بن أبى العاص الثقفى الى اصطخر فالتقى هو وأهلها بجور هى مدينة فيروز اباد قريبة من اصبهان ينسب اليها الورد الجورى فهزمهم ثم رجع من فروا منهم طالبين البقاء في بلادهم مع دفع الجزية فأجابهم ثم فتح كازرون والنوبندجان « قاعدة كورة بفارس اسمها سابور » واشترك هو

وأبو موسى الاشعرى في فتح شيراز « قصبة بلاد فارس » وأرجان وسينيز وقصد عثمان جنابة « بلد بفارس تحاذى جزيرة خارك بالبحر الفارسي وتقرأ الآن كرك وهو غلط مصدره الترجمة »ففتحها واتى جمعاً من الفرس بناحية شهرك فهزمهم ثم أقام والياً باصطخر

فتح فساودرا بجرد

وسام سارية بن زنيم الكلابي الى مدينة فساودرا بجرد والتقى مع أهلها بصحراء فاقتتلوا ثم ان الفرس استمدوا من بقربهم من اكرادفارس فأمدوهم فدهي المسلمين أمرعظيم وكان عمر رضى الله عنه قد رأى ليلة الواقعة فيمايرى النائم ماعليه المسلمون فلما أصبح نادى بالصلاة جامعة حتى اذا كانت الساعة التى رأى فيها مارأى خرج الى المسلمين وكان سارية ومن معه بصحراء ان اقاموا فيها هلكوا وان استندوا الى جبل خلفهم لم يؤتوا الا من وجه واحد فقام عمر فقال ياأيها الناس انى رأيت هذين الجمعين وأخبر بحالهما ثم صاح وهو يخطب ياسارية بن زنيم الجبل الجبل ثم اقبل على المسلمين وقال ان لله جنوداً ولعل بعضها ان تبلغهم فبحول الله وقوته سمع سارية هذا الصوت فانحاز بمن معه الى الجبل وقاتلوا العدو حتى هزموهم فارسل الى عمر بالفتح والخمس ومعه سفط فيه جوهر فلما رآه عمر لم يقبله ورده ليباع ويقسم على الفاتحين. وسأل من في المدينة رسول سارية هل سمعتم شيئاً يوم الواقعة قال نعم سمعنا ياسارية الجبل الجبل فلجأنا اليه وقد كدنا نهلك واقام سارية واليا على درابجرد

فتح كرمان

وسار سهيل بن عدى الى كرمان « ولاية تلى اقليم فارس من الشرق وقصبتها كرمان » وأمده عمر بعبد الله بن عبد الله بن عتبان فلما وصلاها وجدا بها جمعا عظيما من الفرس فقاتلاهم حتى فض الله جمعهم وقتل مرزبان كرمان فدخلها المسلمون ظافرين ووجدا فيها كثيرا من البعير والشاه

فتح سجستان

وسار عاصم بن عمرو الى سجستان « ولاية شرقى كرمان أغلبها الآن في أيد الافغان وقصبتها زرنج » فاستقبله أهلها بحرب انتهت بهزيمتهم فتبعهم المسلمون حتى حصروهم بزرنج فطلبوا الصلح على زرنج وما احتازوه من الارضين واشترطوا أن فدافدها حمى فاجيبوا وكان المسلمون يتجنبون هذه الفدافد خشية ان يصيبوا منها شيأ فيكونوا قدخفروا الذمة وهو أمر نهوا عنه

فتح مكران

وسار الحكم بن عمير التغلبي الى مكران ولحقه سهيل بن عدى فاتح كرمان وعبد الله بن عبد الله بن عتبان الذى كان مددا لسهيل فساروا حتى انتهوا الي دوين النهر (على الحدود بين الفرس والسند) والمشركون من مكران على شاطئه وامدهم ملك السند بجيش كثيف فقاتلهم المسلمون حتى هزموهم

وأوصلوهم النهر ثم رجع المسلمون الى مكران وكتب الحكم بالفتح والخمس الى عمر مع صحار العبدى فسأله عمر عن مكران فقال يا أمير المؤمنين هي ارض سهلها جبل وماؤها وشل وثمرها وقل وعدها بطل وخيرها قليل وشرها طويل والكثير فيها قليل والقليل فيها ضائع وماوراءها شر منها فقال عمر اسجاع أنت أم مخبر لا والله لايغزوها جيش لى ابدا وكتب الى الحكم يأمره بالوقوف عندما فتح وان لايجوز مكران

هذا مافعله المسلمون من الافعال العظيمة مدة عمر فى البلادالفارسية ذات الشوكة والعظمة ابتدؤا سنة اثنتى عشرة من الهجرة في فتح أول بلد من بلادهم وهى الابلة واستمروا على الفتوحات الى أن مات عمر رضي الله عنه . تمموا فتح بلاد تبتدىء من حدود بلاد العرب غربا وتنتهي الى ماوراء النهر وبلاد السند شرقا والخليج الفارسي جنوبا وبحر الخزر وارمينية والروس شمالا . اجتمعوا مع الفرس فى كثير من الوقائع أشهرها وقعة الابلة لخالد بن الوليد ووقعة القادسية لسعد بن ابى وقاص ونهاوند للنعمان بن مقرن ووقعة يزدجرد للاحنف ابن قيس وكثير غيرها . لم تنكس لهم رأيه ولم يفل لهم جيش . لم ير المسلمون في وقعةمن الوقائع مساوين اقرانهم من الفرس فى العدة والعدد بل كان الفرس فى كل وقعة اضعافهم . لم يكن العرب اعلم من الفرس بتعبية الجيوش ولاباحكام معدات الدفاع . لم يكن المسلمون اكثر من الفرس مالا حتى يمكنهم أن يستميلوا به اعداءهم ليكونوا معهم بل حالهم من الشظف وضيق العيش لا تخفي . لم يكن المسلمون أعلم من الفرس بطرق الدسائس والخديعة حتي يستعملوها فى حروبها . فلم

اذاً هذه الانتصارات الباهرة والفتوحات العظيمة اللهم ماذلك الا بالتأييد الآلهي اكتسبوه باتحاد وائتلاف قلوبهم حتى صاروا اجساما متعددة لهم قلب واحد ورأي واحد وهو تعميم الدين الاسلامى بين الامم الحائدة عن الصراط السوى والمنهج القويم. انظر رعاك الله الى ما كان يجيب به رسل سعد ملوك فارس وقوادهم تره جوابا واحدا وهو ان انه أرسلنا لنخرج العباد من ظلمات الجهالة وجور الملوك الى نور الايمان وعدل الاسلام كلهم في ذلك سواء حتى الاعرابى الجافي الذي كان قبل الاسلام لاهم له الا النهب والغارة. لم تكن خلفاؤهم بالجبناء الذين يخشون تهديدا أو يخافون وعيدا ولم تكن قوادهم بالدخلاء الذين يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم ولم تكن الامة بالمختلفة الاهواء المتشعبة المذاهب تشتغل بسفسف الامور وتترك عظيمها أو تترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لخوف أو جبن ولم تكن علماؤهم يشتغلون بالزهو والكبرياء والعجب والتفاني فى حب الدنيا وتقليد المناصب والمفاخرة بذلك حتى تدب بينهم العداوة والبغضاء ولم يكن الدين قد بليت جدته بل كانت مظاهره تتجلى على أقوالهم وأعمالهم لا يخشون في الله لومة لائم فلاعجب أن انتصروا وفتحوا وملكوا فى زمن يسير مالا يتصور أن تعمله أمة عظيمة عندها بسطة في القوة والمال والعلم. أللهم الهم المسلمين وولاة أمورهم مافيه السداد فان الطريق واضح والحق بين ، فاذا انتبهت البصائر ، رشدت الى مافيه خير الدنيا والآخر وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم)

فتح بلاد الشام

تركنا المسلمين فائزين منصورين باليرموك بعد موقعتها الهائلة وأمير الجند أمين هذه الامة أبو عبيدة عامر بن الجراح العامري القرشي بعد سيف الله خالد بن الوليد المخزومي القرشي وحينئذ بلغ الامير أن فل الروم لحقوا بفحل وان مدداً عظيما من قبل ملك الروم أتى دمشق فكتب الي أمير المؤمنين يستشيره بأى البلدين يبدأ فكتب اليه أن سير الى فحل فرقة تشغل بها وسر أنت الى دمشق فانها حصن الشام وبيت ملكه . فسير أبو عبيدة فرقة من جيشه الى فحل لمحاصرتها وسير أخرى لتكون بين حمص ودمشق لتمنع الامداد عنها وأخرى لتكون بين دمشق وفلسطين وتوجه هو وعلى مقدمته خالد بن الوليد الى دمشق واستخلف على فلسطين والاردن عمرو بن العاص

فتح دمشق

فلما وصل الى دمشق تحصن أهلها فحصرهم المسلمون أبو عبيدة من جهة ، وخالد بن الوليد من أخرى ودام الحصار سبعين ليلة وبينما خالد على حصاره ليلة سمع جلبة فأرسل من يستعلم الخبر لانه كان يتجسس أحوال عدوه فلا يخفى عليه منها شيء لينتهز الفرصة فعلم أنه ولد لبطريق المدينة ولد فصنع وليمة سكر فيها الجند سكراً شديداً فاتخذ خالد حبالا على هيئة السلالم وأوهاقاً ثم نهض هو ومن معه من أرباب النجدة وهو أمامهم ومعه

القعقاع (قبل أن يتوجه للعراق) وأمثاله وقال خالد لمن معه اذا سمعتم تكبيرنا على السور فاقصدوا الابواب ولما وصل خالد ومن معه الى السور رموا الحبال فعلق منها حبلان فصعدوا عليهما وتبعهم كثير ولما صاروا فوق السور قصدوا الباب ففتحوه وكبروا فدخل الجيش مكبراً حتى أزعج تكبيره أهل المدينة فصحوا من سكرتهم مذعورين لا يقدرون على شيء فذهب وفد منهم الى أبي عبيدة يطلبون الامان فأمنهم ودخل معهم المدينة ليؤمن الناس فالتقى بخالد وسط البلد هذا سلما وذاك حربا ، فأخبره أبو عبيدة بالصلح فكف وأجروا ما فتح عنوة مجرى الصلح فصارت كلها صلحاً وبعث أبو عبيدة الى عمر بالفتح ثم استخلف على المدينة يزيد بن أبي سفيان ففتح سواحلها : صيدا وعرقة وجبيل وبيروت وسير أخاه معاوية لفتح قيسارية ففتحها. أما أبو عبيدة فسار الى فحل وعلى مقدمته خالد وعلى المجنبتين عمرو بن العاص وأبو عبيدة وعلى الخيل ضرار بن الازور الاسدي وعلى الرجال عياض بن غنم وعلى الناس شرحبيل بن حسنة فنزل شرحبيل بالناس فحلا وحاصرها. وفي ليلة خرج الروم يريدون بيات المسلمين وكان شرحبيل حذرا لا يبيت ولا يصبح الا على تعبية لكثرة ما كان عمر بن الخطاب يحذرهم البيات فقاتلهم قتالا شديداً تلك الليلة كلها ويومها كله فلما أمسى المساء خمدت همة الروم فانهزموا وحيل بينهم وبين المدينة بمياه كانوا فجروها ووحلوا بها الارض لتكون خندقاً حول المدينة فأخذهم المسلمين من كل جهة واستولوا على المدينة فارسل الامير الى عمر بالفتح والخمس. ثم فصل من جيشه فرقتين أمر على احداهما شرحبيل بن حسنة ووجهه الى بيسان ووجه الاخرى الى طبريه (قصبة الاردن) ففتح كل منهما

مدينته على مثل صلح دمشق .أما أبو عبيدة فسار ومعه خالد الى حمص فلما وصل مرج الروم التقى بجيشين بعثهما هرقل لقتال المسلمين احداهما برياسة بطريق اسمه توذر والثانى برئاسة شنش الرومي فوقف خالد أمام الاول وأبو عبيدة أمام الثانى فلما أصبح خالد لم يجد لتوذر ولا لجيشه أثراً لانه ترك خالداً وتوجه الى دمشق ليفتحها ظاناً أن ليس بها حامية فعلم خالد قصده فتبعه وعلم به يزيد بن أبى سفيان أمير دمشق فاستعد للقائه فانحصر توذر بين الجيشين فأخذ هو وجنده ولم يفلت منهم الا القليل أما أبو عبيدة فانه لاقى شنش وهزمه فرجع خالد وقد قضى الامر

فتح حمص

فسار مع أبي عبيدة الى حمص ولما بلغ ذلك ملك الروم أرسل الى بطريق حمص يأمره بالمسير اليها وسار هو الى الرها أما المسلمون فمروا ببعلبك ففتحوها ولما وصلوا حمص حاصروها، فتحصن أهلها منتظرين مدد هرقل ولكن لما طال عليهم الامر راسلوا أبو عبيدة فى صلح مثل صلح دمشق فاجيبوا واستخلف عليها عبادة بن الصامت وسار هو قاصداً حماه فتلقاه اهلها مذعنين فصالحهم على الجزية والخراج ثم سار نحو شيزر (بلد قرب حماه) ففتحها صلحاً وقصد بعدها المعرة (بين حماة وحلب) ففتحها كذلك ثم اللاذقية (من اعمال حلب) فملكها عنوة وهرب سكانها ثم طلبوا الامان على أن يرجعوا الى بلادهم ويقيموا فيها فقوطعوا على خراج يؤدونه وبنى فيها المسلمون مسجداً جامعاً ثم ارسل ابو عبيدة خالداً لفتح قنسرين (كورة بالشام) فلما

بلغ الحاضر قابله جمع عظيم من الروم عليهم قائد اسمه ميناس فقاتلهم خالد حتى هزمهم وقصد قنسرين فتحصن اهلها منه فقال لهم لو كنتم في السحاب لحملنا الله اليكم او لانزلكم الينا فنظروا في امرهم وما لقيه اهل البلدان الاخرى من المسلمين فرأوا أن لا قبل لهم بالحرب ولا الحصار فطلبوا الصلح على مثل صلح دمشق فلم يرض الا على تخريب المدينة فخربت حصونها ثم أدرب خالد وراء هرقل من الشام وادرب وراءه عياض بن غنم من الروم فترك ملك الروم الشام وودعها الوداع الاخير وسار الى القسطنطينية .

ولما بلغ عمر فعل خالد قال أمر خالد نفسه يرحم الله أبا بكر كان أعلم بالرجال مني (ثم) سار أبو عبيدة الى حلب فتحصن أهلها ثم طلبوا صلحا بأمان على أنفسهم وأولادهم وأموالهم وكنائسهم وحصنهم فأجيبوا واستثنى عليهم موضع المسجد ثم سار الى انطاكية فصالحه أهلها على الجلاء لمن أراد والجزية على من أقام وكانت انطاكية أعظم ثغور الروم فأرسل عمر الى أبي عبيدة أن يرتب لها جماعة من المسلمين يرابطون بها ثم سار الى معرة مصرين ففتحها صلحاً وبث السرايا لما جاورها من القرى والبلدان ففتحت لهم ثم سار أبو عبيدة الى قورس (كورة بنواحي حلب وهي الآن خراب) ففتحها وفتح تل عزاز ثم سار الى منبج من بلاد الروم على الفرات فصالح أهلها على مثل صلح حمص واشترط عليهم أن يخبروا المسلمين باخبار الروم وولى أبو عبيدة على كل كورة فتحها عاملا وشحن الثغور المخوفة بالمرابطين وسار الى بالس (بلد بشط الفرات) وبعث سرية مع حبيب بن مسلمة الى قاصرين فصالح أهلها وتم للمسلمين فتح الشام من هذه الناحية الى الفرات. ثم عاد أبو عبيدة الى

فلسطين وسير جيشاً مع ميسرة بن مسروق العبسى وأمده بمالك بن الحارث الملقب بالاشتر فسلكوا درب بفراس (بلد بلحف جبل اللكام وهو جبل يسامت حماه وشيزر وأفامية ويمتد شمالا صهيون والشغر وبكاس وينتهي عند انطاكية) الى بلاد الروم فلقوا هنالك جمعاً للروم معهم عرب من غسان وتنوخ واياد يريدون اللحاق بهرقل فأوقعوا بهم . وسير أبو عبيدة جيشا أخر الي مرعش (قرب انطاكية) ورئيسه خالد بن الوليد ففتحها على اجلاء هلها بالامان وأخربها .

أما عمرو بن العاص الذى كان على الاردن فانه سار الي أجنادين وقد تجمع بها جيش عظيم من الروم عليهم داهية منهم اسمه ارطبون فحاصره عمرو حصاراً شديداً ثم لم يزل يتجسس حتى عرف مأخذه فحاربه وهزمه فانتهى في هزيمته الى ايلياء (بيت المقدس) فسار وراءه عمرو وحصره ثم طلب أهله الصلح على أن يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب فكتب عمرو اليه بذلك فعزم عمر على السفر الى الشام ليتسلم بيده مفاتيح المسجد الاقصى فسار من المدينة بعد أن ولى عليها على بن أبي طالب وكتب الى عماله أن يوافوه بالجابية وهي بلد بدمشق فوافوه بها وكان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان ثم ابو عبيدة ثم خالد بن الوليد على الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال ما أسرع مارجعتم عن رأيكم اياى تستقبلون فى هذا الزي وانما شبعتم منذ سنتين والله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت آبكم غيركم فقالوا ياأمير المؤمنين انها يلامعة (هي مابرق من السلاح) وان

علينا السلاح قال فنعم اذاً وجاءه وهو بالجابية أهل ايلياء مستأمنين فصالحهم على الجزية وكتب لهم امانا هذه صورته:

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الامان أعطاهم أمانًا لانفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود وعلى اهل إيلياء ان يعطو الجزية كما يعطى اهل المدائن وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوت، فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتي يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية، ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من اهل الارض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى اهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذى عليهم من الجزية (اه من الطبرى)

ولما دخل عمر المدينة دخل كنيسة القيامة وجلس فى صحنها وحان وقت الصلاة فقال للبطريرك اريد الصلاة فقال له صل موضعك فامتنع وصلى على الدرجة التى على باب الكنيسة منفردا فلما قضى صلاته قال للبطريرك لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدي وقالوا هنا صلى عمر وكتب لهم

أن لايجمع على الدرجة للصلاة ولايؤذن عليها ثم قال ارني موضعا ابنى فيه مسجدا فقال على الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب ووجد عليها ردما كثيرا فشرع فى ازالته وتناوله بيده برفعه في ثوبه واقتدى به المسلمون كافة فزال لحينه وأمر ببناء المسجد (ذكر ذلك بن خلدون في الجزء الثانى من تاريخه) ثم ولى رضى الله عنه الولاة على الشام بعد أن قسمها أقساما وجعل فلسطين ولايتين أحداهما قصبتها الرملة والاخرى قصبتها ايليا ثم رجع رضى الله عنه الى المدينة فائزا منصورا وهذه أول مرة سافر فيها الى الشام

وفى السنة الثامنة عشر حصل فى الشام طاعون اتى على كثير من جند المسلمين وهو طاعون عمواس وبلغ عمر خبره وهو متوجه الى الشام المرة الثانية فوافاه الامراء بسرغ (موضع قرب الشام بين المغيثة وتبوك) وفيهم أبو عبيدة فأخبروه بالوباء وشدته وكان مع عمر المهاجرون والانصار فجمعهم مستشيرا أيمضى لوجهه أم يرجع فاختلفوا عليه فمن قائل خرجت لوجه الله فلا يصدنك عنه هذا ومن قائل انه بلاء وفناء فلا نرى أن تقدم عليه ثم أحضر مهاجرة الفتح من قريش فلم يختلفوا عليه بل أشاروا بالعودة فنادى عمر فى الناس انى مصبح على ظهر فقال ابو عبيدة افرارا من قدر الله فقال نعم نفر من قدر الله الى قدر الله. أرأيت لو كان لك ابل فهبطت واديا له عدوتان احداهما مخصبة والاخرى جدبة أليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله فسمع بهم عبد الرحمن بن عوف فجاءهم وقال ان النبي ﷺ قال (اذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه واذا وقع ببلد وانتم فيه فلا تخرجوا فرارا منه) فانصرف

عمر بالناس الى المدينة . ومات بهذا الوباء أبو عبيدة فخلفه معاذ بن جبل فمات فخلفه عمرو بن العاص فخرج بالجيش الى موضع مرتفع من الجبال فخف عنهم الوباء فاستحسن عمر فعله ومات يزيد بن أبي سفيان أمير دمشق فاستخلف عليها أخاه معاوية واستعمل شرحبيل بن حسنة على جند الاردن وخراجها وأصاب الناس من الموت مالم يروا مثله ثم رفعه الله عنهم بعد اقامته شهورا فكتب الامراء الى عمر بما فى أيديهم من المواريث وجمع الناس واستشارهم وقال قد بد الى أن أطوف على المسلمين فى بلدانهم لانظر في آثارهم فأشيروا على وان مواريث أهل الشام قد ضاعت فأبدأ بالشام فأقسم المواريث وأقيم لهم ما فى نفسى ثم ارجع فأتقلب فى البلاد وأبدى اليهم فسار عن المدينة واستخلف عليا على بن أبى طالب وجعل طريقه على أيلة فلما دنا منها ركب بعيره وعلي رحله فرو مقلوب وأعطى غلامه مركبه فلما تلقاه الناس قالوا اين أمير المؤمنين قال أمامكم يعنى نفسه فسار وانتهى هو الى ايلة فقيل للمتلقين قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها فرجعوا . ولما قدم رضي الله عنه الى الشام قسم المواريث فورث بعض الورثة من بعض واخرجها الى الاحياء من ورثة كل منهم ورتب الشواتى والصوائف (الشواتي جمع الشاتية وهي السرية التى تغزو في الشتاء والصوائف جمع صائفة وهي التى تغزو في الصيف) وسد فروج الشام ومسالحها واستعمل عبد الله بن قيس على السواحل من كل كورة واستعمل معاوية علي دمشق وعزل شرحبيل عن الاردن وقال للناس انى لم أعزله عن ريبة ولكن أريد رجلا أقوى من رجل واستعمل عمرو بن عتبة على الاهراء (جمع هرى وهو بيت

كبير يجمع فيه طعام السلطان) ثم قيل لعمر لو أمرت بلالا فأذن فأمره بذلك فما بقي أحد أدرك النبي ﷺ الا بكى حتى بل لحيته وعمر أشد الناس بكاء وبكي من لم يدركه لبكائهم كل ذلك لذكرى رسول الله ﷺ ثم رجع عمر الى المدينه في ذي القعدة

فتح مصر

ولما كان بالشام استأذنه عمرو بن العاص في فتح مصر وذكر له خيرها وانها قوة عظيمة لمملكة الروم وكانت اذ ذاك تابعة لهم عليها وال من قبلهم يقيم بالاسكندرية فسيره عمر بجيش كثيف ثم اتبعه بالزبير بن العوام فاقتحموا باب أليون وساروا في قرى الريف الى مصر وهناك قابلهم الجاثليق أبو مريم ومعه الاسقف بعثه المقوقس عظيم مصر لحماية البلاد فلما نزل بهم عمرو بدؤه بالقتال فقال عمرو لاتعجلوا حتى نعذر اليكم وليبرز الي الجاثليق والاسقف فخرجا اليه فدعاهما الى الاسلام أو الجزية وأخبرهما بوصية النبي ﷺ بأهل مصر بسبب هاجر أم اسماعيل . روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال (انكم ستفتحون مصر وهي أرض فيها يسمى القيراط فاذا فتحتموها فأحسنوا الى أهلها فان لهم ذمة ورحما او ذمة وصهرا) فقالا قرابة بعيدة لا يصل مثلها الا الانبياء آمنا حتى نرجع اليك فقال مثلى لا يخدع ولكني أؤجلكما ثلاثا لتنظرا فقالا زدنا فزداهما يوما فرجعا الى المقوقس عظيم القبط وارطبون الوالى من قبل الروم فاخبراهما خبر المسلمين فاما أرطبون فأبى وعزم على الحرب وبيت المسلمين فهزموه هو وجنده الى

الاسكندرية ونازل المسلمون عين شمس (وهي المطرية وكانت على فرع من فروع النيل) فحاصروها وبعث عمرو لحصار الفرماء ابرهة بن الصباح ولحصار الاسكندرية عوف بن مالك وراسله أهل البلاد وانتظروا ما يفعله المسلمون بعين شمس وبعد مدة من حصارها رضى أهلها بالصلح على اعطاء الجزية وأجروا ما أخذ قبل ذلك عنوة مجرى الصلح وشرطوا رد السبايا فأرسل ابن العاص الى أمير المؤمنين بذلك فأجاب وكتب لهم عمرو بذلك كتابا هذا نصه

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الامان على انفسهم وأموالهم وملتهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينقص ولا يسا كنهم النوب وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية ان اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين الف الف درهم وعليهم ماجني اصوتهم فان أبى أحدهم منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم وذمتنا ممن أبى بريئة وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل مالهم وعليه مثل ماعليهم ومن ابى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا عليهم ماعليهم اثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على مافي هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين وعلى النوبة الذين استجابوا ان يعينوا بكذا وكذا راسا وكذا فرسا على أن لايغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولاراود. شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب

وردان وحضر (عن الطبرى) فدخل في ذلك الصلح أهل مصر كلهم . أما المبلغ الذى قرر عليهم فبلغ الف الف ومائتين وخمسين الفا من دنانير اليوم باعتبار الدرهم قرشين ونصفا فلا ينال الشخص الواحد منهم الاعشر الدينار أو ما يزيد عن ذلك قليلا لان تعداد مصر اذ ذاك كان على أقل ماورد فى كتب التاريخ عشرة آلاف الف ثم نزل المسلمون على الفسطاط الذى ضربه عمرو واختطوا حوله خيامهم في الموضع الذي كانوا يحاصرون مصر منه وهجروا المدينة التي كان يسكنها المقوقس وأسس عمرو بمدينته مسجده المشهور ولما انتهي أمر الصلح سار عمر الى الاسكندرية فاجتمع له من بينها وبين الفسطاط من الروم والقبط فهزمهم وأثخن فيهم ونازل الاسكندرية وطاب من أهلها النزول على صلح أهل مصر فلم يفعلوا ففتحها عنوة وغنم مافيها وجعلهم ذمة وكان الروم قد أخذوا فى وقت الحرب شيئا كثيرا من الاقباط أهل الارياف فاتوا الى عمرو وقالوا لم نكن محاربين بل أخذت أموالنا قهراً عنا فرد عليهم ماعرفوه انه لهم بعد اقامة البينة على ذلك ولما تم فتح مصر والاسكندرية وارتحل الروم الى القسطنطينية اقام المقوقس والقبط على الصلح الذى عقده لهم عمرو وابقي المقوقس على رياسة قومه وكان المسلمون يشاورونه فيما ينزل من المهمات الى أن توفى وكان يقيم بالاسكندرية وفي بعض الاوقات بمنف

وبفتح مصر انتهى مافعله المسلمون رضوان الله عليهم مع الروم فى مدة عمر أخذوا ولايتين عظيمتين الشام ومصر وجزءاً مهما من جنوب بلاد الروم (الاناضول) وبلاجمال فقد اضعفوا شوكتهم وادالوا

دولتهم وحيث قد مضى القول فيما كان من الفتوحات زمن الخليفتين رضى الله عنهما وكان من اللازم على المسلم أن يعرف تلك النظامات السامية التي كان يتبعها المسلمون في ذاك العصر حتى وصلوا الى ماوصلوا اليه من خوارق العادات فنقول

كان عصر رسول ﷺ وعصر الامة في عهد الخليفتين من بعد مظهر الاسلام ونظاماته يحق لنا أن نجعل هذا الوقت أساسا لنظام الاسلام في العصر الاول ونحكم حكما قطعيا ان المسلمين اذا اتبعوها عزوا واذا حادوا عنها ذلوا





مقام الخلافة

مقام الخلافة هو مقام نيابة عن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ في حراسة الدين وسياسة الدنيا وكان الخلفاء الراشدون يستمدون أقوالهم وأفعالهم من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كانت الامة تنظر الى الخليفة نظرها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبذلون له الطاعة في سرهم وعلانيتهم ممتثلين قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وقوله تعالى (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) وقوله (فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما) فكانوا يرون ان عصيان الخليفة مروق عن الدين وخروج عن حده ولم يكن ذلك نتيجة تكبر أو ترفع من الخلفاء حاشا لله بل كان أصغر الناس يقف له الخليفة حتى تقضى حاجته اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر يجالس الفقراء والمساكين لا يأنف من ذلك

هذا كان حال الامة مع الخليفة أما الخليفة فكان لا يعتقد في نفسه انه أرقى درجة من الامة قال أبو بكر في أول خطبة له (قد وليت عليكم ولست بخيركم) ولم يكن يظن لنفسه أدنى تصرف في أموالهم ولا دمائهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع (أيها الناس ان دماءكم وأموالكم

وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا فى بلدكم هذا) ولما أرسل خالد بن الوليد لابى بكر هدية الفرس التى اعتادوا تقديمها لملوكهم عدها من الجزية وأمر خالد أن يحسبها منها ولما جاءت عمر ذخائر الاكاسرة بعد فتح العراق ردها لتباع وتقسم على الفاتحين كما أمر الله تعالى ولما عدا جبلة بن الايهم الغساني (آخر ملوك الغساسنة بالشام) على الاعرابي فلطم وجهه أبي عمر الا القصاص. وكان عمر يرسل لجميع الامة فى الامصار ان من آذاه وال أو أمير فليواف الموسم ليقتص له فكان الامراء والولاة يخشون ايذاء مسلم أو ذمى لئلا يقتص منهم على رؤوس الاشهاد فينفضحوا فكانت الامة في نظر الخليفة سواء لا فضل لعربي على عجمى الا بالتقوى. قال أبو بكر فى أول خطبة له (الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له الحق والقوي فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه) ولم يكن الخليفة يحتجب عن الرعية حتى يصعب على أحد منهم ان يكلمه فكان عمر لا يبالى أن يجلس فى المسجد او في السوق وكانت الرحمة للامة ملء قلوبهم تشبها برسول الله صلى الله الله عليه وسلم الذي سماه الله الرؤوف الرحيم فكان ابو بكر وعمر يخرجان بالليل يتفقدان أحوال البائسين من الامة حتى لا يكون لأحد عليهما حجة يوم لا ينفع مال ولا بنون وكان عمر يقول والذى بعث محمداً بالحق لو ان جملا هلك ضياعاً بشط الفرات خشيت ان يسأل الله عنه آل الخطاب يعنى بذلك نفسه وكان اذا ولى عاملا يقول اللهم انى لم أبعثهم ليأخذوا أموالهم ولا يضربوا ابشارهم من ظلمه اميره فلا امرة عليه دوني وكان يحمل الدقيق

على ظهره ليوصله الى الفقراء والمساكين. روى الطبرى عن زيد بن اسلم عن ابيه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رحمه الله الى حرة واقم حتى اذا كنا بصرار اذا نار تؤرث فقال يااسلم اني ارى هؤلاء ركبا قصربهم الليل والبرد انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فاذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون فقال عمر السلام عليكم يااصحاب الضوء وكره ان يقول يااصحاب النار قالت وعليك السلام قال أأدنو قالت أدن بخير أودع فدنا فقال مابالكم قالت قصر بنا الليل والبرد قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون قالت الجوع قال وأى شيء في هذه القدر قالت ماء اسكتهم به حتي يناموا الله بيننا وبين عمر قال أى رحمك الله مايدرى عمر بكم قالت يتولى أمرنا ويغفل عنا فأقبل على فقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتي آتينا دار الدقيق فاخرج عدلا فيه كبة شحم فقال احمله علي فقلت احمله عنك قال احمله علي مرتين أو ثلاثا كل ذلك وأنا أقول انا احمله عنك فقال له فى آخر ذلك أنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهرول حتي انتهينا اليها فألقى ذلك عندها واخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول ذرى على وانا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر الى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج أدم القدر ثم انزلها وقال ابغيني شيئاً فأتته بصحفة فافرغها فيها ثم جعل يقول اطعميهم وانا اسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها فضل ذلك وقام فقمت معه فجعلت تقول جزاك الله خيرا انت أولى بهذا الامر من أمير المؤمنين فيقول قولى خيرا انك اذا جئت امير المؤمنين وجدتنى هنالك ان شاء الله ثم تنحى عنها

ثم استقبلها وربض مربض السبع فجعلت اقول له ان لك شأنا غير هذا رهو لايكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدؤا فقام وهو يحمد الله ثم أقبل علي وقال يا أسلم ان الجوع اسهرهم وابكاهم فاحببت ان لا انصرف حتى أرى مارأيت منهم وبقدر ما كانت رحمتهم كانت شدتهم في جانب الله وحدوده لايبالون على من اقاموها عليه متبعين ماقاله رسول الله ﷺ حينما سرقت المرأة المخزومية وكلموه في أن يعفوا عن قطع يدها (انه اهلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه واالله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها) وحد عمر ابنه في شراب له فمات لم تمنعه رقة الابوة عن اقامة حد الله وعلى العموم فكان خلقهم القرآن والسنة لاينحرفون عنهما يمنة ولايسرة ويجتهدون أن يصيبوا ما كان رسول الله ﷺ يفعله في أمره كله

الصلاة

كان المسلمون يعتقدون ان الفارق بين المسلم وغيره هو الصلاة قال تعالى (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) وقال (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وقال رسول الله ﷺ وقد سئل أى الاعمال افضل (الصلاة لوقتها) فكانوا يحافظون على أوقاتها ولما كان للشرع مقصد سام من تفضيل صلاة الجماعة لتجتمع القلوب بالتوجه لوجهة واحدة كانوا يفضلون صلاة الجماعة على صلاة الفذ (المنفرد) حتى انهم ليتهمون تاركها

بالنفاق وناهيك بما قاله رسول الله ﷺ في حق المتخلفين عنها «والذى نفسى بيده لقد هممت ان آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم اخالف الى رجال فأحرق عليهم بيوتهم » رواه البخارى وقال رسول الله ﷺ « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » وكانت امامة المسلمين في الصلاة راجعة الى الخليفة يعدها ارفع وظائفه ولقد استدل الصحابة رضوان الله عليهم على احقية ابى بكر بالخلافة باستخلاف رسول الله ﷺ له في الصلاة بالمسلمين حين مرضه ولم يكن الخلفاء يوكلون فيها بل كانوا يباشرونها بانفسهم كما كان امراؤهم في الولايات كذلك ومثل امامة الصلاة الخطبة في اوقاتها والجمعة والاعياد والحوادث لايقوم مقام الخليفة أو أميره احد من الناس. وهذا كان يفعل فى المساجد الكبرى في الامصار . أما المساجد المختصة بقوم أو محلة فكان الخليفة يعين لها من يقوم بالصلاة فيها كما فعل عليه السلام مع أهل قباء وغيرهم وليس ذاك شأن الخطبة فانه لم يكن فى المصر الواحد الا مسجد واحد جامع يقوم بالخطبة فيه أمير المؤمنين أو أمير المصر وجعل الشرع عقاب تارك الصلاة كسلا القتل ان لم يتب حسبما رآه بعض الفقهاء ورأى آخرون انه يعزر فحسب . أما اذا لم يعتقدها فهو مارق من الدين يقتل كفرا

الزكاة

الزكاة هي احد اركان الاسلام وقد أمر الشرع بأخذها من الاغنياء وردها على الفقراء وجعل لها نصابا معلوما متى ملكه الانسان حقت عليه

فى النقدين والنعم ومايخرج من بركات الارض وعروض التجارة ومن منعها قوتل عليها كما فعل ابو بكر مع مانعى الزكاة ومصارفها مذكورة في قوله تعالى « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » والفقراء والمساكين هم العاجزون عن ادراك حاجاتهم بانفسهم والعاملون عليها هم العمال الذين يعينهم الخليفة لقبضها ، والمؤلفة قلوبهم من لم يسلموا وينظر اسلامهم أن أعطوا أو أسلموا وفي اسلامهم ضعف والاعطاء يقويه وقد أعطى رسول الله ﷺ القسمين بعد موقعة المؤمنين، والرقاب هم المكاتبون الارقاء الذين كاتبهم ملاكهم على شيء اذا دفعوه عتقوا والاسارى أو تشترى الرقاب فتعتق ،والغارمون هم الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وسبيل الله الجهاد وابن السبيل المنقطع عن ماله.
ومن تأمل الى نظام الزكاة وجده أبدع نظام لصلاح الامة والحكومة فهي شيء لايضر الاغنياء ويعود بالنفع العميم على الفقراء فتعم السعادة الامة باسرها فلا يشتغل أفرادها بالاحتيال لاخذ أموال الناس بالباطل سلبا أو سرقة ولا تتولد العداوة والبغضاء بين الغنى والفقير فيتمنى هذا هلاك ذاك وتعست أمة بين أفرادها عداوة وبغضاء

الحج

الحج من اركان الدين العظمى وقد فرضه الله على كل مسلم مرة في فى عمره .قال تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا

وكان االذى يتولى الحج بالمسلمين خليفتهم وكان الخلفاء الراشدون يكتبون الي ولاتهم بالامصار ان يوافواموسم الحج للاطلاع اعلى أمرهم وسيرهم مع رعيتهم فمن كان لاحد من الرعية عليه شكوى اقتص منه مع ما في ذلك من رؤية المسامين في بقاع الارض لخليفتهم فيتجدد بذلك عندهم عهد الطاعة وقلما كان الخلفاء ينيبون عنهم من يحج بالناس وقد فعل رسول الله ﷺ الامرين جميعا فحج بنفسه حجة الوداع وأمر أبا بكر أن يحج بالناس فى السنة التاسعة

الصوم

الصوم هو الركن الخامس من اركان الاسلام وقد فرضه الله علي الامة شهرا في السنة لتتهذب نفوسهم وتعطف على الفقراء والمساكين الذين بهم خصاصة فيعطوا الزكاة عن طيب نفس ولذلك فرض الله عقبها زكاة الفطر وتارك الصوم يعزر بما يراه الامام رادعا . فما أوفق هذه الاركان وما أسعد الامة لو اتبعتها ولم تتهاون بشيء منها فكلها لها حكمة باهرة لم يفرضها البارىء عبثا. ياعجبا كل العجب لمن يقول انى مسلم ثم هو يترك ركنا من اركان دينه الا يرى انه اذا نقض من البناء ركن تداعي له البناء كله. ويوشك ان ينقض من أسه والعياذ بالله الهمنا يالله الصواب ووفقنا لما يرضيك انك سميع الدعاء

القضاء

القضاء من وظائف الخلافة الكبرى لانه منصب الفصل بين الناس

في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للنزاع بالاحكام الشرعية المتلقاة من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ قال الله تعالى فى سورة المائدة و« من لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون » وفى آية أخرى « فأولئك هم الظالمون » وفي أخرى « فأولئك هم الفاسقون » وكان الخلفاء فى صدر الاسلام يباشرونه بأنفسهم ولايجعلونه لمن سواهم وأول من دفعه الى غيره كما قال ابن خلدون هو عمر بن الخطاب فولى ابا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى ابا موسى الأشعرى بالكوفة وكتب له فى ذالك الكتاب المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاة وهذا نصه منقولا عن الكامل للمبرد

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من عبدالله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلام عليك ، اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلى اليك فانه لاينفع تكلم بحق لانفاذ له . آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لايطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك ،البينة على من أدعي واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما أو حرم حلالا لا يمنعك قضاء قضيته بالامس فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى في الباطل.الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة .ثم اعرف الاشباه والامثال فقس الامور عند ذلك واعمد الى أقربها الى الله واشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة امدا ينتهي اليه فان أحضر بينته أخذت له بحقه والا استحللت عليه

القضية فانه انفي للشك واجلي للعمي المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد او مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايمان واياك والغلق والضجر والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات فان الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام) وانما قلد عمر القضاء لغيره لقيامه بالسياسة العامة وكثرة اشغاله من الجهاد والفتوحات وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن ذلك مما يقوم به غيره لعظم العناية به فاستخف القضاء فى الواقعات بين الناس واستخلف فيه من يقوم به تخفيفا على نفسه وكان الذين ينتخبون لهذا العمل العظيم من كثرت صحبتهم لرسول الله ﷺ فسطع عليهم نوره فهم لذلك يقدرون على استنباط الاحكام من القرآن والسنة المطهرة ويتباعدون عن كل مايغضب الله ورسوله من جور ورشوة قال تعالى في سورة النساء (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) وقال فيها (يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) حتى كانوا يتباعدون عن قبول الهدايا واجابة الدعوة الى الولائم فكان القضاة اذ ذاك سرجا يهتدى بهم فى الظلما لايريدون الا الله بأعمالهم بعد ان قربت منهم الدنيا فابتعدوا عنها لعلمهم انها ظلمات يوم القيامة فرضى الله عنهم اجمعين

الفتيا

الفتيا فى صدر الاسلام كانت مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكان نور النبوة اذ ذاك ساطعا على الامة فبينهم كثير ممن روى الاحاديث وحفظها فمن مقل ومن مكثر كأم المؤمنين عائشة وعبد الله ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وابن عمرو بن العاص وغيرهم ولم يكن هنالك ادنى مجال للكذب علي رسول الله ﷺ كيف وقد قال « من كذب على عامدا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » فكان الدين خاليا من تلك الشائبة التي احدثها خلف من بعدهم. وكان الخلفاء يستفتون كبار الصحابة فيما يعرض لهم من الحوادث فقد استفتى عمر عبد الرحمن بن عوف فيمن قتل ارنبا فى الحرم ولخطر الفتيا كان الاصحاب يحيلون على بعضهم فيها وكان المتصدرون لها منهم على كثرتهم سبعة عشر صحابيا وانما كانو يتباعدون عنها خوف الخطأ في الاحكام

الحدود

قد فرض الله عقابا لكثير من الاعمال التى تنتج الفساد فى الامة وهذا العقاب حاسم وكفيل بعدم العودة الى الشر وهو اربعة انواع قتل وجلد وقطع وتعزير فالاول على من قتل نفسا بغير حق أو ارتد أو سعى في الارض فسادا او فر من الزحف أو ترك الصلاة كسلا على رأي أو زنى بعد احصان لان الزنا جناية على الامة كلها حيث يختل نظام البيوت فيخرج الولد ولا أب

له يربيه ويهذبه فهو والحالة هذه أشد خطرا من جناية القتل والجلد. لمن زنى قبل احصانه يجلد مائة ومن قذف غيره بزنا يجلد ثمانين ومن شرب خمرا يجلد أربعين أو ثمانين على اختلاف الصحابة في ذلك . والسارق تقطع يده والجاني على ماسوى النفس يقتص منه بمثل مافعل ، العين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص وجعل الحق في العفو للمجنى عليه أو وليه وهذا حق من حقوق الامة اخذه الحكام حبا في الأثرة بالسلطان . اما اذا كان القتل فما دونه خطأ فقد فرض الشرع لولى المجنى عليه في القتل الدية وله فيما دون ذلك الارش ليكون بمثابة تعويض عما فقد من نفس أو عضو وهذا العقاب افيد للمجنى عليهم واردع للجناة . أما التعزيز فهو فيما سوى ذلك من الاعمال التى انكرها الدين كالغصب وترك الصوم وما شاكل ذلك وهذا فرض الشرع فيه الامر لولاة ولو كان كتابنا هذا من موضوعه التكلم في الفروع لاستقصينا أحكام الشرع فى الحدود والجنايات ولكن فيما ذكرناه من أمهات المسائل كفاية فى الدلالة على أن نظام الشرع ارقى وأسمى مما يبتدع من النظامات التى لا تلبث على حال بل هى كل يوم في تغيير وتبديل ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم

الجهاد

أرسل الله محمدا ﷺ بدين قويم بشيرا ونذيرا فقام بما حمل وبلغ رسالة ربه كما امر ولما كان قومه هم العرب بدأ بهم عامة وبقريش خاصة فارشدهم الى الحق وانار لهم الطريق ودعاهم الى دين كله مكارم أخلاق فتبعه قوم وجفاه

آخرون وقاموا في وجهه يمنعونه تأدية رسالة ربه فصبر عليهم صبر نبي كريم رؤوف رحيم فلم يزدهم الحلم الا غيا فارتكبوا صنوفا من البغي والايذاء له ولمن اتبعه وازداد بهم الامر حتى تآمروا على قتله فأمره الله بالهجرة الى دار قوم اتبعوه وآمنوا به وهم الانصار سكان المدينة الذين بايعوه على القيام دونه حتى يؤدي رسالة ربه . فواقع قريشا جملة وقائع أولها غزوة بدر وآخرها غزوة الفتح التي فتحت فيها مكة وسقطت دولة الاوثان من البيت الحرام فدان أكثر قريش بالدين الحنيفي وازدادوا به عزا على عزهم في الجاهلية ولما كان أكثر العرب ممالئا لهم على ما هم فيه من الطغيان أمره الله بقتالهم كافة كما قاتلوا المسلمين كافة. فكان له معهم جملة مواقع آخرها وقعة هوازن بحنين التي ذهبت بها دولة الشرك من بلاد العرب ودعا عليه الصلاة والسلام من يجاوره من أهل الكتاب الى دينه الذي جاء مصدقا لما بين يديه قال تعالى في سورة آل عمران (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان) فأبوا الدخول في دينه فعاهدهم وعاهدوه على ان لا يكونوا مع عدوه فلم يفوا بما عاهدوا ومالؤا الاحزاب فنبذ اليهم على سواء وواقعهم جملة مواقع آخرها غزوة خيبر التي انقض بها جمع اليهود وزالت دولتهم

ولما كانت دعوته عليه الصلاة والسلام عامة بحكم قوله تعالى في سورة سبأ (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) راسل ملوك الارض الذين كانت لهم السطوة اذ ذاك فكاتب ملك الفرس كسرى ومن تحت حمايته من ملوك العرب وكاتب قيصر ملك الروم ومن تحت رعايته وكاتب النجاشي

ملك الحبشة ليستضيء العالم بنور الاسلام ويتساوي الصغير والكبير أمام الحق فلا يطمع الشريف فى الحيف ولا ييأس الضعيف من العدل فتتخلص الامم من جور ملوك كانوا يعدون انفسهم آلهة ورعيتهم عبيدا وكان مما فرضه الله على لسان نبيه من أن من أسلم فقد أحرز ماله ودمه وصار المسلمين أخا لايكلف الا دفع الزكاة التى بها قوام الامة ومن ابى الاسلام لايجبر عليه بل يرضى بحكم الاسلام ونظاماته في المعاملات ويدفع مقابل حمايته جزاء صغيرا حده الشرع ، وبذلك يكون فى ذمة الله ورسوله له ماالمسلمين وعليه ماعليهم فيجب على المسلمين أن يدافعوا عنه كما يدافعوا عن انفسهم وأموالهم وابنائهم وله الحرية التامة في العمل بمقتضى دينه . أما من أبي الامرين فيقاتل لان الاسلام دين قويم جاء مصدقا بجميع الكتب المنزلة قبله واحتوى على مكارم أخلاق عليها مدار السعادة في الدنيا فآبي الدخول فيه أو الانقياد لاحكامه الدنيوية مع البقاء على دينه في عبادته لاعذر له . ولما توفي رسول الله ﷺ كان من واجبات الخليفة بعد تتميم ماأمر به لانه خليفته فى حراسة الدين وسياسة الدنيا فقام الخلفاء الراشدون بعده بذلك خير قيام غيرهيابين ولا وكلين فجردوا الجيوش لحرب الدولتين العظيمتين المجاورتين لبلادالعرب . دولة الفرس ودولة الروم بعد ان كتبوا لهم الكتب يدعونهم الدخول فى الاسلام أو الانقياد لاحكامه مع اعطاء الجزاء وكانت قيادة الجيوش من وظائف الخليفة تبعا لرسول الله ﷺ الذى كان يخرج بنفسه في الغزوات ولكن لما كان للخلفاء مقاصد كثيرة في بلدان متعددة يريدون فتحها فى آن واحد لم يكن بد من أن يستعينوا

بغيرهم في أمرة الجيوش ممن لايقل عنهم فى الشجاعة وتدبير الحرب فانتخبوا من اخوانهم من الصحابة من يستحق أن يسند له منصب عظيم كهذا ولم يكن ينظر فيه لغنى أو شرف قبيلة أو قدم صحبة أوا كبر سن فقد ولى رسول ﷺ عمرو بن العاص امرة جيش فيه ابو بكر وعمر وولى اسامة بن زيد امرة جيش آخر هما فيه وانما كان ينظر في ذلك الى العلم بالحرب والقدرة على تدبيرها واعداد كل أمر لما يناسبه وكان الخلفاء يأمرون أمراء الجيوش بما كان يأمرهم به رسول ﷺ أن لايبدؤا امة بقتال حتي يعرضوا عليهم الاسلام فان أبوه فالجزية فان أبوها فالقتال وكانوا يوصونهم بما أوصى به أبو بكر اسامة حين سيره بعد وفاة رسول الله ﷺ بعدم الافساد في الارض وعدم التعدي على النساء والصبيان والشيوخ والرهبان وكانوا يقسمون الجيش الى خمسة أقسام مقدمة وساقة ومجنبتان وقلب ولكل قسم أمير يصدر عن أمر قائد الجيش وكانوا يقسمون الجيش بعد ذلك كراديس (صفوفا) كل كردوس الف رجل وعلى كل كردوس رجل من الشجعان يكون فيهم بمنزلة الامير ثم يقسمون الكردوس الى عشرات على كل عشرة رئيس يسمى عريفا وكانوا يقاتلون بالزحف عملا بقوله تعالى «ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص» وقال عليه السلام «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وقتال الزحف أشد على الاعداء من قتال الكر والفر الذي كان متبعا عند العرب (أما) غنائم الحرب فكانت تقسم أخماسا فأربعة أخماسها للغزاة الراجل ثلث الفارس والخمس الباقي يقسم حسبما أمر الله تعالى في سورة الانفال « واعلموا انما

غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل » وأما الاسرى فحكمهم ماذكره الله في سورة القتال « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » والمن ان يعفو الخليفة عن الاسير فيطلقه من غير فداء والفداء يختلف بحال الاسرى غنى وفقراً. اما سلب القتيل فحق القاتل لا نازع فيه ولم يكن في العصر الاول عدد معلوم للجيش بل كان كل مسلم ملزما بالاستعداد عند ماينتدبه الخليفة واذا كان الاستنفار عاما وجب على كل مسلم الخروج ومن تخلف ظن فيه النفاق وعوقب أشد العقاب وناهيك ما حصل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتخلفين عن غزوة تبوك حيث نهي المسلمون عن مخالطتهم وعادثهم كأنهم ليسوا منهم الى أن تاب الله عز وجل عليهم حينما ظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه وكانت العادة في عصر الخلفاء الراشدين ان من تخلف عن وجهته التي وجه اليها يشهر في الناس حتى يعتبر المعتبرون وأول من عاقب بالقتل على التخلف عن الخروج الى الوجهة التي امر بها هو الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق في الدولة الاموية وكانوا يقرعون بين الناس اذا احتاجوا لعدد معين وكانت الجيوش تسير ونصر الله يكفلها وعنايته تحوطها لما كان عليه الافراد من طاعة الرؤساء وما كان عليه الامراء من الانقياد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعدم الاستئثار بشيء من الفيء أو الغنيمة فليس ثم مجال للظنون التي تنزل بالرئيس والمرؤس الى الدرك الاسفل من الهوان وانظر مافعله أبو عبيد بن مسعود الثقفي أحد امراء جيش العراق حينما قدم له

الفرس طعاما خاصا فانه سألهم هل أطعمتم الجند مثله فقالوا لم يتيسر فامتنع من أكله وقال بئس المرء أبو عبيد أن صحب قوما استأثر عليهم بالفيء وهكذا كان غيره من الامراء رضوان الله عليهم أجمعين وكان كل مسلم يعتقد أن الجهاد أول واجباته فترى طفلهم يشب وقد عود الفروسية والطعن والضرب وكان الصبيان يتسابقون الى درج أسمائهم فى الغزاة ويحزنهم أن ردوا وناهيك بما كان من رافع بن خديج وسمرة بن جندب حينما استصغرهما رسول الله ﷺ فردهما ثم أجاز رافعا لما قيل له أنه رام فبكى سمرة وقال لزوج أمه أجاز رسول الله ﷺ رافعا وردنى مع أني اصرعه فلما علم بذلك عليه الصلاة والسلام أمرهما بالمصارعة فغلب سمرة فاجازه فاذا كبر الطفل ركب الاهوال وهو عالم بها معتقد أنه سينال احدى الحسنيين اما ظفر بفتح واما ظفر بشهادة وحسبك في ذلك ما أجاب به رسل سعد بن أبي وقاص رئيس جيش القادسية يزجرد ملك الفرس ورستم قائد جيشها فاذا تأملت الى اتفاق جميعهم فى الاجابة لم ترتب في أن أولئك قوم لهم وجهة واحدة يتجهون اليها فى أقوالهم وافعالهم وهي نصر دين الله واعلاء كلمته لا يبالون بما يحول دون ذلك من الاخطار أولئك قوم جاهدوا في الله حق جهاده فنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير وفي كلام الله سبحانه وتعالى وأحاديث رسوله ﷺ كثير من المحرضات على الجهاد ولذلك أقبل المسلمون عليه غير هيابين ولا وكلين لا تلهيهم الامانى الكاذبة ولا تخدعهم الاوهام

بيت المال

أول من اتخذ بيتا للمال عمر بن الخطاب وكان ايراده من زكاة المسلمين. وجزية أهل الذمة وخمس الغنائم ومواريث من ليس لهم وارث من موتى. المسلمين فكان مطهرا من المظالم نقيا عما كانت الملوك تأخذه من اممها ظلما. أما مصاريف بيت المال فكانت الزكاة تصرف في مصارفها التي ذكرناها في الزكاة. وجزية أهل الذمة تصرف في سبيل الله وهو معدات الجهاد وخمس الغنائم في مصارفه المذكورة في الجهاد ومواريث الموتى تصرف فيما يراه الامام ولم يكن المستحقين شيء مخصوص يعطونه حتي فرض عمر العطاء ودون الدواوين لحصر اسماء الغزاة فجعل للعباس خمسة وعشرين الف درهم في السنة ولأزواج رسول الله ﷺ عشرة آلاف ولاهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ولنسائهم خمسمائة خمسمائة وألحق بأهل بدر أربعة ليسوا منهم: الحسن والحسين ابني علي واباذر وسلمان الفارسي ولمن بعد بدر الى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ولنسائهم اربعمائة اربعمائة ولمن بعد الحديبية الى ان انتهي أبو بكر من حروب اهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ولنسائهم ثلاثمائة ثلاثمائة ولمن شهد القادسية واليرموك ألفين ألفين ولنسائهم مائتين مائتين ولاهل البلاء النازع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة ولنسائهم كمن قبلهم ولمن بعد القادسية واليرموك الفا الفا ولنسائهم كمن قبلهم وللروادف المثنى خمسمائة خمسمائة ثم للروادف الثليث بعدهم ثلاثمائة ثلاثمائة وفرض للروادف الربيع مائتين وخمسين مائتين

وخمسين وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد مائتين مائتين سوى كل طبقة في العطاء قويهم وضعيفهم عربهم وعجمهم، وللصبيان مائة مائة ولكل مسكين جريبتين في الشهر ثم قال عمر اني كنت امرأ تاجرا يغني الله عيالي بتجارتي وقد شغلتموني بأمركم هذا فما ترون أنه يحل لي من هذا المال فقال على لك ما اصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره فأخذ قوته واشتدت بعد ذاك حاجته فاجتمع نفر من كبار الصحابة فيهم عثمان وعلى وطلحة والزبير وقالوا لو قلنا لعمر في زيادة نزيده اياها في رزقه فقال عثمان هلم فلنعلم ماعنده من وراء وراء فأتوا أم المؤمنين حفصة بنت عمر فاعلموها الحال وأوصوها ألا تخبر بهم عمر فلقيت حفصة عمر في ذاك فغضب وقال من هؤلاء لاسؤنهم قالت لاسبيل الى علمهم قال انت بيني وبينهم ما أفضل ما اقتنى رسول الله ﷺ في بيتك من الملبس قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد والجمع قال فاى الطعام ناله عندك ارفع قالت حرفا من خبز شعير فصببنا عليه وهو حار اسفل عكة لنا فجعلناها دسمة حلوة فأكل منها قال فاي مبسط يبسط عندك كان أوطأ قالت لساء ثخين كنا نربعه في الصيف فاذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه قال ياحفصه فأبلغيهم أن رسول الله ﷺ قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترجية فوالله لاضعن الفضول مواضعها ولأتبلغن بالترجية وانما مثلي ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقا فمضى الاول اسبيله وقد تزود فبلغ المنزل ثم اتبعه الاخر فسلك سبيله فافضى اليه ثم اتبعه الثالث فان لزم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما وان سلك طريقا غير طريقهما لم يلقهما فتأمل كيف أن عمر رضى الله عنه مع اقبال الدنيا على المسلمين،

وتغير الاحوال عما كانت في عهد رسول الله ﷺ لم يجد لنفسه مسوغا أن يزيد عما كان عليه رسول الله ﷺ بل اتبع هدية وسار بسيرته ليلقاه آمنا . وكان رضى الله عنه يقول انا كوصى مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف اشارة الى قوله تعالى في حق الوصى (فمن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف)وحج رضي الله عنه مرة فلما رجع قال لابنه انظركم صرفنا فنظر فاذا هو ستة عشر دينارا فأخبره فقال عمر لقد أسرفنا يابنى لاجرم ان اعزه الله ومكن له فى الارض

العلم والتعليم

كانت العرب أمة أمية لاتشغل نفسها بالعلم فلما أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق نص كثيرا علي فضل العلم والتعليم والتعلم قال تعالي في فضل العلم (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وقال (هل يستوى الذين يعملون والذين لايعملون) وقال عليه الصلاة والسلام من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وقال (العلماء ورثة الانبياء) ومما قاله سبحانه وتعالى فى فضل التعلم (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) وقال « فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون » وقال عليه السلام من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا الى الجنة » وقال « باب من العلم يتعلمه الرجل خير من الدنيا وما فيها وما فيها » ومما جاء في فضل التعليم قوله تعالى « ولينذروا قومهم اذا رجعوا

اليهم لعلهم يحذرون » فجعل ثمرة العلم التعليم وقال « واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ حين بعثه معلما لاهل اليمن « لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير من الدنيا وما فيها » وقال « نعم العطية نعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فنطوى عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة » وقال « مثل ما بعثني به الله عز وجل كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة امسكت الماء فنفع الله عز وجل الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ) الاول مثل للمنتفع بعلمه والثاني مثل للنافع بعلمه والثالث مثل للمحروم منهما فكانت هذه الآيات القرآنية والاحاديث المحمدية حاضة للامة الاسلامية على العلم وتعليمه وتعلمه والعلم الذى حض الشرع على تعلمه هو الذى يوصل الانسان الى سعادته الاخروية والراحة فى الدنيا وها نحن نسوق لك العلوم التى كانت تعلم فى العصر الاول فنقول

القرآن

كان أفضل ما يتعلمه المتعلمون في العصر الاول هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وما لم يعرفه الانسان كان مقلدا فى ايمانه وهذا نقص لا ينبغي لمسلم الاتصاف به ولا نعنى بتعلمه حفظه عن ظهر قلب لان هذا لا يتيسر للكثير من افراد الامة بل نقصد قراءته

بتدبر وتفهم ليعلم المسلم أو امره وزواجره فيقف عند حده وكان. القرآن في عهد رسول الله ﷺ محفوظا في صدور الحفاظ ولم يكن مجموعا في مصحف فلما كانت خلافة أبي بكر ومات كثير من حفاظ القرآن في وقعة اليمامة رأى رضي الله عنه أن يجمع القرآن في مصحف بعد أن أشار عليه بذلك عمر بن الخطاب فقال كيف أفعل شيأ لم يفعله رسول الله ﷺ فلم يزل به حتى شرح الله صدره لذلك فندب لهذا العمل العظيم كاتب وحي رسول الله ﷺ وأحد الذين جمعوا القرآن في عهده ﷺ وهو زيد بن ثابت الانصاري فقال كيف أفعل شيأ لم يفعله رسول الله ﷺ فلم يزل به أبو بكر حتى شرح الله صدره لما شرح له صدر أبي بكر وعمر فقام بهذا العمل خير قيام وجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ورتبه كما كان مرتباً في عهد رسول ﷺ ولما كان يكتب سورة التوبة وأتى على قوله تعالى « صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون » ظنها آخر السورة فجاءه خزيمة ابن ثابت الانصارى ذو الشهادتين وقال لقد أقرأني رسول الله ﷺ بعدها (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) فكتبها وحقق الله بعمل أبي بكر ماقاله في سورة الحجر « انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فلما كان في مدة عثمان بن عفان وتفرق القراء في الامصار كان بينهم اختلاف في الاقراء اختلاف ألفاظ لاختلاف اللغات فرأى حذيفة بن ثابت أن اختلافا كهذا بين الامة يؤدى الى شقاق وفساد وانهي ذلك الى عثمان وحذره من سوء العقبى فرأى

عثمان أن يجمع الامة على مصحف واحد يكتب بلغة قريش فجمع ستة من كبار القراء فيهم زيد بن ثابت وأمرهم بذلك وقال لهم ان اختلفتم في شيء فاكتبوه بلسان قريش فكتبوا عدة مصاحف سيرها الى الامصار وابقى واحد عنده وهذا المصحف هو الذى بين ايدينا الآن وهو الذى أقرأه رسول الله ﷺ أصحابه فجزى الله أصحاب رسول الله ﷺ أفضل ماجازى هداة قوم عن أمتهم وهذا الذى نقلناه فى جمع القرآن هو ماورد في صحيح البخارى والاتقان للسيوطى

السنة

السنة ونعني بها احاديث رسول الله ﷺ مما شرع الله من الدين قال تعالى في سورة الحشر (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) وقال (وما ينطق عن الهوي) وكانت محفوظة في صدور رواتها وكانوا يعلمونها أولادهم وخصوصا مايتعلق منها بالمغازى يقولون تعلموا مجد آبائكم ويعلم الله ان ذلك من أفضل التعليم للناشيء فانه يبث في قلبه الحمية فيشب ولاشيء احلى عنده من اكتساب مجد يعلي قدره ويرفع ذكره ولم تدون الكتب في الاحاديث حتى زمن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

الفقه

الفقه كان في عهد أصحاب رسول ﷺ مرادا به كما قال الغزالى في الاحياء علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة

الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب يدلك على ذلك قوله تعالى (ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا وقال تعالى « لهم قلوب لايفقهون بها » واراد به معاني الايمان وقال ﷺ « الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قلوا بلى يارسول قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ماسواه » وقال عليه الصلاةوالسلام فى ضمام ابن ثعلبة الاعرابي الذى وفد عليه فآمن به وعلم اركان الدين وسلم بذلك تسليما خالصا من شائبة نفاق اورياء « فقهالرجل » وهو لم يعلم بعد الاامهات الدين أما المسائل التى اصطلح علي تسميتها بالفقه فى العصر الذى بعدهم فكانت تأتى أحكامها حسب وقائعها ولم يكن في أصحابه من تجرد لاختراع المسائل والاجابة عليها

التوحيد

التوحيد كان عندهم عبارة عن أن يرى الموحد الامور كلها من اللهعز وجل رؤية تقطع التفاته عن الاسباب والوسائط فلا يري الخير والشر الا منه جل ذكره وكانوا يكتفون فى الاستدلال على ذات الله وصفاته بما ورد في القرآن الشريف لايتعدونه الى ماسواه اذ كانوا على الفطرة لم تشب قلوبهم شوائب الشك والارتياب فكانوا بعيدين عن صناعة الكلام ومعرفة طرق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على

التشدق فيها بتكثير الاسئلة واثارة الشبهات وتأليف الالزامات الامور التي جعلت بعدهم موضوعا للتوحيد كان أصحاب رسول الله ﷺ فى شغل شاغل عن ذلك بنصر دين الله والاجتهاد في تعميمه فى بقاع الارض قال امامنا المرحوم الشيخ محمد عبده فى رسالة التوحيد:

وقد مضى زمن النبي ﷺ وهو المرجع فى الحيرة والسراج في ظلمات الشبهة وقضي الخليفتان بعده ماقدر لهما من العمر في مدافعة الاعداء وجمع كلمة الاولياء ولم يكن للناس من الفراغ مايخلون فيه مع عقولهم ليبتلوها بالبحث فى مباني عقائدهم وما كان من اختلاف قليل رد اليهما وقضي الامر فيه بحكمهما بعد استشارة من جاورهما من أهل البصر بالدين ان كانت حاجة الى الاستشارة وأغلب الخلاف كان في فروع الاحكام لا في أصول العقائد ثم كان الناس فى الزمنين يفهمون أشارات الكتاب ونصوصه يعتقدون بالتنزية ويفوضون فيما يوهم التشبية ويرون ان له معنى غير مايوهمه ظاهر اللفظ . اهـ

اما الحكمة اتي أثنى الله عليها فى قوله (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا) والتي اثنى عليها رسول الله ﷺ في قوله (كلة من الحكمة يتعلمها الرجل خير من الدنيا وما فيها) والتى حض عليه السلام على البحث عنها فى قوله (الحكمة ضالة المؤمن ينشدها انى وجدها) فقد كانت منتشرة بين الصحابة وورد عن كثير منهم حكم لا يحصيها العد تهذب النفس وتحيي القلب وأكثرهم فى ذلك أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه وهانحن نسوق لك شذرات منها مما نقلناه من الجزء الثاني من الكتاب

الموسوم بنهج البلاغة قال رضي الله عنه « البخل عار والجبن منقصة والفقر يخرس الفطن عن حجته والمقل غريب فى بلدته والعجز آفة والصبر شجاعة والزهد ثروة والورع جنة » وقال نعم القرين الرضي والعلم وراثة كريمة والآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية » وقال « صدر العاقل صندوق سره والبشاشة حبل المودة والاحتمال قبر العيوب» وقال « اذا اقبلت الدنيا على أحد اعارته محاسن غيره واذا ادبرت عنه سلبته محاسن نفسه » وقال اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه » وقال « اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر » وقال « من جري فى عنان امله عثر بأجله » وقال « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » ويروى هذا عن رسول الله ﷺ وقال « من كفارات الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب » وقال « يابن آدم اذا رأيت ربك سبحانه يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره » وقال « الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتى كأنه غفر » وقال فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه » وقال كن سمحا ولا تكن مبذرا وكن مقدرا ولا تكن مقترا » وقال « من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون » وقال « طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عنه الله » وقال « احذروا صولة الكريم اذا جاع وصولة اللئيم اذا شبع » وقال (اولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة) وقال (القناعة مال لا ينفد) وقال (الايمان سبع ان خلى عنه عقر) وقال (فوت الحاجة أهون من طلبها الى غير اهلها) وقال (لا تستحى من اعطاء القليل فان الحرمان أقل منه) وقال (اذا تم العقل نقص الكلام) وقال (من نصب نفسه للناس اماماً فليبدأ

بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم) وقال (قيمة كل امرىء مايحسنه) وقال (أوصيكم بخمس لو ضربتم اليها آباط الابل لكانت لذلك أهلا لايرجون احد منكم الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحين احدا اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ولا يستحين احد اذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالرأس من الجسد ولا خير فى جسد بغير رأس ولا في إيمان لاصبر معه)وقال (من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح أمر آخرته اصلح الله له امر دنياه ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ) وقال (اعقلوا الخبر عقل رعاية لاعقل رواية فان رواة العلم كثير ولكن رعاته قليل)وقال (لايترك الناس شيئا من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم الا فتح الله عليهم ماهو أضر منه) وقال (اضاعة الفرصه غصة) وقال (عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذى منه هرب ويفوته الغنى الذى اياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الاغنياء وعجبت للمتكبر الذى كان بالامس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت لمن شك فى الله وهو يري خلق الله وعجبت لمن نسى الموت وهو يرى الموتى وعجبت لمن انكر النشأة الأخرى وهو يري النشأة الأولى وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء) وقال (لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ اخاه في ثلاث فى نكبته وغيبته ووفاته) وقال (تنزل المعونة على قدر المؤنة) وقال (المرء مخبوء تحت لسانه) وقال (لايعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان) وقال (الراضي بفعل قوم

كالداخل معهم وعلى كل داخل في باطل اثمان اثم العمل به واثم الرضى به) وقال (من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها) وقال (من كتم سره كانت الخيرة بيده) وقال (الاعجاب يمنع من الازدياد) وقال (الناس اعداء ما جهلوا) وقال (ازجر المسيء بثواب المحسن) وقال (الطمع رق مؤبد) وقال (من أبدى صفحته للحق هلك) وقال (لم يذهب من مالك ما وعظك) وقال (لا يزهدنك في المعروف من لا يشكر لك فقد يشكرك عليه من لا يستمتع به وقد تدرك من شكر الشاكر اكثر مما أضاع الكافر والله يحب المحسنين) وقال (بأس الزاد الى المعاد العدوان على العباد) وقال (من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه) وقال (الكرم أعطف من الرحم) وقال (من ظن بك خيراً فصدق ظنه) وقال (الحدة ضرب من الجنون فان صاحبها يندم فان لم يندم فجنونه مستحكم)

وهذا قليل من كثير أوردناه لك لتعلم ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في أقوالهم وأفعالهم فتعز باتباعهم ان كان لك في العز حاجة .

وهذه العلوم التي كانت في العصر الاول مشغلة للعالمين والمتعلمين لا يعرفها الا مسلم ولا يتركها الا منافق وهي التي بها صلاح الامة في الدين والدنيا وقد بقيت علوم كفايات لم يتركها المسلمون بل اشتغلوا بها لصلاح الدنيا ولا بأس أن نذكر لك بعضها لتعلم كيف كان شغلهم بها

الكتابة

كانت الكتابة فى صدر الاسلام قليلة جداً لأمية العرب ولكنها أخذت في الانتشار حينما حض على تعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابتداء شيوعها لما جعل عليه السلام فداء بعض الأسرى في بدر ان يعلم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب كثيرون لكتابة الوحى والمراسلات أشهرهم علي بن أبى طالب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبى سفيان وغيرهم وفى مدة الشيخين شاعت الكتابة أكثر

لغات الاعاجم

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم اللغة العبرانية لغة اليهود ليكون بينه وبينهم وليكتب لهم عنه عليه السلام ما يريد أن يكتبه فلا بأس أن يكون في الأمة من يعرف اللغات الاعجمية متى كان هناك احتياج الى ذلك وكان فى الصحابة كثير ممن يعرف لغة الفرس والروم وغيرهم

الطب

كان الطب مشتهراً بين العرب وله قوم مخصوصون اتخذوه حرفة من أشهرهم الحارث بن كلدة وقد انتدبه عليه السلام ليداوي مرضا ألم بسعد بن

أبي وقاص وبعث عليه السلام الى أبي ابن كعب طبيباً فقطع منه عرقاً ثم كواه عليه (رواه مسلم) ولرسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث في الحث على تعلم الطب منها «لكل دواء فاذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله» وفي هذا الحديث حث على معرفة طبائع العقاقير وتشخيص الداء حتى يجعل لكل داء دواءه وورد عنه عليه السلام أحاديث في الطب منها «الحمى من فيح جهنم فابردها بالماء» رواه مسلم ومنها أوهو أثر « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البردة » ويعجبني هنا ما ذكره الغزالى في الاحياء تنديداً بطلاب العلم الذين جعلوا دأبهم الاشتغال بفروع الفقه الدقيقة التى تنقضي الدهور ولا يحتاج لشيء منها ويهملون ما عدا ذلك من الكفايات قال رحمه الله (فكم من بلد ليس فيه طبيب إلا من أهل الذمة ولا تجوز شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحداً يشتغل به ويتهافتون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال مالا قائم به هل لهذا من سبب إلا أن الطب ليس يتيسر به الوصول الى تولى الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم على الاقران والتسلط به على الاعداء) ونحمد الله أن أوجد من غير الفقهاء من يسد هذه الثلمة في الامة فقام بتعلم الطب وافادة الناس منه ومن هنا يعلم ان الامة في العصر الاول لم تكن تخلو من قائم بالكفايات التى عليها مدار العمارية والتقدم كالحساب أو الهندسة وغير ذلك . والى هنا انتهى

ما أردنا إيراده من نظامات الاسلام وبقيت في النفس بقية نذكر فيها معاملة المسلمين لبعضهم فى العصر الاول إذ هذا هو الذي تدور عليه سعادة الامة وشقاوتها وبه عزها وذلها فاسمع وافقه ألهمنى الله وإياك الرشد قال الله تعالى فى كتابه العزيز (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) وقال (إنما المؤمنون إخوة) فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متآخين فى الله متحابين وكانت الاخوة بينهم في أعلى درجاتها وهو الايثار على النفس قال الله تعالى في وصف الانصار (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) فكان الرجل منهم يحب لاخيه ما يحب لنفسه عملا بقوله عليه السلام (لا يؤمن احدكم حتي يحب لاخيه ما يحب لنفسه) فلا يغشه لئلا يدخل تحت قوله عليه السلام (من غشنا فليس منا) ولا يكذب عليه اذا حدثه ولا يخلفه اذا وعده ولا يخونه اذا ائتمنه لئلا يكون منافقا قال عليه السلام «آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان وفى حديث آخر « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة منه حتى يدعها اذا اؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر » ولا يقصر في معاونته امتثالا لقوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى» ولا يسخر منه ولا يلمزه ولا ينابزه بالالقاب ولا يظن به الظنون ولا يتجسس عليه ولا يغتابه قال تعالى «ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من

نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم » وقال عليه السلام « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » وقال « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانًا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم وكل المسلم حرام دمه وعرضه وماله » وقال (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لامرىء أن يهجر أخاه فوق ثلاث) ولا ينم عليه لئلا يحرم الجنة قال عليه السلام (لا يدخل الجنة نمام) ولا يسبه لئلا يفسق قال عليه السلام (سباب المؤمن فسوق) ولا يجرد في وجهه سيفا لئلا تكون عاقبته النار قال عليه السلام (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه) وقال الله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) ولا يترفع عليه لضعة في نسبه أو قلة في ماله قال عليه السلام في حجة الوداع (أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ولا يعامله بالربا كيف وقد نهى الله تعالى عنه

أشد نهي فقال وقوله الحق (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا إن كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) فليتدبر هذا النهي أولو النهى من المسلمين ليعرفوا كيف آلت حالهم الى ماهم عليه الآن . وكان المسلم يرى أن من دينه نصيحة أخيه قال عليه السلام (الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ويمنع عنه أذى يده ولسانه قال عليه السلام « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر مانهى الله عنه » وكان الحياء من شعارهم قال عليه السلام « الحياء من الايمان » يطعمون الطعام ويقرؤون السلام قال عليه السلام وقد سئل أي الاعمال أفضل « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » يحبون الله ورسوله أكثر من الاموال والاولاد. قال عليه السلام « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء

لايحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار »
ومن المعلوم أن المحبة ليست شقشقة اللسان انما هى الطاعة في الاقوال والافعال قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) وآداب الاسلام التي كان المسلمون يتمسكون بها في العصر الاول لا نمل من أن نذكر لك بعضا منها ليكون لك من نفسك زاجر قال الله سبحانه (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) وقال (ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون) وقال (ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وقال (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) وقال (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون واستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد) وقال (إن تبدوا الصدقات فنعماهي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير) وقال وهي من اهم ما يجب على المسلمين تنفيذه (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم

المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) وقال (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربي والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت إيمانكم ان الله لايحب من كان مختالا فخوراً » وقال « إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيراً » وقال « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين » وقال « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقال (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لاتعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى) وقال (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربي وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) وقال (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا

ان الله يعلم ماتفعلون) وقال(وقضى ربك أن لاتعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا ولاتقربوا الزنا أنه كان فاحشة وساء سبيلا ولاتقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا وأوفو الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولاتمش في الارض مرحا إنك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها »

وقال (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك

هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وقال (واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعلمون يابنى إنها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو في السموات أو فى الارض يأت بها الله إن الله لطيف خبير يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحاً إن الله لايحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) وقال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) هذا ولو أردنا استقصاء الآداب الاسلامية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة لاحتجنا الى مجلدات ولكنا أردنا بما ذكرنا أمرين الاول انا ذكرنا لك أمهات الفضائل التى كان المسلمون في العصر الاول متخلقين بها الثانى انا لفتنا نظرك أيها المسلم لمذاكرة القرآن لتعرف ما احتوى عليه من الآداب والحكم فتقف عند ماحده لك ومذاكرة السنة المطهرة الهادية ولا تكن ممن يضعها في بيته تبركا بأوراقها ونقوشها والله الهادى الى الصراط المستقيم

مقتل عمر

لم يصب المسلمون في العصر الاول بمصيبة بعد وفاة رسـول الله ﷺ أعظم من قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه جنى عليه غلام مجوسي اسمه أبو لؤلؤة كان للمغيرة بن شعبة وها نحن نسـوق لك ما رواه البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون فى هذا المصاب الجلل قال عمرو انى لواقف مابينى وبينه (عمر) الا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان اذا مر بين الصفين قال استووا حتى اذا لم ير فيهن خللا تقدم فـكبر وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا أن كبر فسمعته يقول قتلنى أو أكلنى الـكلب حين طعنه أبو لؤلؤة فسار العلج بسـكين ذا طرفين لا يمر على أحد يميناً وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسـلمين طرح عليه برنسـا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول (عمر) يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فمن يلى عمر فقد رأي الذى أرى وأما نواحي المسجد فانهم لايدرون غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال ياابن عباس انظر من قتلني فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة قال الصنع قال نعم فقال قاتله الله لقد أمرت به معروفاً الحمد لله الذى لم يجعل ميتتى بيد رجل يدعي الاسلام وقد كنت أنت وأبوك تحبان أن تـكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقا فقال ان شئت فعلت أي ان شئت قتلنا قال

كذبت بعد ماتكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقائل يقول لا بأس عليه وقائل يقول أخاف عليه فأتى بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جوفه فعلموا أنه ميت فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال ابشر ياأمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ماقد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة قال وددت ان ذلك كفاف لا علي ولا لي فلما أدبر اذا إزاره يمس الارض قال ردوا الغلام قال يا ابن أخي ارفع ثوبك فانه أبقى لثوبك وأتقى لربك ياعبدالله بن عمر أنظر ماعلى من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه قال ان وفى بذلك مال آل عمر فأده من أموالهم والا فسل في بني عدى ابن كعب فان لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم الى غيرهم فأدعني هذا المال انطلق الى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فانى لست اليوم للمؤمنين أميراً وقل يستأذن عمر ابن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى فقال يقرأ عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسي ولأوثرن به اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبدالله بن عمر قد جاء فقال ارفعوني فأسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذى تحب ياأمير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان شيء أهم الى من ذلك فاذا قضيت فاحملوني ثم سلم فقل يستأذن عمر ابن الخطاب فان أذنت

فادخلوني وان ردتني ردوني الى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة (بنت عمر) والنساء تسير معها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه داخلا لهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين استخلف فقال كما في رواية مسلم اتحمل أمركم حياً وميتاً لوددت اني أحظى منها الكفاف لا علي ولا لي وأن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر وان أترككم فقد ترككم من هو خير مني يعني رسول الله ﷺ قال عبد الله بن عمر فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف ثم قال عمر ما أجد أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى علياً وعثمان والزبير وسعدا وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له فان أصابت الأمرة سعدا فهو ذاك والا فليستعن به أيكم ما أمر فاني لم أعزله عن عجز ولا خيانة وقال أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يدفع لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالانصار خيراً الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفوا عن مسيئهم وأوصيه بأهل الامصار خيراً فانهم ردء الاسلام وجباة المال وغيظ العدو وأن لا يأخذ عنهم الا فضلهم عن رضاهم وأوصيهم بالاعراب خيراً فانهم أصل العرب ومادة الاسلام أن يأخذ من حواشي أموالهم وترد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب قال ادخلوا فادخل فوضع

هنالك مع صاحبيه (وهنالك قال على رضى الله عنه كما فى رواية البخارى عن ابن عباس رحمك الله ان كنت لارجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأنى كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول كنت وأبو بكر وعمر وفعلت وأبو بكر وعمر وانطلقت وأبو بكر وعمر فان كنت لارجو أن يجعلك الله معهما) فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت أمرى الى على وقال طلحة قد جعلت أمرى الى عثمان وقال سعد قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن بن عوف فقال عبد الرحمن (لعثمان وعلى) أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله اليه والله عليه والاسلام لينظرن الى أفضلهم في نفسه فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن أفتجعلونه الى والله على أن لا آلو عن أفضلكم قالا نعم فأخذ بيد أحدهما (على) فقال لك قرابة من رسول الله ﷺ وقدم فى الاسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك يا عثمان فبايعه وبايع له على وولج أهل الدار فبايعوه ولما تمت البيعة صعد عثمان المنبر فخطبهم فقال (الحمد لله أيها الناس اتقوا الله ان الدنيا كما أخبر الله عنها لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) فخير العباد فيها من عصم بالله واستعصم بالله وبكتابه وقد وكلت من أمركم بعظيم لا أرجو العون عليه إلا من الله ولا يوفق للخير إلا الله وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) ثم نزل

ترجمة عثمان

(هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف الأموي القرشي وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبدمناف ولد في السنة الخامسة من ميلاد رسول الله ﷺ وشب على الاخلاق الكريمة والسيرة الحسنة حيا عفيفا ولما بعث الله محمداً ﷺ كان عثمان من السابقين إلى الاسلام على يد الصديق رضى الله عنه وزوجه عليه السلام بنته رقية فلما آذى المشركون المسلمين هاجر رضى الله عنه مع زوجه إلى بلاد الحبشة ثم رجع إلى مكة قبل الهجرة إلى المدينة فلما أذن الله بها هاجر اليها هو وزوجه وحضر مع رسول الله ﷺ كل مشاهده ولكنه لم يحضر بدراً لشغله بتمريض زوجه التي ماتت عقب انتصار المسلمين فيها وأسهم له رسول الله ﷺ في غنيمتها ثم زوجه بنته الثانية أم كلثوم وكان ممن عفا الله عنهم في أحد وكان في عمرة الحديبية سفيراً بين رسول الله ﷺ وبين قريش فلما شاع غدرهم بعثمان بايع النبي أصحابه بيعة الرضوان وقال بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان وكان له في جيش العسرة إلى تبوك اليد الطولى فقد أنفق من ماله أكثر مما جاد به غيره واشترى بئر رومة بماله ثم تصدق بها على المسلمين فكان رشاؤه فيها كرشاء واحد منهم وقد قال عليه السلام (من حفر بئر رومة فله الجنة) ولما توفي رسول الله ﷺ كان للخليفتين من بعده عاملا أمينا . ولما أصيب المسلمون بقتل عمر كانت أغلبية الشورى له فقام بأمر الخلافة خير قيام، إلا أن في آخر مدته تغير

بعض المسلمين عما كانوا عليه فى عهد رسول الله ﷺ والشيخين من بعده ودبت اليهم الدنيا وحبها وهو رأس كل خطيئة فقام عليه جماعة من بغاتهم فشتتوا شمل المسلمين بشق عصا الطاعة حتى تداعت أركان الخلافة وقتل ظلماً رضى الله عنه وقد جاوز الثمانين من عمره . كان رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير حسن الوجه رقيق البشرة بوجهه أثر جدري كبير اللحية عظيمها أسمر اللون أصلع عظيم الكراديس عظيم مابين المنكبين يصفر لحيته وله من الأولاد عبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر وعمرو وخالد وابان وعمر ومريم والوليد وسعيد وأم سعيد وعبد الملك وعائشة وأم ابان وأم عمرو ومريم وعنبسة وأم البنين

أعماله فى خلافته — فى الكوفة

فى بدء خلافته استعمل سعد بن أبى وقاص على الكوفة عملا بوصية عمر كان معه عبد الله بن مسعود على الخراج فأقام سعد في إمارة الكوفة سنة ثم عزله عثمان لخلاف وقع بينه وبين عبد الله بن مسعود سببه أن سعداً اقترض من عبد الله مالا فلما تقاضاه إياه لم يجد له سعد أداء فطلب منه التأجيل فلم يقبل وحصل بينهما فى ذلك نزاع فتعصب لهذا قوم ولذاك آخرون وكان هذا أول شقاق حصل بين أهل الكوفة فغضب لذلك أمير المؤمنين عثمان وعزل سعداً وولى مكانه الوليد بن عقبة بن أبى معيط ابن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس وأمه أم عثمان وعزل عتبة بن فرقد عن أذربيجان التى كانت تابعة لولاية الكوفة فانتقض أهلها فغزاهم الوليد فأغار

على أهل موقان والبير والطيلسان ففتح وغنم ثم طلب أهل كورا ذربيجان الصلح فصالحهم على صلح حذيفة وهو ثمانمائة ألف درهم (ثم) سير سلمان ابن ربيعة الباهلي إلى أهل أرمينية في إثني عشر الفاً فشتت شملهم ورجع إلى الوليد بغنائمهم فرجع الوليد من طريق الموصل فلما أتى المدينة جاءه وهو بها كتاب من عثمان يأمره أن يمد أهل الشام بجيش يقوده رجل ذو نجدة فندب الناس مع سلمان بن ربيعة الباهلي فانتدب له ثمانية آلاف سيرهم معه وأقام الوليد والياً على الكوفة خمس سنين فى نهايتها اتهمه جماعة من أهل الكوفة بأنه شرب الخمر وشهدوا بذلك عند عثمان فعزله عن إمارتها وجلده حد الشارب أربعين جلدة كما أفتى بذلك على بن أبي طالب وولى مكانه سعيد بن العاص فلما وصل الكوفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال والله لقد بعثت اليكم وإني لكاره ولكنى لم أجد بداً إذ أمرت أن أأتمر ألا وإن الفتنة قد اطلعت خطمها وعينها ووالله لاضربن وجهها أو تعيينى وإني لرائد نفسى اليوم ثم نزل وسأل عن أهل الكوفة فعرف حالهم وكتب الى عثمان ان أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب على أهل الشرف والبيوتات منهم والغالب على تلك البلاد روادف قدمت واعراب لحقت حتى لاينظر الي ذي شرف أو بلاء من نابتتها ولا نازلتها فكتب اليه عثمان (أما بعد ففضل أهل السابقة والقدم ومن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها من غيرهم تبعا لهم الا ان يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوه وقام به هؤلاء واحفظ لكل منزلته واعطهم جميعا بقسطهم من الحق فان المعرفة بالناس يصاب بها العدل) فأرسل سعيد الي أهل القادسية والايام فقال أنتم

وجوه الناس والوجه ينبيء عن الجسد فابلغونا حاجة ذوى الحاجة وادخل معهم من يحتاج اليه من اللواحق والرادف وجعل القراء في سمره ففشت القالة فى الكوفة بالقدح فى ولاة عثمان وفيه لتوليته اياهم فكتب سعيد الى عثمان بذلك فجمع الناس وأخبرهم بما كتب اليه فقالوا أصبت لاتطمعهم فيما ليسوا له بأهل فانه اذا نهض في الامور من ليس لها بأهل لم يحتملها وأفسدها فقال عثمان ياأهل المدينة استعدوا واستمسكوا فقد دبت اليكم الفتن واني والله لاتخلصن الذي لكم حتى أنقله اليكم ان رأيتم حتى يأتي من شهد مع أهل العراق سهمه فيقيم معه في بلاده فقالوا كيف تنقل الينا سهمنا من الارضين فقال يبيعها من شاء بما كان له في الحجاز واليمن وغيرها من البلاد ففرحوا وفتح الله عليهم امراً لم يكن في حسابهم وفعلوا ذلك واشتراه رجال من كل قبيلة وجاز لهم عن تراض . وفي عهد سعيد بن العاص فتحت طبرستان سار اليها ومعه الحسن والحسين ابنا على وابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وابن الزبير وحذيفة بن اليمان وغيرهم من كبار الصحابة فقاتل اهلها ثم طلبوا الصلح فصالحهم وكان ذلك في السنة الثلاثين ثم سار سعيد وحذيفة بن اليمان لامداد عبد الرحمن بن ربيعة الذي كان بالباب فلما بلغا اذربيجان سير سعيد حذيفة واقام هو ردءا له فسار حذيفة وغزا مع عبد الرحمن ثم رجع الى سعيد فصبحه بالكوفة . وفي السنة الثانية والثلاثين غزا عبد الرحمن بن ربيعة الترك ثالث مرة واوغل في سيره فتجمع عليه الترك والخزر وقاتلوه قتالا شديدا حتى قتل فتفرق جيشه فرقتين فرقة سارت نحو الباب فالتقت بسلمان بن ربيعة الباهلى اخي عبد الرحمن الذى سيره

سعيد مددا لاخيه فنجوا معــه وفرقة سارت نحو جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وابو هريرة الدوسي واستعمل سعيد مكان عبد الرحمن اخاه سليمان على غزو الباب واستعمل على الغزو باهل الـكوفة حذيفة بن اليمان وامدهم امير المؤمنين عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة فتأمر عليهم سلمان بن ربيعة وامتنع حبيب ان يكون تحت امرته حتى قال اهل الشام ولقد همنا ان نضرب سلمان فقال الـكوفيون اذا نضرب حبيبا ونحبسه وان ابيتم كثرت القتلى فينا وفيكم وكان هذا اول شقاق حصل بين الـكوفيين والشاميين ودبت البغضاء بينهم بسبب التنافس في الرياسة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وفى السنة الثالثة والثلاثين حصل بالـكوفة ماينبيء بمصيرها من دون الى ادنى فى الشقاق والتنازع لان نزالها من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلون وأهل السابقة والفضل من أهلها وزعهم سعيد ولاة على كور الـكوفة من بلاد فارس وكان يجلس الى سـعيد كثير من أهل الـكوفة للسمر فـكانوا يتذاكرون وقائعهم وحوادثهم وأدى ذلك إلى مشاجرة بعضهم بعضاً واستخفوا بصاحب الشرطة لما نهاهم عن ذلك التنازع حتى انهم ضربوه فطردهم سعيد من السمر عنده فابتعدوا وأقاموا فى مجالس لهم لاهم لهم الا الوقيعة بسعيد ومن ولاه فـكتب الي أمير المؤمنين عثمان بخبرهم فـكتب اليه أن يحمل رؤساءهم الى معاوية بالشام وكتب الى معاوية ان نفراً خلقوا للفتنة فأقم عليهم وانههم فان آنست منهم رشدا فاقبل وان أعيوك فارددهم علي فلمـا قدموا على معاوية أكرمهم وأحسن وفادتهم وأجرى عليهم أرزاقهم كما كانوا بالعراق فلم تزدهم النعمة الا بطراً واستخفوا

بمعاوية واعترضوا على ولايته فقال لهم ان رسول الله ﷺ كان معصوما فولاني وأدخلني في أمره ثم استخلف ابو بكر فولاني ثم استخلف عمر فولاني ثم استخلف عثمان فولاني ولم يوانى أحد الا وهو عنى راض وانما طلب رسول الله ﷺ للاعمال أهل الجزاء من المؤمنين والغناء وان الله ذو سطوات ونقمات يمكر بمن مكر به فلا تتعرضن لامر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون فان الله غير تارككم حتى يختبركم ويبدى للناس سرائركم ولما رآهم ممن ضلوا على علم فلم تفدهم النصيحة كتب الى عثمان بخبرهم فارسل اليه أن يسيرهم الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص فلما وصلوا اليه دعاهم فقال يا آلة الشيطان لا مرحباً بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان محسوراً وانتم بعد فى نشاط خسر الله عبد الرحمن ان لم يؤدبكم يامعشر من لا ادرى اعرب هم ام عجم لا تقولوا لى مابلغني انكم قلتم لمعاوية انا ابن خالد بن الوليد انا ابن من عجمته العاجمات انا ابن فاقىء عين الردة والله يافلان لئن بلغنى ان احدا ممن معي دق عنقك ثم غمصك لاطيرن بك طيرة بعيدة المهوى فاقامهم شهراً كلما ركب امشاهم خلفه حتى قالوا نتوب الى الله اقلنا اقالك الله فمازالوا به حتى قال تاب الله عليكم (ثم) ان سعيد بن العاص امير الكوفة رحل الى امير المؤمنين فى امور تخص ولايته واستخلف على عمله عمرو بن حريث فقام جماعة من اهل الكوفة كرهوا ولاية سعيد واتفقوا على التوجه الى عثمان واستعفائه منه وكاتبوا من عند عبد الرحمن بن خالد فساروا اليهم وخرج الجميع لذلك فقابلهم سعيد فى الطريق راجعاً فاخبروه خبرهم فقال كان يكفيكم ان ترسلوا لعثمان رجلا والى رجلا ثم رجع الى عثمان واخبره

بذلك وقال انهم يريدون البدل بي ويحبون اباموسى فولاه عثمان عليهم وكتب اليهم (اما بعد فقد امرت عليكم من اخترتم واعفيتكم من سعيد ووالله لاقرضنكم عرضي ولابذلن لكم صبري ولاستصلحنكم بجهدى فلا تدعوا شيئا احببتموه لايعصي فيه الله الا استعفيتم منه انزل فيه عند مااحببتم حتى لا يكون لكم على الله حجة ولنصبرن كما امرنا حتي تبلغوا ما تريدون) ثم جاء ابو موسى ودخل الكوفة وخطب اهلها وامرهم بلزوم الجماعة ولم يزل والياً عليها حتى مات عثمان رضي الله عنه

في البصرة

كان والى البصرة اول خلافة عثمان ابو موسى الاشعرى فأقام فيها الى السنة التاسعة والعشرين ثم عزله عثمان وولى بدله عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن عبد شمس وجمع له جند ابي موسى وجند عثمان بن ابي العاص الثقفي من عمان والبحرين (وفي) عهده انتقض اهل فارس بأميرهم عبيد الله بن معمر فسار اليهم عبيد الله ولاقاهم على باب اصطخر فقتل وانهزم من معه ولما بلغ ذلك ابن عامر سار اليهم بجيش كثيف فقاتلهم قتالا شديدا حتي هزمهم وفتح اصطخر عنوة واتى دارابجرد وقد غدر اهلها ففتحها وبلغه وهو هناك ان اهل اصطخر عادوا الى غدرهم فرجع اليهم وفتحها ثالث مرة وقتل كثيرا من وجوه اهلها ثم وطيء اهل فارس وطأة لم يزالوا منها في ذل (وفي) عهده قتل يزدجرد ملك الفرس وهو آخر ملوكهم والاخبار مضطربة في كيفية قتله الا انهم اتفقوا على انه قتل وحيدا طريدا لم يغن عنه هذا الملك

الواسع شيأ واتفقوا على انه قتل بيداعجمية وكان يتمنى اذ ذاك ان لو كان وقع في يد العرب المسلمين فانهم كانوا يبقون عليه فيعيش منعما في ظل الاسلام الظليل ولكن انى له ذلك والشقاء متى غلب لا يرد (وفي) السنة الحادية والثلاثين سار عبد الله بن عامر لفتح خراسان التى انتقض اهلها بعدموت عمر فاما وصل الطبسين وهما بابا خراسان تلقاه اهلها بالصلح فسار الى قهستان فلقى اهلها وقاتلهم حتى الجأهم الى حصنهم ولما اقبل على المدينة طلب اهلها الصلح فصالحهم على ستمائة الف درهم ثم قصد نيسابور فصالحه اهلها على الف الف درهم ثم وجه الاحنف بن قيس الى طخارستان ثم الى مرو الروذ فلقيه جمع كثير من جموع المشركين فهزمهم ووجه الاقرع بن حابس التميمي الى جمع من الفرس بالجوزجان ووصاه هو وقومه فقال (يا بني تميم تحابوا وتباذلوا تصلح اموركم وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم) فسار القوم حتى لقوا الاعداء فهزموهم ثم فتح الاحنف الطالقان صلحا وسار الى بلخ فصالحه أهلها على اربعمائة الف درهم ثم سار الى خوارزم فلم يتمكن من فتحها فعاد عنها (ثم) رجع ابن عامر بعد ان فتح هذه البلاد العظيمة مرة ثانية فقيل له ما فتح الله على احد مثل ما فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وخراسان فقال لا جرم لأجعلن شكري لله على ذلك ان اخرج معتمراً من موقفي هذا فأحرم بعمرة من نيسابور (وبعد) ثلاث سنين من امارة ابن عامر بالبصرة بلغه ان رجلا نزل على حكيم جبلة العبدى وله آراء غير مقبولة فطلبه ابن عامر فسأله من انت فقال رجل من اهل الكتاب رغبت فى الاسلام وفى جوارك فقال ما يبلغني ذلك

اخرج عنى نخرج حتى أتى الكوفة فاخرج منها فاتى الحجاز والشام فاخرج منها فأتى مصر فعشش فيها ثم باض وفرخ وكان هذا الرجل هو عبد الله بن سبأ وابن السوداء وهي أمه كان يهوديا ثم أظهر اسلامه مع ضمير خبيث وكانت له آراء فاسدة منها انه كان يقول عجبت ممن يصدق برجوع المسيح ولا يصدق برجوع محمد وكان هذا ابتداء القول بالرجعة وكان يقول ان علياً وصى محمد وقد غصبه من ولى قبله حقه فالواجب على المسلمين أن يقوموا لاعادة الحق الى أهله وقد تبع مذهبه كثير ممن طاشت أحلامهم فكان هذا من ضمن الاسباب التى أدت الى شق عصا الطاعة وافتراق الامة الاسلامية التي لاينفعها الا الاجتماع والاتحاد ولا يضرها الا الافتراق والاختلاف

فى الشام

فى أول ولاية أمير المؤمنين عثمان بن عفان جمع الشام كله لمعاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية وفى السنة الثانية من ولاية عثمان غزا معاوية الروم فبلغ عمورية ووجد الحصون التى بين طرسوس وانطاكية خالية فجعل عندها جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة ثم رجع وأغزى الصائفة يزيد ابن الحر العبسي ففعل مثل معاوية وفى هذه السنة أمره أمير المؤمنين أن يغزى حبيب بن مسلمة أرمينية فوجهه اليها فأتي قاليقلا وحاصرها وضيق على أهلها فطلبوا الصلح على الجلاء لمن أرادوا والجزية على من أقام فأجابهم وأقام حبيب بها شهراً ثم بلغه أن بطريق أرمينيا قس قد جاء الى حربه في

ثمانين الفاً فأرسل الى عثمان بالخبر فبعث الى الوليد بن عقبة أمير الكوفة أن يمده فأمده بسلمان بن ربيعة فى ثمانية آلاف كما قدمنا وأجمع حبيب ومن معه رأيهم على تبييت الروم فسمعته امرأته أم عبد الله بنت يزيد الكلبية فقالت أين موعدك غدا فقال سرادق الموريان ثم بيتهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم أتي السرادق فوجد امرأته قد سبقته اليه فكانت اول امرأة عربية ضرب عليها حجاب سرادق ثم عاد حبيب الى قاليقلا ثم سار منها ونزل مربالا فأتاه بطريق خلاط بكتاب الصلح الذى كتبه لهم عياض بن غنم بالأمان فأجراه عليه ثم سار فلقيه صاحب مكس وهي من السفرجان فقاطعه على بلاده ثم سار الى ازدشاط فحاصرها ثم صالح اهلها ثم أتى اليه بطريق السفرجان فصالحه على جميع بلاده ثم سار الى تفليس ففتحها وسار سلمان بن ربيعة الى اران ففتح البيلقان صلحاً على ان أمنهم على دمائهم واموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية على الرؤوس والخراج على الارض ثم أتى مدينة برذعة فعسكر على الثرثور وهو نهر بينه وبينها فرسخ فقاتله اهلها اياماً ثم صالحوه وفتح رساتيق البلاد ودعا اكراد البلاشجان الى الاسلام فأبوا فقاتلهم وظفر بهم فاقر بعضهم على الجزية ودفع بعضهم الزكاة وهم قليل ثم سار الى شمكور ففتحها ثم خربت بعد ثم عمرت فى زمن المتوكل على الله العباسى وسميت المتوكلية ثم صالح جميع سكان البلاد التى هناك ورجع (وفى) السنه الثامنة والعشرين فتح معاوية جزيرة قبرص وغزا معه كثير من كبار الصحابة فيهم ابو ذر وعبادة بن الصامت ومعه زوجه أم حرام بنت ملحان التى اخبرها رسول الله ﷺ انها في اول من يغزو البحر (روى مسلم

عن انس بن مالك ان رسول الله ﷺ كان يدخل على ام حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت ام حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ فاطعمته ثم جلست تفلي رأسه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت مايضحكك يارسول الله قال ناس من أمتي عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الاسرة (يشك أيهما قال) قالت فقلت يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت مايضحكك يارسول الله قال ناس من امتي عرضوا على غزاة في سبيل الله كما قال في الاولى قالت يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال انت من الاولين) وكان معهم ابو الدرداء وشداد بن أوس وكان معاوية كثيراً مايتمنى غزو الروم في البحر زمن عمر بن الخطاب فلا يأذن له لانه فيه غررا بالمسلمين ولما كان زمن عثمان اذن وقال لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه ففعل وسار من الشام الى قبرص وأمده والى مصر عبدالله ابن سعد بنفسه فاجتمعا عليها فصالحهم اهلها على سبعة آلاف كل سنة يؤدون الى الروم مثلها لايمنعهم المسلمون من ذلك وليس على المسلمين منعهم ممن ارادهم من ورائهم وعليهم ان يعلموا المسلمين بمسير عدوهم من الروم اليهم ويكون طريق المسلمين الى العدو عليهم وفى هذه الغزوة ماتت أم حرام بنت ملحان الانصارية سابقة الذكر القتها بغلتها بجزيرة قبرص فماتت (واستعمل) معاوية على غزو البحر عبد الله بن قيس الجاسى فغزا خمسين غزوة من بين صائفة وشاتية في البر والبحر ولم يغرق احد من جيشه ولم

ينكب ثم خرج مرة في قارب طليعة فانتهى امرفأ من الروم فنذروا به فجاءو فقتلوه (وفي السنة الثلاثين شكا معاوية أبا ذر لعثمان وكان مذهب أبي ذر أن المسلم لا ينبغي له أن يكون فى ماسكه أكثر من قوت يوم وليلة أو شيء ينفقه في سبيل الله أو بعده الكريم مستدلا بقوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) ويميل الى هذا المذهب مذهب الاشترا كيين الآن فكان ابو ذر رحمه الله يقوم بالشام ويقول يا معشر الاغنياء واسوا الفقراء بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من النار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم حتى أولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الاغنياء فشكا الأغنياء ما يلقونه الى معاوية فكتب في شأنه الى عثمان فأرسل اليه أن سيره الى فلما قدم المدينة ورأى المجالس في أصل سلع قال بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار ولما دخل على عثمان قال له ما لاهل الشام يشكون ذرب لسانك فأخبره فقال يا أبا ذر على أن أقضي ما علي وأن أدعوا الرعية الى الاجتهاد والاقتصاد وما على أن أجبرهم على الزهد . فقال ابو ذر لا ترضوا من الاغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا الى الجيران والاخوان ويصلوا القرابات ثم طلب من عثمان أن يأذن له بالخروج من المدينة فان رسول الله ﷺ أمره بذلك إذا بلغ البناء سلعا فسير الى الربذة فبنى بها مسجداً وأقطعه عثمان قطعة من الابل وأجرى عليه العطاء فأقام ابو ذر منفرداً حتى أدركه الاجل المحتوم

في مصر

كان عامل مصر في أول خلافة عثمان فاتحها عمرو بن العاص . وفي السنة الثانية من خلافته كاتب الروم بالقسطنطينية اخوانهم بالاسكندرية داعين الى نقض الصلح فأجابوهم الي ذلك . أما المقوقس فكان رجلا شريفاً لم يخن عهده فسار الى الاسكندرية جمع عظيم من الروم فأرسوا بها . ولما بلغ ذلك عمراً سار اليهم وسار الروم اليه فاقتتل الفريقان بين مصر والاسكندرية حتى انهزم الروم وتبعهم المسلمون حتى أدخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم في البلد مقتلة عظيمة وهدم عمرو سور المدينة (وفي) هذه السنة سير عمرو عبد الله بن سعد بن أبي سرح الي أطراف أفريقية (سواحلها الشمالية من طرابلس الى طنجة) غازياً بأمر عثمان ففتح وغنم . ولما عاد استأذن عثمان في الغزو ثانية فأذن له وقال ان فتح الله عليك فلك خمس الخمس نفلا وأمر عبدالله ابن نافع بن عبد القيس وعبدالله بن نافع بن الحارث على جند وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد فخرجوا حتى قطعوا أرض مصر ووطئوا أرض أفريقية وكانوا في جيش كثير فيه عشرة آلاف من شجعان المسلمين فصالحهم ملك أفريقية على مال يؤدونه ولم يتوغلوا في أفريقية لكثرة أهلها فعاد عبد الله ابن سعد الى مصر فولاه عثمان خراجها وجعل عمرو بن العاص على الجند فلم يتفقا فجمع لابن سعد الخراج والجند وعزل ابن العاص وعندذلك استشار ابن سعد عثمان في غزو أفريقية والاستكثار لها من الجند فجهز اليه الجيوش من المدينة فسار ابن سعد الى أفريقية وكان ملكها من قبل الروم واسمه

جرجير وملكه من طرابلس الى طنجة وكان يؤدي أتاوة الى ملك الروم فلما بلغه خروج المسلمين تجهز لهم والتقى بهم بمكان بينه وبين سبيطلة عاصمة الملك يوم واحد بعد أن راسله عبد الله يدعوه الى الاسلام أو دفع الجزاء فأبى ودام القتال بينهم أياماً يقتتلون كل يوم الظهر ثم يعودون وكان خبر المسلمين قد أبطأ على عثمان فأمدهم بجيش يرأسه عبد الله بن الزبير . فلما وصلهم أشار على ابن سعد أن يقسم الجيش قسمين قسم يقاتل الى الظهر ثم يخلفه الآخر حتى يهن المشركون فاتبع مشورته وأخرج القسم الاول فحارب الى الظهر وأراد المشركون ترك القتال فلم يمكنهم المسلمون بل استمر القتال بالقسم الثاني حتى ضعف المشركون وانهزموا شر هزيمة وقتل جرجير ملك أفريقية قتله عبد الله بن الزبير وفتحت المدينة (ثم) بث السرايا فبلغت قفصة ففتحت وغنمت وسير سرية الى حصن الاجم فحاصرته ثم فتحته صلحا ثم صالح ابن سعد أهل أفريقية على ألفي ألف وخمسمائة الف دينار وأرسل الى عثمان بالبشارة والاخماس وعاد هو من أفريقية وكان مقامه فيها سنة وثلاثة اشهر ولما وصل خمس مغنم افريقية الى المدينة اشتراه مروان بن الحكم ثم حط عنه عثمان ثمنه وولى على افريقية عبد الله بن نافع بن عبد القيس وجعل ابن سعد على مصر فقط



القسم الثاني من الكتاب

كان رسول الله ﷺ يحذر الفتن على أمته وكثيراً ما كان يحذركم منها لان بأس الامة متى انتقل من أعدائها الى أنفسها ساءت حالها وفسد نظامها وصارت الى الفوضى أقرب منها الى الاصلاح وقد ورد عن المصطفى ﷺ كثير من الاحاديث في التحذير منها ولكن قدر فكان . استكمل الفتح للامة واستكمل الملك ونزل العرب بالامصار على حدود ما بينهم وبين الامم من البصرة والكوفة والشام ومصر وكان المختصون بصحابة رسول الله ﷺ والمهتدون بهديه وآدابه المهاجرين والانصار من قريش وأهل الحجاز ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم . وأما سائر العرب من بكر بن وائل وعبدالقيس وسائر ربيعة والازد وكندة وتميم وقضاعة وغيرهم فلم يكونوا من تلك الصحبة بمكان الا قليلا منهم وكان لهم في الفتوحات قدم فكانوا يرون ذلك لانفسهم مع ما يدين به فضلاؤهم من تفضيل أهل السابقة من الصحابة ومعرفة حقهم وما كانوا فيه من الذهول والدهش لأمر النبوة ونزول الوحي وتنزل الملائكة فلما انحسر ذلك الباب وتنوسى الحال بعض الشيء وذل العدو واستفحل الملك كانت عروق الجاهلية تنبض ووجدوا الرياسة عليهم للمجاهدين والانصار من قريش وسواهم فأنفت نفوسهم ووافق ذلك أيام عثمان فكانوا يظهرون الطعن على ولاته بالامصار والمؤاخذة لهم باللحظات والخطرات والتجني بسؤال الاستبدال منهم والعزل ويفيضون في النكير على عثمان وكان رأس هذه الفتنة

ذلك الرجل اليهودى الذي قدمنا ذكره المسمي عبد الله بن سبأ . قام بالدعوة لعلي بن ابي طالب زاعما أنه وصى رسول الله ﷺ ومن أظلم ممن لم يجز وصيته فتبع مذهبه كثير من أهل الاهواء الذين لهم قلوب لا يفقهون بها فقال لهم انهضوا فى هذا الامر فان عثمان أخذه بغير حق فكاتبوا أهل الامصار فصادفوا من أهلها كثيراً يرون رأيهم حتى فشت القالة في الطعن على عثمان وولاته فبلغت هذه الاخبار أهل المدينة فسألوا عثمان عن ذلك فقال ما جاءني عن ولاتي الا السلامة وأنتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا علي فأشاروا عليه أن يبعث رجالا الى الامصار للتحقيق من هذه الاخبار فارسل محمد بن مسلمة الى الكوفة واسامة بن زيد الى البصرة وعبد الله بن عمر الى الشام وعمار بن ياسر الى مصر فرجع القوم كلهم وقالوا ماعلمنا عن امرائك الاخيراً ماعدا عمار بن ياسر فانه انحاز اليه جماعة من السبئية (أتباع ابن سبأ) وملأوه كلاماً فى حق أمراء عثمان ومنعوه عن الرجوع الى المدينة فكتب عبد الله بن سعد الى عثمان يخبره فأرسل عثمان الى سائر الامصار (اني آخذ عمالى بموافاتى كل موسم وقد رفع الى أهل المدينة ان أقواما يشتمون ويضربون فمن ادعى شيأ من ذلك فليواف الموسم يأخذحقه حيث كان مني أومن عمالى أو تصدقوا فان الله يجزى المتصدقين) وبعث الى عماله ان يوافوا الموسم فقدموا عليه عبدالله بن عامر أمير البصرة وعبد الله بن سعد أمير مصر ومعاوية بن أبي سفيان أمير الشام فجمعهم وادخل عمرو بن العاص السهمى وسعيد بن العاص الاموى وقال لهم ويحكم ماهذه الشكاية والاذاعة انى والله لخائف ان تكونوا مصدوقا عليكم وما يعصب هذا الابى

فقالوا له ألم تبعث ألم يرجع اليك الخبر عن العوام ألم يرجع رسلك ألم يشافههم أحد بشيء والله ماصدقوا ولا بروا ولانعلم لهذا الامر أصلا ولايحل الاخذ بهذه الاشاعة فاستشارهم في تسكين هذه الفتنة فقال ابن عامر أرى ان تشغلهم بالجهاد وقال ابن سعد استصلحهم بالمال وقال معاوية اجعل كفايتهم الى امرائهم وانا أكفيك الشام وقال ابن العاص ارى انك قد لنت لهم ورضيت عليهم وردتهم على ما كان يصنع عمر فارى ان تلزم طريق صاحبك فتشد فى موضع الشدة وتلين في موضع اللين وقال سعيد متى تهلك قادتهم يتفرقوا فقال عثمان قد سمعت كل ما اشرتم به ولكل أمر باب يؤتى منه ان هذا الامر الذى يخاف على هذه الامة كائن وان بابه الذى يغلق عليه ليفتحن فنكفكفه باللين والمواتاة الا في حدود الله فان فتح فلا يكونن لاحد على حجة وقد علم الله اني لم آل الناس خيرا وان رحى الفتنة دائرة فطوبي لعثمان ان مات ولم يحركها سكنوا الناس وهبوا لهم حقوقهم فاذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا، ثم نفر ونفر الامراء الى بلادهم وصحبه معاوية لأن طريقه على المدينة فلما قدماها جمع عثمان كبار الصحابة فقام معاوية فحمد الله ثم قال أنتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرته من خلقه وولاة امر هذه الأمة لا يطمع فيه أحد غيركم اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع وقد كبر وولى عمره ولو انتظرتم به الهرم لكان قريبا مع انى أرجو انيكون أكرم على الله من أن يبلغه ذلك وقد فشت مقالة خفتها عليكم فما عتبتم فيها من شيء فهذه يدي ولا تطمعوا الناس فى أمركم فوالله ان طمعوا فيها لارأيتم منها أبدا الا ادبارا فنهره على بن أبي طالب فقال عثمان صدق ابن

أخي وأنا أخبركم عني وعما وليت ان صاحبي اللذين كانا قبلي ظلما انفسهما ومن كان منهما بسبيل احتسابا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطي قرابته وأنا في رهط أهل عيلة وقلة معاش فبسطت يدي في شيء من ذلك لما اقوم به فيه فان رأيتم ذلك خطأ فردوه فامري لامركم تبع فقالوا قد أصبت وأحسنت أعطيت خالد بن أسيد خمسين الفا ومروان بن الحكم ثمانين الفا فأخذ منهما ذلك فرضوا وخرجوا راضين ثم خرج معاوية الى الشام بعد أن عرض على عثمان الخروج معه فلم يقبل ضنا بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار معاوية ومر في سيره على نفر من المهاجرين فيهم علي وطلحة والزبير فقال قد علمتم أن هذا الامر كان الناس يتغالبون عليه حتى أرسل الله نبيه وكانوا يتفاضلون بالسابقة والقدمة والاجتهاد فان اخذوا بذاك فالامر امرهم والناس لهم تبع وان طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك ورده الله الى غيرهم وان الله على البدل لقادر واني قد خلفت فيكم شيخا فاستوصوا به خيرا وكاتفوه تكونوا أسعد منه بذلك ثم مضى . أما أهل الامصار المنحرفون عن عثمان فانهم لم يرتدعوا عن غيهم وجاءتهم كتب من المنحرفين بالمدينة يقولون لهم أقدموا علينا فان الجهاد عندنا فاتعد جميعهم شوال يخرجون فيه مظهرين الحج فخرج المصريون في خمسمائة عليهم الغافقي بن حرب وخرج أهل الكوفة في عدد أهل مصر وكذلك أهل البصرة ولما كانوا على ثلاث ليال من المدينة نزل أهل البصرة خشبا (موضع هنالك) ونزل اهل الكوفة الاعوص ومعهم جماعة من اهل مصر ونزل جميعهم بذي المروة وكانت اهواؤهم مختلفة فيمن يلي الخلافة بعد عثمان فالكوفيون يريدون طلحة بن عبيد الله والبصريون الزبير بن العوام والمصريون عليا

فاجتمع وفد من اهل كل مصر وذهبوا الى من هواهم فيه فأتى أهل مصر عليا فسلموا عليه وعرضوا عليه امرهم فصاح بهم وطردهم وقال لقد علم الصالحون انكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قال طلحة والزبير لمن جاءهم فانصرف الجميع مظهرين الرجوع الى بلادهم حتى تفرق أهل المدينة ثم لم يشعروا الا والتكبير فى نواحيها وأحيط بدار عثمان ونودى من كف يده فهو آمن فلزم الناس بيوتهم واستغربوا رجوع الثوار بعد الاذعان بما طلبوه من اعفائهم من العمال الذين يطلبون عزلهم فأتى محمد بن مسلمة المصريين وقال لهم ما الذى أرجعكم بعد ذهابكم فقالوا أخذنا كتابا من البريد مع خادم عثمان لعامل مصر يأمره فيه بقتلنا ثم سأل البصريين عن مجيئهم فقالوا لنصر اخواننا وكذلك قال الكوفيون فقال كيف علمتم بما لقى أهل مصر وكلكم على مراحل من صاحبه حتى رجعتم الينا جميعا هذا أمر أبرم بليل فقالوا اجعلوه كيف شئتم لاحاجة لنا بهذا الرجل ليعتزلنا فاخذوا منهم الكتاب وسألوا عثمان هل هو كاتبه فقال عثمان والله ما كتبت ولا أمرت ولا علمت فقال على ومن معه من كبار الصحابة صدق عثمان فقال المصريون اذا من كتبه فقال عثمان لا أدرى قالوا فيجترأ عليك ويبعث غلامك وجمل من ابل الصدقة وينقش على خاتمك ويكتب الى عاملك بهذه الامور العظيمة وانت لاتدري قال نعم قالوا ما انت الا صادق أو كاذب فان كنت كاذبا فقد استحققت الخلع لما أمرت به من قتلنا وان كنت صادقا فقد استحققت الخلع لضعفك عن هذا الامر ولا ينبغي لنا ان نترك هذا الامر بيد من تقطع الامور دونه فاخلع نفسك قال لااخلع

قميصا البسنيه الله . ولم يلهم الله احداً ان يحقق امر هذا الكتاب اذ كيف اتحدوا على الرجوع بعد افتراقهم فى طرق مختلفة . اما تهمة مروان به فلم تثبت بل حينما سألوه حلف انه لم يكتب ولم يجعل الله في دينه القويم دليلا على تبرئة المتهم . غير يمينه ان لم تكن هناك بينة ولكن الفتنة متى كثرت عن نابها ضاع السداد ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قام الثوار بحصر امير المؤمنين وصاحب رسول الله ﷺ المشهود له بالجنة حصارا شديدا حتى منعوه الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ فارسل عثمان الى على وطلحة والزبير فحضروا فاشرف عليهم فقال ايها الناس اجلسوا فجلس المسالم منهم والمحارب ثم قال يا اهل المدينة استودعكم الله واسأله ان يحسن عليكم الخلافة من بعدي ثم قال انشدكم الله هل تعلمون انكم عند مصاب عمر سألتم الله ان يختار لكم ويجمعكم على خيركم اتقولون ان الله لم يستجب لكم وهنتم عليه وانتم اهل حقه ام تقولون هان على الله دينه فلم يبال من ولى الدين لم يتفرق اهله يومئذ ام تقولون لم يكن اخذ عن مشورة وانما كان مكابرة فوكل الله الامة اذ عصته ولم يشاوروا في الامارة ام تقولون ان الله لم يعلم عاقبة امرى . وانشدكم الله هل تعلمون ان لى من سابقة خير وقدم خير قدم الله لى بحق على كل من جاء من بعدى ان يعرفوا لى فضلها فمهلا لاتقتلوني فانه لايحل الا قتل ثلاث رجل زنى بعد احصان او كفر بعد ايمان او قتل نفسا بغير حق فانكم اذا قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف ابداً فقال الثوار اما ماذكرت من استخارة الناس بعد عمر ثم ولوك فان كل ماصنع الله خير ولكن الله جعلك بلية ابتلى بها عباده واما

ماذكرت من قدمك وسبقك مع رسول الله فقدكنت كذلك وكنت اهلا للولاية ولكن احدثت ماعلمت ولانترك اقامة الحق عليك خوف الفتنة عاما قابلا واما قولك انه لايحل الا قتل ثلاثة فانا نجد في دين الله غير الثلاث الذين سميت قتل من سعي في الارض فسادا وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه وقتل من حال دون شيء من الحق ومنعه وقاتل دونه وقد بغيت ومنعت وحلت دونه وكابرت عليه ولم تقدم ن نفسك من ظلمت وقد تمسكت بالامارة علينافان زعمت انك لم تكابرنا عليهافان الذين قاموا دونك ومنعوك منا انما يقاتلون لتمسكك بالامارة فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك فلم يجبهم عثمان ولزم داره وكان كثير من اهل المدينة أتوا حول داره ليذبوا عنه فامرهم بالانصراف فانصرفوا الا قليلا منهم الحسن بن على وابن عباس وابن الزبير ومحمد بن طلحة وكان عثمان رضي الله عنه يكره جداً ان يحدث قتال بالمدينة في زمنه فكان يتباعد عنه بقدر ما أمكنه حتى كان ينهى اهل بيته عن تجريد السلاح وكان يطاول الثوار ويكثر لهم من الخطب ويرسل اليهم على بن ابي طالب المرة بعد المرة يعدهم بالرضوخ الى مطالبهم وهم لايزدجرون بل كلما سد عليهم بابا من ابواب الفتن فتحوا غيره فمنعوا الماء عن خليفة المسلمين فجاءهم على فى الغلس فقال ياايها الناس ان الذى تفعلون لايشبه امر المؤمنين ولا امر الكافرين فلا تقطعوا عنه الماء ولا المادة فان الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقى فقالوا لا والله ولا نعمة عين فانصرف وجاءت ام المؤمنين حبيبة بنت ابي سفيان مشتملة على اداوة فضربوا وجه

بغلتها فقالت ان وصايا بني امية عند هذا الرجل فأحببت ان اسأله عنها لئلا تهلك اموال الايتام والارامل فقالوا كاذبة وقطعوا حبل بغلتها بالسيف فنفرت وكادت امالمؤمنين تسقط عنها فتلقاها الناس وذهبوا بها الى بيتها ثم اشرف عثمان على الناس بعد منع الماء عنه فقال انشدكم الله هل تعلمون اني اشتريت بئر رومه بمالى ليستعذب بها فجعلت رشائي فيها كرجل من المسلمين قالوا نعم قال فلم تمنعوني ان اشرب حتى افطر على ماء البحر ثم قال انشدكم الله هل تعلمون انى اشتريت ارض كذا فزدتها فى المسجد قالوا نعم قال فهل علمتم ان احدا منع فيه الصلاة من قبلي ثم قال انشدكم الله اتعلمون ان النبي ﷺ قال عنى كذا وكذا الاشياء عددها فى مآثره فاثرت مقالته فى كثير منهم حتى قالوا مهلا عن امير المؤمنين فصرخ بهم شيطان هذه الفتنة لعله مكر به وبكم فازدادوا عتواً وخرجت امالمؤمنين عائشه حاجة وقدسئمت المقام بالمدينة مع هذه الفتن وطلبت من ابن أخيها محمد بن ابي بكر أن يتبعها فأبى لأنه كان من المنحرفين عن عثمان فقال له حنظلة الكاتب تستتبعك أم المؤمنين ولا تتبعها ثم تتبع ذؤبان العرب الى مالا يحل وان هذا الامر ان صار الى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف وأمر عثمان عبدالله بن عباس ان يحج بالناس فقال: قتال هؤلاء أحب الى من الحج فعزم عليه الا ما أطاع فخرج للحج وكتب معه كتابا يعلم المسلمين أمره ونصه عن الطبري:

(بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عثمان امير المؤمنين سلام عليكم فاني احمد الله اليكم الذي لا اله الا هو اما بعد فانى اذكركم بالله جل وعز الذى انعم علينا وعليكم بالاسلام وهداكم من الضلالة وانقذكم من الكفر واراكم البينات

واوسع عليكم من الرزق ونصركم على العدو واسبغ عليكم نعمته فان الله عز وجل يقول وقوله الحق (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان اظلوم كفار) وقال عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) وقال وقوله الحق (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا واطعنا) وقال وقوله الحق (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم) وقال عز وجل (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم فى الاخرة ولا يكلمهم الله ولاينظر اليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب اليم) وقال وقوله الحق (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيراً لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وقال وقوله الحق (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ماتفعلون ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون ايمانكم

دخلا بينكم ان تكون أمة هى اربي من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون . ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون . ماعندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقال وقوله الحق (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تأويلا)وقال وقوله الحق (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لايشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) وقال وقوله الحق (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفي بما عاهدعليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما) أما بعد فان الله عز وجل رضى لكم السمع والطاعة والجماعة وحذركم المعصية والفرقة والاختلاف ونبأكم ماقد فعله الذين من قبلكم وتقدم اليكم فيه ليكون له الحجة عليكم ان عصيتموه فاقبلوا نصيحة الله عز وجل واحذروا عذابه فانكم لن تجدوا أمة هلكت إلا من بعد أن تختلف الا ان يكون لها رأس يجمعها ومتى ماتفعلوا ذلك لاتقيموا الصلاة جميعاً وسلط عليكم عدوكم ويستحل بعضكم حرم بعض

ومتى يفعل ذلك لا يقم الله سبحانه وتعالى دين وتكونوا شيعا وقد قال الله عز وجل لرسوله ﷺ (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) وإني أوصيكم بما أوصاكم الله وأحذركم عذابه فان شعيبا صلى الله عليه وسلم قال لقومه (ياقوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود)

أما بعد فان أقواما ممن كان يقول في هذا الحديث اظهروا للناس انما يدعون الى كتاب الله عز وجل والحق ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها فلما عرض عليهم الحق اذا الناس في ذلك شتى منهم آخذ الحق ونازع عنه حتى يعطاه ومنهم تارك للحق ونازل عنه في الامر يريد ان يبتزه بغير الحق طال عليهم عمرى وراث عليهم املهم الامرة فاستعجلوا القدر وقد كتبوا اليكم ان قد رجعوا بالذى اعطيتهم ولا اعلم انى تركت من الذى عاهدتهم عليه شيئاً كانوا زعموا انهم يطلبون الحدود فقلت اقيموها على من علمتم تعداها في احدى اقيموها على من ظلمكم من قريب او بعيد قالوا كتاب الله يتلى فقلت فليتله من تلاه غير غال فيه بغير ما انزل الله في الكتاب وقالوا المحروم يرزق والمال يوفي ليستن فيه السنة الحسنة ولا يعتدى في الخمس ولا في الصدقة ويؤمر ذو القوة والامانة وترد مظالم الناس الى اهلها فرضيت بذلك واصطبرت له وجئت نسوة النبي صلى الله عليه وسلم حتى كلمتهن فقلت ماتأمرنني فقلن تؤمر عمرو بن العاص وعبدالله بن قيس ولاتدع معاوية

فانما امره امير قبلك فانه مصلح لارضه راض به جنده واردد عمرا فان جنده راضون به وامره فليصلح ارضه فكل ذلك فعلت وانه اعتدى على بعد ذلك وعدى على الحق كتبت اليكم واصحابي الذين زعموا في الامر واستعجلوا القدر ومنعوا مني الصلاة وحالوا بيني وبين المسجد وابتزوا ماقدروا عليه بالمدينة كتبت اليكم كتابي وهم هذا يخيرونني بين ثلاث اما يقيدونني بكل رجل اصبته خطأ أو صوابا غير متروك منه شيء واما اعتزل الامر فيؤمرون آخر غيري واما يرسلون الى من اطاعهم من الاجناد واهل المدينة فيتبرؤن من الذي جعل الله سبحانه وتعالى لي عليهم من السمع والطاعة فقلت لهم اما اقادتي من نفسي فقد كان من قبلي خلفاء تخطىء وتصيب فلم يستقد احد منهم وقد علمت انما يريدون نفسي واما ان اتبرأ من الامارة فان يكلبوني احب الي من ان اتبرأ من عمل الله عز وجل وخلافته واما قولهم يرسلون الى الاجناد واهل المدينة يتبرؤن من طاعتي فلست عليهم بوكيل ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ولكن أتوا طائعين يبتغون مرضاة الله عز وجل واصلاح ذات البين ومن يكن منكم انما يبتغي الدنيا فليس بنائل منها الا ما كتب الله عز وجل له ومن يكن انما يريدوجه الله والدار الآخرةوصلاح الامةوإبتغاءمرضاة الله عزوجل والسنة الحسنة التي استن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتان من بعده رضي الله عنهما فانما يجزي بذلكم الله أو ليس بيدي جزاؤكم ولو أعطيتكم الدنيا كلها لم يكن في ذلك ثمن لدينكم ولم يغن عنكم شيئا فاتقوا الله واحتسبوا ماعنده فمن يرضى بالنكث منكم فاني لا أرضاه له ولا يرضى الله سبحانه ان

تنكثوا عهده وأما الذى يخيرونى فانما كله النزع والتأمير فملكت نفسى ونظرت حكم الله وتغيير النعمة من الله سبحانه وكرهت سنة السوء وشقاق الامة وسفك الدماء فانى أنشدكم الله والاسلام أن لا تاخذوا الا الحق وتعطوه منى وترك البغى على أهله وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عز وجل فانى أنشدكم الله سبحانه الذى جعل عليكم العهد والموازرة فى أمر الله فان الله سبحانه قال وقوله الحق (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلا) فان هذه معذرة إلى ربكم واملكم تذكرون أما بعد فانى لا أبرىء نفسي إن النفس لامارة بالسوء الا مارحم ربى ان ربى غفور رحيم وان عاقبت أقواما فما أبتغى بذلك الا الخير وانى أتوب الى الله عز وجل من كل ماعملته وأستغفره انه لا يغفر الذنوب الا هو ان رحمة ربى وسعت كل شىء انه لا يقنط من رحمة الله الا القوم الضلون وانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم مايفعلون وأنا أسئل الله عز وجل ان يغفرلى ولكم وان يؤلف قلوب هذه الامة على الخير ويكره اليها الفسق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون) فقرأه عليهم ابن عباس يوم التروية اما الثوار فمنعوا الناس عن مخالطة عثمان ومكالمته ولما خافوا ان يطول عليهم الامر فتأتيهم جنود الامصار قصدوا الباب فقاتلهم جمع من اولاد الصحابة ولكن انى يعملون وقد جاءهم مالا قبل لهم به وأشار عثمان على من قاتل ان يكف وهو فى حل من نصرته فأحرق الثوار الباب ودخلوا عليه وهو يقرأ القرآن فلم يشغله مارأى عن تلاوته ثم قال لمن عنده بالدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى عهداً فانا صابر عليه ولم يحرقوا الباب الا وهم يريدون أعظم

منه وأمرهم بالانصراف ثم قال للحسن بن على ان أباك لفى شغل عظيم من أمرك فأقسمت عليك لما خرجت اليه فلم يسمعوا قوله ، قاتلوا دونه ولكن انى لهم ذلك وهم فى قلة والعدو كثير فقتل بعضهم وجرح بعض ونجا آخرون ثم تسور بعض الثوار دار بنى حزم المجاورة لدار عثمان ودخلوا عليه فقال قائل اخلعها وندعك فقال عثمان ويحك والله ما كشفت امرأة فى جاهلية ولا أسلام ولا تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني على عورتى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واست خالعا قميصا كسانيه الله حتى يكرم الله اهل السعادة ويهين اهل الشقاوة فخرج الرجل ولم يصنع شيئاً ثم جاء آخر فقال له كما قال اللاول فرجع فجاءهم عبد الله بن سلام وقال لهم ياقوم لاتسلوا سيف الله فيكم فوالله ان سللتموه لاتغمدوه ويلكم ان سلطانكم اليوم يقوم بالدرة فان قتلتموه لايقوم الابالسيف ويلكم ان مدينتكم محفوفة بالملائكة فان قتلتموه لتتركنها فشتموه ثم دخل على عثمان الذين كتب عليهم الشقاء فقتلوا هذه النفس الزكية ظلما وعدوانا فى الشهر الحرام والبلد الحرام لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وهذا هو التاريخ المشؤم الذي كان فيه فتح الشر والشقاق بين المسلمين وكان عمره اثنتين وثمانين سنة وهذا امر خولف فيه الشرع جهارا في عاصمة الخلافة الاسلامية ومهبط الوحى النبوى شقوا عصا طاعة الامام الذى انتخب انتخابا شرعيا واقر عليه اكابر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين عهد اليهم بذلك عمر بن الخطاب ولم يكن ثم مايوجب الخروج عليه اذ لا يوجبه الا الكفر البواح كما هو نص حديث عبادة بن الصامت المتقدم ولم يقل بذلك احد منهم في حق عثمان ولا احكم

به قاض مستندا الى كتاب اوسنة وكل مانقموه عليه امور لاحرج على الامام في فعلها منها تولية اقاربه وليس في هذا ادنى عيب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى عليا وهو ابن عمه واذا كانت تولية القريب عيبا لنهى عنها عليه السلام ولم يفعلها ومع كل ذلك فالاسلام سوى بين الناس لا قريب عنده ولا بعيد فالامر موكول لرأى الامام الذى ألقيت اليه مقاليد الامة فان ولي من حاد عن الدين شكونا اليه فان لم يقبل صبرنا كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لان شق عصا الجماعة من مصايب الامم التى تسرع اليها بالخراب وليس في الشرع مبيح خلع الامام الا كفره الصراح (ومما) نقموه على عثمان اخراجه أبا ذر الى الربذة وقد قدمنا لك سبب اخراجه لان مذهبه الذى كان يدعو اليه ليس مقبولا ويمكن ان يحدث منه قيام الفقراء ضد الاغنياء فيحدث مالا يحمد (ومن) ذلك زيادة النداء الثالث على الزوراء يوم الجمعة وهذا انما فعله لكثرة المسلمين وانتشارهم فى أنحاء المدينة مما لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن) ذلك اتمامه الصلاة فى منى وعرفة وكان الامر في عهد رسول الله صلى الله وسلم والخليفتين من بعده على القصر ولما سأله عبد الرحمن بن عوف عن ذلك أبدى سببا واضحا فقال بلغني ان بعض حاج اليمن والجفاة جعل صلاة المقيم ركعتين من أجل صلاتى وقد اتخذت بمكة أهلا ولى بالطائف مال وهو عذر له رضى الله عنه وان لم يقبله عبد الرحمن (ومن) ذلك سقوط خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يده في بئراريس وعدم لقيه (ومن) ذلك تنازله لمراون بن الحكم عن ثمن خمس مغانم افريقية ولم يمنع الشرع الامام ان ينفل من شاء من المسلمين

ما لم ينفل غيره فقد روى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة سوى قسم عامة الجيش وكان عليه الصلاة والسلام يسهم احيانا لبعض من لم يحضر الغزوة كما اسهم لبعض المتخلفين عن بدر ولمن قدموا عليه يوم خيبر من مهاجرة الحبشة والدوسيين فاذا نظرت رعاك الله لهذه الامور التي نقموها على عثمان رضى الله عنه لم تر منها شيئا يشينه ولم يخرج فى شيء منها عن حدود الشرع ولكن أولئك قوم بطروا فطلبوا لانفسهم ماليس لهم فحق عليهم العذاب قال تعالى (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب) وقد عاقب سبحانه فابلغ العقوبة نسأله سبحانه ان يرفع عنا مقته وغضبه ويوفقنا لما فيه رضاه بمنه وكرمه

خلافة على

ظل المسلمون حيارى بعد قتل الخليفة المظلوم لايجدون لهم ملجأ كانهم فوضى ولم يكن امامهم من يصلح للخلافة بعد عثمان الا على بن ابى طالب فذهب اليه معظمهم يطلبون منه ان يلى الخلافة فقدر المستقبل حق قدره وعلم انه انما يستقبل فتنة سائرة لامرد لها فقال لهم التمسوا غيرى فانا مستقبلون امرا له وجوه وله الوان لاتقوم به القلوب ولاتثبت عليه العقول فناشدوه الله والدين فقال قد اجبتكم واعلموا انى ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم وان تركتمونى فانما أنا كاحدكم الا انى من اطوعكم واسمعكم لمن وليتموه فأبوا الا اياه ثم رأوا ان هذا الامر لايتم الا بمبايعة الزبير وطلحة فذهب

اليهما جماعة واتوا بهما فبايعاه قيل كرها وقيل ان الزبير لم يبايع اصلا ثم قام الناس فبايعوه وتخلف عن بيعته جمع من اكابر الصحابة في المدينة كسعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن عمر واسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وقدامة بن مظعون وابى سعيد الخدري وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وفضالة بن عبيد وغيرهم من اكابر الصحابة في الامصار (مقدمة ابن خلدون) ولما رأى على ان بيعته تمت قام فخطب في الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال (ايها الناس ان الله انزل كتابا هاديا يبين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر ، الفرائض الفرائض ادوها الى الله تعالى يؤدكم الى الجنة ان الله حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلمين على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق لايحل دم امرء مسلم الا بما يجب بادروا امر العامة وخاصة احدكم . الموت فان الناس امامكم وانما خلفكم الساعة يحدوكم فخففوا تلحقوا فانما ينتظر بالناس اخراهم . اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده انكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم . اطيعوا الله ولا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض) ثم نزل

ترجمة على

هو على بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي القرشى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف

ولد رضي الله عنه في السنة الثانية والثلاثين من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بعث عليه السلام كان على دون البلوغ وكان مقيما معه في منزله يطعمه ويسقيه لفاقة لحقت بأبيه فاهتدى بهدي رسول الله ﷺ ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الاوثان وغيرها ولما هاجر عليه السلام من مكة الى المدينة فداه على بنفسه ونام على فراشه ليظن المحاصرون ان رسول الله ﷺ لم يزل نائما فلا يتبعونه ثم لحقه بعد قليل وشهد مع رسول الله ﷺ غزواته كلها الا غزوة تبوك فانه خلفه في أهل بيته وقال له أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبوة بعدى وكان له القدم الثابت في جميع الغزوات فهو من أول المبارزين يوم بدر وممن ثبت يوم أحد وحنين وعلى يديه فتحت خيبر وزوجه عليه السلام بنته فاطمة في السنة الثانية من الهجرة فجاء منها بالحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى وناب عن رسول الله ﷺ في قراءة أوائل التوبة في موسم الحج إيذانا ببراءة الله ورسوله من المشركين . ولما توفي رسول الله ﷺ وبويع ابوبكر بايعه على مع انه كان يرى له حقا في الخلافة لقرابته من رسول الله ﷺ ولكنه كان يكره الخلاف ولذلك كان محمد بن سيرين التابعي يكذب كل مانسب لعلى من الاقوال التى فيها حط من مقام الشيخين أبي بكر وعمر رضى الله عنهما كما روى ذلك البخاري في صحيحه . ولما ولى عمر بايعه كذلك وزوجه بنته أم كلثوم وكثيراً ما كان عمر يستخلفه على المدينة اذا غاب عنها . ولما بويع عثمان بايعه كذلك حتى كان آخر خلافته وقام عليه الثوار وشنعوا عليه بتولية أقاربه كان على كثيراً مايمحض له النصح ويرشده الى ما فيه النجاح والفلاح

فلما حل القضاء المبرم واستشهد عثمان أقبل عليه المسلمون وبايعوه بالخلافة لخمس بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين فقام بها رضي الله عنه مايقارب خمس سنين لم يصف له فيها يوم وكان أمر الله قدراً مقدوراً . كان رضى الله عنه آدم شديد الادمة ثقيل العينين عظيمهما ذا بطن أصلع عظيم اللحية كثير شعر الصدر هو الى القصر أقرب وكان ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها وكان من أحسن الناس وجهاً ولا يغير شيبه كثير التبسم وله من الاولاد غير من ذكرناهم العباس وجعفر وعبدالله وعثمان وعبيدالله وأبو بكر ومحمد الاصغر ويحيي وعمر ورقية ومحمد الاوسط ومحمد الاكبر الشهير بابن الحنفية وأم الحسن ورملة الكبرى وأم كلثوم الصغرى وأم هانىء وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وفاطمة وامامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجمانة ونفيسة من أمهات شتى وأعقب من هؤلاء الحسنان ومحمد الاكبر وعباس وعمر

اعمال على

أول امارته بعث عمالا على الامصار غير جميع عمال عثمان فبعث على البصرة عثمان بن حنيف الانصارى بدل عبدالله بن عامر وعلى الكوفة عمارة ابن شهاب بدل أبي موسى الاشعرى وعلى اليمن عبيدالله بن عباس بدل يعلى ابن منية وعلى مصر قيس بن سعد بن عبادة بدل عبد الله بن سعد وعلى الشام عثمان بن حنيف بدل معاوية بن أبي سفيان وأمر كلا بالتوجه الى عمله فأما عثمان بن حنيف فتوجه الى البصرة ولم يرده عنها احد ولم يعارضه ابن

عامر وأما عمارة بن شهاب فقابله وهو قريب من الكوفة طليحة بن خويلد الاسدي فقال له ارجع فان القوم لايريدون بأميرهم بدلا فرجع الى على وأما عبيد الله بن عباس فلما قارب اليمن خرج منها يعلى بن منية وأخذ كثيراً من الاموال وذهب الى مكة فدخل عبيد الله اليمن غير معارض وأما قيس بن سعد فلما وصل مصر افترق أهلها عليه ففرقة دخلت في الجماعة وفرقة اعتزلت بخربتا وقالوا لانكون مع على الا ان قتل قتلة عثمان وفرقة قالوا نحن مع على الا أن قاد من اخواننا فكتب قيس الى على بذلك وأما سهل بن حنيف فلما وصل تبوك قابلته خيل عليها رجال من أهل الشام فردوه وامتنع معاوية من بيعة على واحتج على خلافته لانه ظن فيه الهوادة فى نصرة عثمان على قاتليه ومعاوية يرى لنفسه حقاً عظيما في القصاص من قتلة عثمان لانه وليه والله تعالى يقول (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلايسرف في القتل) ولم ير في الامتناع عن البيعة خروجا على الامام لانه رأى أن بيعة على لم تنعقد حيث لم تكن باجماع ذوي الحل والعقد كما قدمنا فأرسل اليه رجلا بطومار ليس فيه شيء من الكتابة وعنوانه من معاوية الى على بن أبي طالب وأمره اذا قدم المدينة أن يرفعه ليعلم الناس انه مخالف ففعل الرجل ما أمر به فلما علم أهل المدينة بذلك أحبوا أن يعلموا رأي على فى هذه المشكلة أيقاتل معاوية أم يحذر ذاك فدسوا اليه زياد بن حنظلة وكان منقطعا اليه فقال له على يازياد تيسر قال لأى شيء قال لغزو الشام فقال زياد الأناة والرفق أمثل وأنشد

ومن لم يصانع في أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

وقال علي

متى تجمع القاب الذكى وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

فخرج زياد فقالوا له ما وراءك قال السيف وقد عد علي خلاف معاوية بغياً وخروجاً عن طاعته لأنه رأى أن بيعته انعقدت بمن بايع فلزمت من لم يبايع وأرسل الى أهل الامصار يستنفرهم لقتال معاوية وكان الزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله قد خرجا يريدان العمرة فبينما علي يتجهز اذ جاءه خبر لم يكن في حسبانه وهو خلاف طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة وانهم قصدوا البصرة وسبب ذلك أن أم المؤمنين لما قضت حجها بلغها وهي عائدة قتل عثمان وخلافة علي فقالت قتل عثمان والله مظلوماً والله لأطلبن بدمه فرجعت الى مكة وخطبت الناس فقالت (أيها الناس ان الغوغاء من أهل الامصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه وقد استعمل أمثالهم قبله ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزل لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام والله لأصبع من عثمان خير من طباق الارض أمثالهم والله لو أن الذي اعتدوا به عليه ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه اذ ماصوه (غسلوه) كما يماص الثوب بالماء وتبعها في رأيها عبد الله بن الحضرمي عامل مكة ومن هرب من بنى أمية من المدينة وقدم عليهم عبد الله ابن عامر من البصرة ويعلى بن منية من الكوفة وتبعها أيضاً الزبير وطلحة وكان كثير من الصحابة يرون أن أول الواجبات على المسلمين فى هذا الوقت

هو تتبع قتلة عثمان والقصاص منهم اقامة لحد الله ورأوا أنه لا يصح تأخيره مهما نتج منه فكأن اقامة هذا الحد في عنق كل مسلم وهو ملزم بالقيام بما يوصل اليه ولم ير الزبير ولا طلحة هذا خروجاً على الامام لان بيعة علي لم تنعقد حسبما اجتهدا لأن كثيراً من الصحابة في المدينة وغيرها لم يبايعوا أما بيعتهما فكانت كرهاً والسيف على اعناقهما وهذا على رأيهما لا تجب به طاعة فاستقام رأيهم على قصد البصرة ودعوا عبد الله بن عمر للخروج معهم فأبى وسار مع أم المؤمنين عائشة جمع كثير وكان يصلي بالناس عبدالرحمن بن عتاب ابن أسيد ولما قاربوا البصرة أرسلت عائشة عبد الله بن عامر ليعرف أهلها بقدومها . ففعل أما عثمان بن حنيف أمير البصرة فانه بعث الى أم المؤمنين عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي ليسألاها عن سبب قدومها فلماوصلاها قالا ان اميرنا بعثنا اليك لنسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا فقالت ما مثلي يغطي لبنيه الخبر ان الغوغاء وأهل القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه وآووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسول الله ﷺ مع ما نالوا من قتل امام المسلمين بلا تراة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس فيه وراءنا وما ينبغي لهم من اصلاح هذه القصة وقرأت (لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) فتركاها وأتيا الزبير وقالا ما اقدمكما قالا الطلب بدم عثمان فقالا ألم تبايعا علياً قالا والسيف على أعناقنا وما نستقيله البيعة ان هو لم يخل بيننا وبين قتلة عثمان فرجع عمران وأبو الاسود الى ابن حنيف وأخبراه الخبر

فصمم على منع البصرة حتي يحضر على ثم أراد أن يعلم هل أحد في البصرة يمالىء طاحة والزبير فدس رجلا الى الناس فقال أيها الناس أنافلان أن هؤلاء القوم ان كانوا جاءوا خائفين فقد جاءوا من بلد يأمن فيــه الطير وان كانوا جاءوا يطالبون قتلة عثمان فما نحن قتلته فأطيعوني وردوهم من حيث جاءوا فقام اليه أحد زعماء البصرة وقال أو زعموا انا قتلة عثمان انما جاءوا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا فعرف ابن حنيف أن لطاحة والزبير أنصاراً بالبصرة فخرج بمن معه حتى نزل ميسرة المربد وأقبلت أم المؤمنين فنزلت ميمنته وخطبت الناس وكانت جهورية الصوت فحمدت الله تعالى ثم قالت (ان الناس يتجنون على عثمان ويزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم فننظر في ذلك فنجده بريئاً تقياً وفياً ونجدهم فجرة غدرة كذبة وهم يحاولون غير مايظهرون فلما قووا كاثروه واقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر الا ان مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره أخذ قتلة عثمان واقامة كتاب الله ثم قرأت: «ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله يحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون» فتبعها جمع من أصحاب عثمان وأقبل عليها جارية بن قدامة السعدي وقال يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل عرضة للسلاح انه قد كان لك من الله سترة وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك انه من رأى قتالك يرى قتلك ان كنت أتيتنا طائعة فارجعي الى بيتك وان كنت اتيتنا مكرهة فاستعيني بالناس ثم أقبل عليها حكيم بن جبلة من فرسان البصرة ومعه جمع فقاتل من معها فامرتهم بالكف والمدافعة

فلم ينته حكيم فأمرت ان يأتي الجيش مقبرة بنى مازن في الجهة اليمنى وحجز الليل بين الفريقين فلما كان الصباح خرج حكيم يقدم جيشه وقاتل الى قريب المساء فلما مسهم حر السلاح تنادوا الى الصلح حتى يرسلوا الى المدينة من يعلم لهم اكانت بيعة طلحة والزبير طوعا ام كرها فان ثبت انهما اكرها ترك ابن حنيف البصرة وان لم يكونا اكرها رجع الزبير وطلحة فارسلوا لذلك كعب بن سور قاضى البصرة فلما قدم المدينة قال يا اهل المدينة أنا رسول أهل البصرة اليكم أسألكم أأكره طلحة والزبير على البيعة أم اتياها طائعين فاجاب اسامة بن زيد بانهما اكرها فلق اسامة من والى المدينة سهل بن حنيف أخى عثمان بن حنيف أهانة وبلغ هذا الخبر عليا فارسل الى عثمان بن حنيف يقول له والله ماأكرها على فرقة ولقد اكرها على جماعة وفضل فان كانا يريدان الخلع فلاعذر لهما وان كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظرا فقدم كعب بن سور ووافق قدومه وصول كتاب على فاخبر كعب باكراه الزبير وطلحة على البيعة فطلبا من ابن حنيف أن يخرج من البصرة فامتنع محتجا بكتاب على فبيته القوم ذات ليلة واستولوا على البصرة وجعلوا على بيت المال عبدالرحمن بن أبي بكر وحبسوا ابن حنيف فبلغ ذلك حكيم بن جبلة فاقبل برجاله يريد نصره وكلم عبدالله بن الزبير طالبا منه أن يخلى سبيل عثمان ويجلس فى بيت الامارة حتى يأتى على فابى عليه ذلك فتقدم حكيم وقاتلهم حتى قتل كثير ممن معه وهرب بقيتهم فجاء الزبير وطلحة بمن غزا المدينة منهم فقتلوا الاحرقوص بن زهير فان عشيرته منعته وكانت هذه الواقعة لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وأقامت بعدها أم المؤمنين

ومن معها بالبصرة . أما أمير المؤمنين على بن أبي طالب فانه لما بلغه وهو بالمدينة مسير عائشة وقد عبيء جيشه الى الشام دعا وجوه أهل المدينة وقال لهم أن آخر الامر لا يصلح الا بما صلح أوله فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم فانتدب معه ناس وثقل آخرون فخرج من المدينة وهو يرجو ان يلحق الزبير وطلحة قبل أن يصلا البصرة واستخلف على المدينة سهل بن حنيف فلما وصل الربذة أتاه خبر سبقهم فاقام بها وأرسل محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر يستنفران الناس وكتب معهم كتابا الى أهل الكوفة هذه صورته : «انى اخترتكم على الامصار وفزعت اليكم لما حدث فكونوا لدين الله أنصاراً وأعواناً وانهضوا الينا فالاصلاح نريد لتعود هذه الامة اخوانا » وكان من رأى أبي موسى الاشعرى أمير الكوفة قعود الناس عن هذه الفتن فلما سأله أهل الكوفة عن الخروج الى على والقتال معه قال انما هما أمران القعود في سبيل الآخرة والخروج في سبيل الدنيا فلم يخرج مع ابن أبى بكر وابن جعفر أحد فأغلظا لابى موسى فقال لهما والله أن بيعة عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكما فان لم يكن بد من القتال فلا نقاتل أحداً حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا فرجعا الى على بالخبر فلقياه بذى قار فارسل بدلهما مالك بن الحارث الاشتر وعبدالله بن عباس فلما قدما الكوفة كلما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من أهلها فقام وخطب الناس وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال : «أيها الناس ان أصحاب النبي ﷺ الذين صحبوه أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه وان لكم علينا لحقاً وانا مؤد اليكم نصيحة كان الرأي أن لا تستخفوا بسلطان الله وأن لا تجترؤا على الله وأن تأخذوا من

قدم عليكم من المدينـة فتردوهم اليها حتى يجتمعوا فهم أعلم بمن تصلح له الامامة وهذه فتنة صماء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب والراكب خير من الساعى فكونوا جرثومة من جراثيم العرب فاغمدوا السيوف وانصلوا الأسنة وقطعوا الاوتار وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الامر وتنجلى هذه الفتنة » فرجع ابن عباس والاشتر الى على بالخبر فارسل الحسن بن على وعمار بن ياسر فاقبلا حتى دخلا المسجد فقال الحسن لابى موسى لم تثبط الناس عنا فوالله ما أردنا الا الاصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شىء فقال صدقت بأبي أنت وأمى ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله ﷺ يقول «انها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشى والماشى خير من الراكب» وقد جعلنا الله اخوانا وقد حرم علينا دماءنا وأموالنا فكثر الجدال بين الناس فمن محرض على الخروج مع أمير المؤمنين ومن مثبط عنه فقام القعقاع بن عمرو وقال ياأهل الكوفة اني لكم ناصح وعليكم شفيق أحب اليكم أن ترشدوا ولاقوان قولا هو الحق أما ماقال الامير (أبوموسى) فهو الحق ولكن لاسبيل اليه أنه لابد من امارة تنظم الناس وتنزع الظالم وتعز المظلوم وهذا أمير المؤمنين ولى بما ولى وقد أنصف فى الدعاء وانما يدعوالى الاصلاح فانفروا وكونوا في هـذا الامر بمرأى ومسمع وقال سيحان بن صوحان من زعماء الكوفة أيها الناس انه لابد لهذا الامر وهؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعز المظلوم ويجمع الناس وهذا واليكم يدعوكم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون على الامة الفقيه فى الدين فمن نهض اليه فانا

سائرون معه وقال الحسن بن على أجيبوا دعوة أميركم وسيروا الى اخوانكم فانه سيوجد لهذا الامر من ينفر اليه والله لأن يدعيه أولو النهى أمثل في العاجل والآجل وخير في العاقبة فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم وان أمير المؤمنين يقول قد خرجت مخرجى هذا ظالما أومظلوما وانى أذكر الله رجلا رعى حق الله الانفر فمن وجدنى مظلوما أعانني ومن وجدني ظالما أخذ منى والله أن طلحة والزبير لاول من بايعنى واول من غدر فهل استأثرت بمال أو بدلت حكما فانفروا فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر . فأثر فيهم هذا القول ورضوا بالخروج فنفر معه قريب من تسعة آلاف ثلثهم في نهر الفرات والباقون ركبانا معه فلما التقوا بأمير المؤمنين رحب بهم وقال لهم (ياأهل الكوفة أنتم قاتلتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم حتى صارت اليكم مواريثهم فمنعتم حوزتكم واعنتم الناس على عدوهم وقد دعوتكم لتشهدوا معنا اخواننا من أهل البصرة فان يرجعوا فذاك الذى نريد وأن يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤا بظلم ولم ندع امرا فيه اصلاح الا آثرناه علي مافيه الفساد ان شاء الله) ثم ندب القعقاع بن عمرو ليكون بينه وبين طلحة والزبير وقال له اذهب فادعهما الى الالفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة ثم قال له كيف تصنع فيما جاءك منهما وليس فيه وصاة قال نلقاهم بالذى أمرت به فان جاء منهم ماليس عندنا فيه منك رأى اجتهدنا رأينا وكلمناهم كما نسمع ونرى انه ينبغي قال أنت لها فقدم القعقاع البصرة وبدأ بأم المؤمنين فقال لها أي أمة ما اقدمك هذه البلدة قالت أى بنى الاصلاح بين الناس قال فابعثي الى طلحة والزبير حتي تسمعي كلامي وكلامهما فبعثت اليهما فحضرا فقال

القعقاع انى سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح بين الناس فما تقولان انتما متابعان ام مخالفان قالا بل متابعان قال فاخبرانى ما وجه هذا الاصلاح فوالله لئن عرفناه لنصلحن ولئن انكرناه لا يصلح قالا قتلة عثمان فان هذا الامر ان ترك كان تركا للقرآن قال قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتما قبل قتلهم أقرب الى الاستقامة منكم اليوم قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه منكم ستة آلاف فان تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون وان قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فاديلوا عليكم فالذى حذرتم وقويتم به هذا الامر أعظم مما اراكم تكرهون وان انتم منعتم مضر وربيعة من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لاهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير . قالت أم المؤمنين فما ذا تقول أنت قال أقول : ان هذا الامر دواؤه التسكين فان سكن اختلجوا فان انتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثار وان أنتم أبيتم الا مكابرة هذا الامر واعتسافه كان علامة شر فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم ولا تعرضونا للبلاء فتعرضوا له فيصرعنا واياكم وأيم الله اني لاقول هذا القول وأدعوكم اليه واني لخائف ان لايتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الامة التى قل متاعها ونزل بها ما نزل فان هذا الامر الذي حدث ليس كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولاالقبيلة الرجل قالوا قد أصبت وأحسنت فان رجع علي وهو على مثل رأيك صلح الامر فرجع الى علي وأخبره الخبر فاعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح واقبلت وفود أهل البصرة على اخوانهم من أهل الكوفة لينظروا

ما رأى اخوانهم فوجدوا الجميع متفقين على الصلح ولا يخطر لهم قتال اخوانهم ببال فرجعوا الى البصرة وأخبروا من بها بهذا الخبر السار وقام علي خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر شقاوة الجاهلية وسعادة الاسلام وانعام الله على الامة بالجماعة على الخليفة من بعد رسول الله ﷺ ثم الذي يليه ثم الذي يليه حدث هذا الحدث الذي جره على الامة أقوام طلبوا هذه الدنيا حسدوا من أفاءها الله عليه وأرادوا رد الاسلام والاشياء على ادبارها والله بالغ أمره الا وإني راحل غداً فارتحلوا ولا يرتحلن أحد أعان على عثمان بشيء من أمور الناس وليعن السفهاء على أنفسهم فلما سمع السبئية (اصحاب ابن سبأ) مقالة علي سقط في ايديهم ورأوا ان ضرر هذا الصلح انما يعود عليهم لانه ان تم كان على قتلهم وتشاوروا فيما يفعلون لمنع هذا الصلح فقال لهم رئيسهم الضال والدخيل في الاسلام ياقوم ان عزكم في خلطة الناس فاذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر فمن انتم معه لايجد بداً من أن يمتنع ويشغل الله علياً والزبير وطلحة ومن رأى رأيهم عما تكرهون فأجمعوا على رأيه ولا يشعر الناس بذلك فلما أصبحوا سار علي وسار اليه طلحة والزبير فالتقى الجيشان خارج البصرة فسأل علياً بعض أصحابه عما سيفعله فقال له الاصلاح واطفاء النائرة لعل الله يجمع شمل هذه الامة ويضع حربهم قال فان لم يجيبوا قال تركناهم ماتركونا قال فان لم يتركونا قال دفعنا عن انفسنا قال فهل لهم من هذا مثل الذى عليهم قال نعم وقام اليه آخر فقال اترى لهؤلاء القوم من حجة في هذا الدم ان كانوا أرادوا الله بذلك قال نعم قال أفترى لك حجة بتأخير ذلك قال نعم قال فما حالنا وحالهم ان ابتلينا غداً قال اني

لارجو أن لايقتل منا ومنهم أحد نقي قلبه لله الا أدخله الجنة ثم قال (أيها الناس املكوا عن هؤلاء القوم أيديكم وألسنتكم ان تسبقونا فان المخصوم غدا من خصم اليوم) ثم أرسل الى طلحة والزبير ان كنتم على مافارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى نتزل وننظر في هذا الامر فأجابا (ثم) خرج الزبير على فرسه بين الجيشين فقيل لعلى هذا الزبير فقال اما انه أحرى الرجلين ان ذكر بالله أن يذكر وخرج طلحة أيضاً فخرج اليهما على حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال لعمرى لقد اعددتما سلاحا ورجالا ان كنتما اعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله ولاتكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا الم أكن أخاكما فى دينكما تحرمان دمى وأحرم دمكما فهل من حدث أحل لكما دمى فقال طلحة ألبت على عثمان فلعن على قتلة عثمان ثم قال اما بايعتنى قال بايعتك والسيف على عنقى ثم ذكر الزبير باشياء كثيرة يلين بها قلبه وقال اتذكر يوم مررت مع رسول الله ﷺ فى بنى غنم فنظر الى فضحك وضحكت اليه فقلت له لايدع ابن أبي طالب زهوه فقال لك رسول الله ﷺ ليس بمزه لتقاتلنه وأنت ظالم له فرجع الزبير وهو حالف انه لايقاتل عليا وخصوصاً حينما علم أن عمار بن ياسر مع على وقد قال له رسول الله ﷺ تقتلك الفئة الباغية فكأنه قد شعر بانه أخطأ في اجتهاده لانه يعمل لله ومتى كان العمل لله كان الرجوع الى الحق أقرب والهداية الى الصواب أسهل فرجع كل منهم الى قومه والجميع لايشكون في الصلح وباتوا بأهنأ ليلة للعاقبة التي أشرفوا عليها وهنا رأى السبئية قاتلهم الله ان الوقت قدحان لتنفيذ مآربهم فخرجوا في الغلس من غيران يشعربهم أحد وقصد مضرهم مضر البصرة وربيعتهم ربيعة

البصرة ويمنعهم يمن البصرة ووضعوا فيهم السلاح فثار كل قوم في وجوه أصحابهم وسأل طلحة والزبير عن الخبر فقيل لهما طرقنا أهل الكوفة ليلا فقال قد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء وانه لن يطاوعنا وسأل على عن الخبر وكان السبئية قد وضعوا عنده رجلا يخبره اذا سأل فقال له ماشعرنا الا وقوم منهم بيتونا فرددناهم فوجدنا القوم على رحل فركبوا وثار الناس. فقال على لقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء وانهما لن يطاوعانا ثم نادى فى الناس ان كفوا وكان من رأى الجميع في تلك الفتنة ان لا يبدؤا بقتال يطلبون بذلك الحجة وان لايقتلوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يستحلوا سلبا ولا يرزؤا بالبصرة سلاحا ولا ثيابا ولا متاعا فجاء كعب بن سور قاضى البصرة الى أم المؤمنين وقال لها ادركي الناس فقد ابى القوم الا القتال لعل الله ان يصلح بك فركبت بعد أن ألبسوا هودجها الادراع ثم سارت ووقفت بحيث تسمع ضوضاء القتال اما الزبير فانه ترك القوم يقتتلون. ورجع فتبعه رجل يعرف بابن جرموز وقتله غدرا وهو يصلى بوادى السباع. ولم يقاتل جيش البصرة الا قليلا ثم هزم فروا فى هزيمتهم على أم المؤمنين راكبة هودجها فاطافوا بجملها وقالت هى لكعب بن سور تقدم الى هؤلاء القوم بالمصحف وادعهم الى كتاب الله فرماه بعض السبئية بسهم قتله ورموا هودج أم المؤمنين بالنبل فجعلت تنادى البقية البقية يابنى . الله اذكروا الله والحساب ولا يأبون الا إقداما فحرضت جيش البصرة على القتال حينما رأت أهل الكوفة يريدون هودجها وهنا كانت حميتهم العظمى لحرم رسول الله ﷺ ولم يكن هنا محيص عن القتال لانه كالسيل اذا أتى لايرد وأمسك بخطام

الجمل كثير من أرباب الشجاعة والنجدة من قريش وغيرهم فقتل دونه نحو السبعين من قريش وعدد عظيم من غيرهم وممن قتل دونه محمد بن طلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد واشتد أهل الكوفة على الجمل لانهم رأوا أن البصريين لاينهزمون مادام واقفا فرامه كثير منهم وكل من رامه قتل فلما رأى على شدة الامر وكثرة القتلى من المسلمين قال اعقروا الجمل فانه ان عقر تفرقوا عنه والذى دعاه الى هذا الامر الحذر على أم المؤمنين ان تصاب من كثرة النبل الذى سدد لهودجها فقطعوا ساق الجمل ثم اجتمع القعقاع بن عمرو وزفر بن الحارث على قطع بطان الجمل وحمل الهودج وانه مثل القنفذ من كثرة السهام وعند ذلك انهزم أهل البصرة فنادى منادى على ألا لاتتبعوا مدبرا ولاتجهزوا على جريح ولاتدخلوا دوراً وأمر بحمل الهودج من بين القتلى وأمر محمد بن أبي بكر ان يضرب عليه قبة وقال انظر هل وصل اليها شئ من جراحة فوجدها بحمدالله سليمة لم تصب بشىء ثم جاءها على فقال كيف انت ياأمه قالت بخير يغفر الله لك قال ولك وظهرت آثار الكدر على أمير المؤمنين من هذا الحادث الجلل الذى لم يكن له فيه مأرب وكذلك على السيدة أم المؤمنين فانها كانت تود الصلح ولم يجر ماجرى الا رغما عن الجميع وكان على يتمثل بعد انتهاء الموقعة بقول الشاعر

اليك أشكو عجرى وبجرى ومعشر نفسى وعلى بصرى

قتلت منهم مضرى بمضرى شفيت نفسي قتلت معشرى

ثم أمر ان تنزل أم المؤمنين في دار خلف بن عبدالله الخزاعى على صفية بنت الحارث بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار واذن في دفن

القتلى ثم أطاف عليهم فلما رأى كعب بن سور قال زعمتم انه خرج معهم السفهاء وهذا قد ترون ولما أتى على طلحة قال لهفى عليك أبا محمد انا لله وانا اليه راجعون والله لقد كنت أكره ان أرى قريشا صرعى وأنت والله كما قال الشاعر

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه   اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وصلى على القتلى من أهل البصرة وأهل الكوفة وبعث ما كان في العسكر من الاسلاب الى مسجد البصرة وقال من عرف شيئا فليأخذه الاسلاحا في الخزائن عليه سمة السلطان ثم دخل على البصرة فبايعه أهلها وولى عليها عبد الله بن عباس وجعل على الخراج زياد بن أبي سفيان ثم بلغه أن رجلا قال جزيت عنا أمنا عقوقنا وقال الآخر ياأمي توبي فأمر بكل منهما أن يجلد مائة جلدة ثم جهز على أم المؤمنين وسيرها الى المدينة وأختار معها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر فلما كان اليوم الذى ارتحلت فيه اجتمع الناس اليها فقالت يابنى لا يعتب بعضنا على بعض انه والله ما كان بينى وبين علي في القديم الا مايكون بين المرأة وبين احمائها وانه على معتبتى لمن الاخيار فقال علي صدقت والله مابينى وبينها الا ذلك وانها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة وخرجت يوم السبت غرة رجب من السنة السادسة والثلاثين فتوجهت الى مكة فحجت ثم رجعت الى المدينة والحمد لله

ورجع على الى الكوفة التي جعلها مقر خلافته فأرسل جرير بن عبدالله البجلي الى معاوية بالشام يدعوه الى الدخول فيما دخل فيه الناس ويعلمه باجتماع المهاجرين والانصار على بيعته فامتنع معاوية حتى تقتل قتلة عثمان حيث كانوا

ثم يختار المسلمون لانفسهم اماما لانه رأي أن بيعة على لم تنعقد لافتراق الصحابة أهل الحل والعقد في الآفاق ولاتتم البيعة الاباتفاقهم ولاتلزم بعقد من تولاها من غيرهم أومن القايل منهم فجعل رضي الله عنه القصاص من قتلة عثمان أول واجب على المسلمين والذى يطالب به وليه ثم اختيار الامام أمر ثان ولم يكن معاوية يتهم عليا رضى الله عنهما بالممالأة على عثمان حاشا لله بل كان يظن فيه الهوادة عن نصرة عثمان من قاتليه ولقد كان اذا وجه ملامته انما كان يوجهها عليه في سكوته فقط كما ذكر ذلك العلامة ابن خلدون في مقدمة تاريخه اما على رضى الله عنه فكان يرى أن بيعته قد تمت ولزمت من تأخرعنها باجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي ﷺ وموطن الصحابة وارجأ الامر في القصاص من قتلة عثمان الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيتمكن حينئذ مما يجب أن يفعل وبذلك عد من لم يبايعه خارجا عليه يحل له قتاله فخرج فعسكر بالنخيلة وقدم عليه ابن عباس من البصرة واستخلف عليها زيادا ثم قدم طلائعه وعبى جيوشه قاصداً محاربة أهل الشام لاجبارهم على الدخول فيما دخل فيه الناس ولما علم بذلك معاوية سار اليه فى جيوش الشام فالتقى الجيشان في سهل صفين على نهر الفرات شرق حلب فمكثا يومين ابتدأت بعدهما المراسلة فارسل على بشير بن عمرو الانصارى وسعيد بن قيس الهمذاني وشيث بن ربعى التميمي فقال لهم ائتوا هذا الرجل فادعوه الى الله والطاعة والجماعة فتوجهوا اليه فتكلم بشير بن عمرو فحمد الله واثنى عليه ثم قال يامعاوية ان الدنيا عنك زائلة وانك راجع الى الآخرة وان الله محاسبك بعملك ومجازيك عليه وانى أنشدك الله ان تفرق جماعة هذه الامة وان تسفك

دماءها بينها فقال معاوية هلا أوصيت بذلك صاحبك فقال بشير ليس مثلك ان صاحبي أحق البرية بهذا الامر في الفضل والدين والسابقة في الاسلام والقرابة بالرسول ﷺ قال فماذا يقول قال يأمر بتقوى الله وان تجيب ابن عمك الى مايدعوك اليه من الحق فانه أسلم لك في دنياك وخير لك في عاقبة أمرك قال معاوية ونترك دم ابن عفان لاوالله لاأفعل ذلك أبداً فذهب سعيد بن قيس يتكلم فبادره شيث بن ربعي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعاوية قد فهمت مارددت على بشير انه والله لايخفى علينا ماتطلب انك لم تجد شيئا تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم الا قولك قتل امامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام وقد علمنا أنك ابطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ورب متمنى امر وطالبه يحول الله دونه وربما أوتي المتمنى امنيته وفوق امنيته والله مالك في واحدة منها خير والله ان أخطأت ماترجو انك لشر العرب حالا ولئن أصبت ماتتمناه لاتصيبه حتى تستحق من ربك صلى النار فاتق الله يامعاوية ودع ماانت عليه ولاتنازع الامر أهله فأثرت مقالته هذه في معاوية اشد التأثير لأنه حمله فيها مالم يرده فحمد الله واثنى عليه ثم قال أما بعد فان أول ماعرف به سفهك وخفة حلمك ان قطعت على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه ثم اعترضت بعد فيما لاعلم لك به فقد كذبت ولؤمت أيها الاعرابي الجلف الجافي في كل ماذكرت ووصفت انصرفوا فليس بيني وبينكم الا السيف ومن هنا يفهم ان السفراء بين الامراء عليهم المدار في الاصلاح والافساد ولقد صدق معاوية فان شيث بن ربعي كان من أول الخارجين

على أمير المؤمنين على فرجع الوفد الى على واخبره وكانت الحرب اذا لامحيص عنها اذ معاوية يطلب قتلة ابن عمه عثمان بن عفان وهو أولى النـاس بالمطالبة بذلك لانه وليه وحدود الله لاتؤخر لاى سبب وعلى يريد ردها الى الطاعة والجماعة ثم ينظر في القصاص من قتلة عثمان ومع ذلك كانوا يحذرون ان يلقي جمع أهل الشام جمع أهل العراق حذراً من الهلاك والاستئصال فيضيع الاسلام ويطمع فيه اعداؤه فصار على يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه جماعة من أصحابه فيخرج له معاوية مثله وداموا على ذلك الى ان أهل محرم السـنة السابعة والثلاثين فعقد علي ومعاوية هدنة مدتها شهر اطمعا في الصلح واختلفت بينهم الرسل فارسل على عدى بن حاتم ويزيد بن قيس الارحبي وشيث بن ربعي وزياد بن حفصة فتكلم عدى فحمد الله واثنى عليه ثم قال أما بعد فانا أتيناك ندعوك الى أمر يجمع الله به كلمتنا وامتنا ونحقن به الدماء ونصلح ذات البين ان ابن عمك أحسن الامة سابقة وأحسنها فى الاسلام أثراً وقد استجمع له الناس ولم يبق أحد غيرك وغير من معك فاحذر يا معاوية لايصيبك وأصحابك مثل يوم الجمل فقال معاوية كانك انما جئت متهدداً ولم تأت مصلحا هيهات ياعدى انى والله لابن حرب لايتقعقع لى بالشنان وانك والله من المجلبين على عثمان وانك من قتلته وانى لأرجو أن تـكون ممن يقتله الله به فقال من مع عدى أتيناك فيما يصلحنا واياك فأقبلت تضرب لنا الامثال دع مالاينفع واجبنا فيما يعم نفعه فطلب معاوية ان يسلم على من معه من قتلة عثمان ومن ألب عليه فقال شيث بن ربعى أيسرك أن تقتل عمار بن ياسر فقال وما يمنعنى من ذلك لو تمـكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان فقال شيث والله الذى لا اله غيره

لا تصل اليه حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الارض والفضاء عليك. فقال معاوية لو كان كذلك لكانت عليك أضيق ثم تفرق القوم بلا نتيجة. وكذلك رجع من بعثهم معاوية الى علي لانه كان يريد قبل كل شيء مبايعته ثم ينظر في أمر قتلة عثمان ولما انقضى شهر الهدنة أمر علي مناديا ينادي ياأهل الشام يقول لكم أمير المؤمنين قد استدمتكم لترجعوا الى الحق وتنيبوا اليه فلم تنتهوا عن طغيانكم ولم تجيبوا الى الحق واني قد نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ثم أوصى أصحابه فقال (لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فانتم بحمد الله على حجة وتركُكم اياهم حجة أخرى فاذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتم الى رحال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا شيئا من أموالهم ولا تهيجوا النساء باذى وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم وصلحاءكم فانهن ضعاف القوى والانفس). ثم عبى جيشه وأمر أمراءه وكذلك فعل معاوية وابتدأ القتال يوم الثلاثاء أول يوم من صفر فخرجت فرقة من أهل العراق ومثلها من أهل الشام واقتتلتا طول النهار وهكذا في الايام التالية له فلما كان مساء الثلاثاء الثامن من صفر خطب علي أصحابه فحمد الله واثنى عليه فقال (الحمد لله الذي لا يبرم مانقضه وما ابرم لم ينقضه الناقضون ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقه ولا اختلفت الامة في شيء ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الاقدار فنحن بمرأى من ربنا ومسمع فلو شاء عجل النقمة وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق أين مصيره ولكنه جعل الدنيا دار الاعمال والآخرة دار القرار ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى الا

وانكم لاقوا القوم غدا فاطيلوا الليلة القيام واكثروا تلاوة القرآن واسألوا الله النصر والصبر والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين) واجمع على أمره على ملاقات جيش معاوية بجيشه كله فلما أصبحوا التقى الجيشان فتقاتلوا قتالا شديدا وانصرفوا عند المساء وكل غير غالب اما في يوم الخميس عاشر صفر فان رحا الحرب دارت بشدة على الطائفتين وظهرت فصاحة الفصحاء وبلاغة البلغاء وكل يرى نفسه في طاعة الله فكان أحدهم اذا رأى فرقة مات القتال رمى عليها بصواعق من لسانه فتعود اليها حميتها وكان للاشتر بن الحارث اليد الطولى فانه صار يتقدم بمن معه حتى قارب معاوية وكان معاوية بعدها يقول كدت انهزم فذكرت قول ابن الاطنابه

ابت لى عفتى وأبى بلائي ... وأقدامى على البطل المشيح
واعطائي على المكروه مالى ... واخذى الحمد بالثمن الربيح
وقولى كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي

فمنعني ذلك من الفرار وأحاطت به جيوش الشام وحميت قلوبهم ولم يصدهم عن القتال اقبال الليل فاستمروا على ما هم عليه ليلة تعد من ليالى الاسلام المظلمة او أصبحوا وكان الملل والسآمة في جيش الشام أبين ورأى ذلك معاوية وعمرو ابن العاص فقال عمرو ندعوهم لكتاب الله ان يكون حكما بيننا وبينهم فأمر معاوية برفع المصاحف على الرماح ومناديا يقول هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام من لثغور العراق بعد أهل العراق فلما رآها أصحاب على وقد أشرفوا على الانتصار اختلفوا ففرقة تقول نجيب الى كتاب الله عز وجل ورئيسهم الاشعث بن قيس الكندي وفرقة تأبى

الا القتال حتي يتم الامر لانهم ظنوا رفع المصاحف خديعة ورئيسهم الاشتر وكان هـذا رأى امير المؤمنين ولـكنه اتبع رأي مخالفيه لكثرتهم فارسل الاشعث الى معاوية يسأله عما يريد فتوجه اليه وقال لأي شيء رفعتم المصاحف فقال لنرجع نحن وأنتم الى ماامر الله في كتابه تبعثون رجلا ترضونه ونبعث رجلا نرضاه ونأخذ عليهما العهدان يعملا بما فى كتاب الله لايعدوانه ثم نتبع مااتفقا عليه فعاد الى علي بالخبر فقال الناس رضينا وقبلنا واختار أهل الشام عمرو بن العاص واختار أهل العراق اباموسى الاشعري فحضر عمرو ليكتب الكتاب بين الفريقين بذلك فكتبوا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا ماتقاضي عليه أمير المؤمنين علي فقال عمرو ليس لنا بأمير فمحاه علي وقال (هذا ماتقاضى عليه على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى على على أهل الكوفة ومن معهم وقاضي معاوية على أهل الشام ومن معهم انا ننزل عند حكم الله وكتابه وان لا يجمع بيننا غيره وان كتاب الله بيننا من فاتحته الى خاتمته نحيي ما احيا ونميت ما أمات فما وجد الحكمان فى كتاب الله وهما ابو موسي عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به ومالم يجداه في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة واخذ الحكمان من على ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق انهما آمنان على أنفسهما واهليهما والامة لهما انصار على الذي يتقاضيان عليه وعلى عبدالله ابن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة لايردانها في حرب ولا فرقة حتي يقضيا واجلا القضاء الى رمضان وان احبا ان يؤخرا ذلك اخراه وأن مكان قضيتهما مكان عدل من أهل الكوفة وأهل الشام)

وشهد على الكتاب جماعة من جيش على ومثلهم من جيش معاوية وتاريخ الكتاب يوم الاربعاء لثلاث عشرة بقيت من شهر صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على أن يجتمع الحكمان بدومة الجندل اوباذرح في رمضان ثم انفض الناس من هذا المحل المشئوم الذى اجتمع فيه فئتان عظيمتان من المؤمنين يقاتل بعضهم بعضا ولكن الذى يخفف البليلة ان الفريقين كانا يريدان الله بعملهما لان الجميع كانوا يريدون انفاذ حكمه حسبما اجتهدوا ورأوا ورجع أمير المؤمنين من صفين الى الكوفة وجيشه في شقاق واختلاف، فريق راض بالتحكيم ظان انه حاسم للخلاف وجامع لكلمة المسلمين وفريق كاره له قائل كيف تحكم في دين الله الرجال وهؤلاء اعتزلوا اخوانهم يقولون ادهنتم في دين الله وأولئك يقولون فارقتم امامنا فلما وصل على الكوفة اعتزله جماعة ممن رأوا التحكيم ضلالا واتوا حروراء فنزلوا بها في اثنى عشر الفا وأمروا على القتال شيث بن ربعي وعلى الصلاة عبدالله بن الكوا اليشكرى والامر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فبعث اليهم على عبدالله بن عباس وقال له لا تراجعهم حتى آتيك فلم يصبر عن مكالمتهم وقال مانقمتم من أمر الحكمين وقد أمر الله بهما بين الزوجين فقال (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) فكيف بامة محمد ﷺ فقالوا هذا لايكون بالرأى والقياس فان ذلك قد جعله الله حكما للعباد وهذا امضاه كما أمضى حكم الزاني والسارق فليس للعباد أن ينظروا فيه فقال ابن عباس قال الله تعالى (يحكم به ذوا عدل منكم) فقالوا والاخرى كذلك ليس أمر الزوجين والصيد كدماء المسلمين وقدحوا

في عدالة عمرو بن العاص وقالوا اقد حكمتم في امر الله الرجال وقد امضى الله حكمه في معاويه وأصحابه أن يقتلوا أو يرجعوا وجعلتم بينكم الموادعة في الكتب وقد قطعها الله بين المسلمين وأهل الحرب مذ نزلت براءة فخرج اليهم على ونزل في فسطاط يزيد بن قيس منهم بعد أن علم أنهم يرجعون اليه في رأيهم فصلى عنده ركعتين وولاه اصبهان والرى ثم خرج اليهم وهم في مجلس ابن عباس فقال من زعيمكم قالوا ابن الكوا قال فما هذا الخروج قالوا لحكومتكم يوم صفين قال قد اشترطت على الحكمين ان يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فان حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف وان أبيا فنحن من حكمهما براء قالوا فخبرنا اتراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء فقال انا لسنا حكمنا الرجال وانما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين لاينطق وانما يتكلم به الرجال قالوا فلم جعلتم الاجل بينكم قال ليعلم الجاهل ويثبت العالم ولعل الله يصلح في هذه الهدنة هذه الامة فرجعوا الى رأيه فقال ادخلوا مصركم رحمكم الله فدخلوا عن آخرهم

اجتماع الحكمين

ولما انقضى الاجل وحل رمضان من السنة السابعة والثلاثين أرسل على ابا موسى الاشعري في أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانئ الحارثي ومعهم عبد الله بن عباس يصلي بهم ويلي أمورهم وارسل معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام عليهم شرحبيل بن الصمة فاجتمع الفريقان في دومة الجندل وكان معهم عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن ابي بكر وعبد الله بن الزبير

وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص ولما اجتمع الحكمان قام أبو موسى فحمد الله واثنى عليه وذكر الحدث الذي حل بالاسلام والخلاف الواقع باهله ثم قال ياعمرو هلم الى أمر يجمع الله فيه الالفة ويلم الشعث ويصالح ذات البين فجزاه عمرو خيراً وقال ان للكلام أولا وآخراً ومتى تنازعنا الكلام خطبا لم نبلغ آخره حتى ننسى أوله فاجعل ما كان من كلام نتصادر عليه في كتاب يصير اليه أمرنا قال فاكتب فدعا عمرو بصحيفة وكاتب وقال له اكتب فانك شاهد علينا ولا تكتب شيئا يأمرك به احدنا حتى تستأمر فيه الآخر فاذا أمرك فاكتب واذا نهاك فانته حتى يجتمع رأينا اكتب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا ماتقاضى عليه أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص تقاضيا على أنهما يشهدان ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ثم قال عمرو ونشهد أن أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ عمل بكتاب الله وسنة رسوله حتى قبضه الله اليه وقد أدى الحق الذى عليه) قال أبو موسى اكتب ثم قال في عمر مثل ذلك ثم قال عمرو اكتب (وأن عثمان ولى هذا الامر بعد عمر على اجماع من المسلمين وشورى من أصحاب رسول الله ﷺ ورضا منهم وأنه كان مؤمنا) قال ابو موسى ليس هذا مما قعدنا له قال عمرو لابد والله من أن يكون مؤمنا او كافرا قال ابو موسى اكتب قال عمرو فظالما قتل عثمان او مظلوما قال ابو موسى بل قتل مظلوما قال عمرو أفليس قد جعل الله لولى المظلوم سلطانا يطلب بدمه

قال ابوموسى نعم قال عمرو فهل تعلم لعثمان وليا أولى من معاوية قال ابوموسى لا قال عمرو أفليس لمعاوية أن يطلب قاتله حيثما كان أو يعجز قال ابوموسى بلى قال عمرو للكاتب اكتب وأمره ابوموسى فكتب ثم قال ابوموسى هذا أمر قدحدث فى الاسلام وانما اجتمعنا لله فهلم الى امر يصلح الله به أمة محمدقال عمرو ماهو قال ابوموسى قد علمت ان اهل العراق لايحبون معاوية أبداً وان أهل الشام لايحبون عليا أبداً فهل نخلعهما جميعا و نستخلف عبدالله ابن عمر قال عمرو ايفعل ذلك عبدالله بن عمر قال نعم اذا حمله الناس على ذلك فعل فقال له عمرو هل لك فى سعد قال لا فعدد له جماعة وكلهم يأباه ابوموسى ولايرضى الاعبدالله بن عمر فأخذ عمرو الصحيفة بعد أن ختما عليها جميعا ولم يتفق الحكمان على من يولياه أمر هذه الامة لان أباموسى رضى بخلع على ومعاوية ولم يختر للخلافة الا عبدالله بن عمر وعمرو بن العاص لم يرضه فافترقا على ذلك ولم يحصل بينهما غير ما كتب فى الصحيفة كما حكاه المسعودى في رواية له فاما ابوموسى فانه استحيا ان يقابل عليا بعد ان اقر على خلعه من الخلافة فلحق بمكة واما عمرو بن العاص فرأى ان الامر صار شورى بين المسلمين حسبما سطر في الصحيفة ورضى به كلاهما فتوجه هو واهل الشام الى معاوية فبايعوه بالخلافة لانهم رأوه اهلا لان يقوم بأعبائها اما امير المؤمنين على فانه رأى ان الحكمين لم يفيا بما تعهدا به من الحكم بالقرآن بل اتبع كل منهماهواه فصمم على حرب معاويه مرةاخرى وخطب اصحابه خطبة قال فيها (الحمد لله وان اتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل واشهد ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله اما بعد فان

المعصية تورث الحسرة وتعقب الندم وقد كنت امرتكم في هذين الرجلين وفى هذه الحكومة امرى ونحلتكم رأيي لو كان لقصير امر ولكن ابيتم الا ما اردتم فكنت انا وانتم كما قال اخو هوازن

امرتهم امرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد

الا ان هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهرهما واحييا ما أمات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد فبريء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين استعدوا وتأهبوا للمسير الى الشام واصبحوا في معسكركم ان شاء الله يوم الاثنين) ولكن حال بينه وبين ذلك ان خرج عليه جماعة زعموا ان التحكيم نقص في الدين وهم الذين كانوا اعتزلوه اولا فارسل اليهم عبدالله ابن عباس فلما صار اليهم رحبوا به واكرموه فرأى منهم جباها قرحة لطول السجود وايديا كثفنات الابل عليهم قمص مرحضة وهم مشمرون فقالوا ماجاء بك يا ابن العباس فقال جئتكم من عند صهر رسول الله وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه قالوا انا أتينا عظيما حين حكمنا الرجال في دين الله فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا فجادلوه وجادلهم ومما احتجوا به ان عليا محا نفسه من امارة المسلمين وقت كتابة الصحيفة قال ابن عباس ليس ذلك بمزيلها عنه وقد محا رسول الله اسمه من النبوة وقد أخذ على الحكمين ان لا يجورا وان يجورا فعلي أولى من معاوية وغيره قالوا ان معاوية يدعي مثل دعوى علي قال فايهما رأيتموه اولى فولوه قالوا صدقت يا ابن عباس قال

ابن عباس متى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما فرجع معه ألفان منهم وبقي الباقون فصلى بهم صلاتهم ابن الكوا وقال متى كانت حرب فرئيسكم شيث بن ربعي الرياحي وبقوا على ذلك يومين ثم اجمعوا على البيعة لعبدالله ابن وهب الراسبي ومضوا الى النهروان فاصابوا مسلما ونصرانيا فقتلوا المسلم واوصوا بالنصراني فقالوا احفظوا ذمة نبيكم ولقيهم عبدالله بن خباب بن الأرت وفي عنقه مصحف ومعه امرأته وهي حامل فقالوا ان هذا الذي في عنقك ليأمرنا بقتلك قال ما احيا القرآن فأحيوه وما اماته فاميتوه فوثب رجل منهم على رطبة فوضعها في فيه فصاحوا به فلفظها تورعا وعرض لرجل منهم خنزير فضربه الرجل فقتله فقالوا هذا فساد في الارض فقال عبد الله بن خباب ما على منكم بأس اني لمسلم قالوا حدثنا عن أبيك قال سمعت أبي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي مؤمنا ويصبح كافرا فكن عبدالله المقتول ولا تكن القاتل قالوا فما تقول في ابي بكر وعمر فأثنى خيرا فقالوا ماتقول في علي قبل التحكيم وفي عثمان ست سنين فأثنى خيرا فقالوا فما تقول في الحكومة والتحكيم قال أقول ان عليا أعلم بكتاب الله منكم وأشد توقيا على دينه وانفذ بصيرة قالوا انك لست تتبع الهدى انك تتبع الرجال على أسمائها ثم قربوه الى شاطئ النهر فذبحوه وساموا رجلا نصرانيا بنخلة له فقال هي لكم فقالوا ماكنا نأخذها الا بثمن فقال ما أعجب هذا تقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون مني جنى نخلة فلما بلغ أمير المؤمنين عنهم هذا الفساد صمم على البدء بهم فسار اليهم وقدم لهم قيس بن سعد فقال لهم عباد الله أخرجوا الينا طلبتنا (قتلة عبدالله بن خباب) ادخلوا في هذا الامر

الذي خرجتم منه وعودوا بنا الى قتال عدونا وعدوكم فانكم ركبتم عظما من الامر تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين وقال لهم أبو أيوب الانصارى عباد الله انا واياكم على الحال الاولى التى كنا عليها ليست بيننا وبينكم فرقة فعلام تقاتلوننا فأبى الخوارج الا عزموا عليه وامتنعوا عن تسليم من قتل عبد الله بن خباب فعبى لهم أمير المؤمنين جيشه ونصب أبو أيوب راية الامان وناداهم من جاء تحت هذه الراية فهو آمن ومن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ومن انصرف منكم الى الكوفة أو الى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن لاحاجة لنا بعد ان نصيب قتلة اخواننا منكم في سفك دمائكم فانصرف فروة بن نوفل بخمسمائة حتى نزل البندنجين والدسكرة وانصرف جماعة الى الكوفة وخرج الى على نحو مائة مسالمين فبقى مع الخوارج الفان وثمانمائة لم يلبثوا الاضحوة نهار حتى قتلوا ولم ينج منهم الا ثمانية أشخاص وقتل من أصحاب أمير المؤمنين تسعة ثم أخذ ما في عسكرهم فاما السلاح والدواب وما شهر عليه فقسم واما الاماء والعبيد والمتاع فرده على أهله بالكوفة ثم ان الذين كانوا فارقوهم والذين لجؤا الى راية أبى أيوب ومن كان أقام بالكوفة من الخوارج على الحياد تجمعوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم فقام فيهم المستورد أحد كبرائهم وخطبهم حاثا لهم على قتال على فخرجوا الى النخيلة فارسل اليهم عبد الله بن عباس ناصحا فابوا فسار اليهم أمير المؤمنين وطحنهم جميعا بالنخيلة ولم ينج منهم الا خمسة منهم المستورد وابن جوين الطائي وابن شريك الاشجعى (ولما) انتهى امير المؤمنين من الخوارج أمر أصحابه بالتوجه الى الشام لقتال معاوية ومن معه فقالوا ياأمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت سيوفنا

ونسلت اسنة رماحنا وعادا كثرها قصدا فارجع بنا الى مصرنا فلنستعد ولعل أمير المؤمنين يزيد فى عدتنا فانه أقوى لنا على عدونا . ومن هذا يفهم ان القوم فلت عزائمهم فسئموا القتال واذا كانت هـذه حال الجيش فلا تستغرب ما آل اليه حال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فان سلطته سارت الى الوراء كل يوم في نقصان وهو كل ساعة يحرضهم بما آتاه الله من فصاحة اللسان وبلاغة القول وهم لا يزدادون الا فتوراً وقليل منهم الذى اخلص له القول والعمل وكثرت عليه الخوارج بحجتهم التى اتخذوها وهى انه حكم الرجال في دين الله ولا حكم الا لله وكان فيمن خرج عليه الخريت بن راشد الناجي في ثلاثمائة من بنى ناجية جاء اليه فقال ياعلي والله لا أطيع أمرك ولا أصلى خلفك واني غدا مفارق لك فقال له اذاً تعصى ربك وتنكث عهدك ولا تضر الا نفسك خبرنى لم تفعل ذلك فقال لانك حكمت وضعفت عن الحق وركنت الى القوم الذين ظلموا فانا عليك زار وعليهم ناقم ولكم جميعاً مباين فقال له هلم ادارسك الكتاب واناظرك في السنن وأفاتحك أموراً أنا أعلم بها منك فلعلك تعرف الآن ما انت له منكر قال فانى عائد اليك قال لا يستهوينك الشيطان ولا يستخفنك الجهال والله لئن استرشدتنى وقبلت منى لاهدينك سبيل الرشاد فلم يسمع له قولا بل سار بمن معه نحو نفر فارس ل وراءهم زياد بن خصفة البكرى وقال له سر حتى تأتي دير أبى موسي وانتظر أمرى فسار زياد حتى أتى دير أبى موسى وبعد مسيره أرسل الى على قرظة بن كعب الانصارى يخبره ان أصحاب الخريت قتلوا رجلا من الدهاقين كان قد أسلم فبعث الى زياد ان يتبع آثارهم ويطلب منهم من قتل هذا الدهقان ثم يردهم اليه فان أبوا ناجزهم فسار زياد حتى لحقهم

بالمذار فقال زياد للخريت ماالذى نقمت على أمير المؤمنين وعلينا حتى فارقتنا فقال لم أرض صاحبكم اماما ولا سيرتكم سيرة فرأيت ان اعتزل وأكون مع من يدعو الى الشورى فقال له زياد وهل يجتمع الناس على رجل يشبه صاحبك الذى فارقته علما بالله وسنته وكتابه مع قرابته من رسول الله ﷺ وسابقته بالاسلام فقال الخريت لا أقول فى ذلك لا قال زياد ففيم قتلت المسلم الذى قتلته قال لم أقتله انما قتله جماعة من أصحابي قال فادفعهم الينا قال ما الى ذلك سبيل فقاتلهم زياد الى الليل فهرب الخريت ليلا ولما رأى ذلك زياد رجع الى البصرة لمداواة من معه من الجرحى وأرسل الى على بالخبر فارسل الى الخوارج معقل ابن قيس الرياحي في الفين وكتب الى ابن عباس بالبصرة ان يمده بألفين من أهلها عليهم رجل ذو نجدة فسار معقل ولحقه مدد اهل البصرة فوافوا الخوارج قرب جبل من جبال رامهرمز فقاتلوهم حتى قتل من أصحاب معقل نحو السبعين وانهزم الخريت ببعض أصحابه فامر على معقلا ان يتبعه فتبعه حتي أجهز على بقية من معه وقتل الخريت (ثم خرج) على أمير المؤمنين بعد ذلك كثير من الخوارج كلما اطفئت فتنة قامت أخرى (اما) معاوية رضى الله عنه فانه مذ بويع بالخلافة استقام له الامر بالشام وكانوا أحسن جند فى طاعة الامراء فأراد ان يجمع كلمة المسلمين على بيعته كما كان يريد أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه فارسل الى مصر عمرو بن العاص وكان من خبرها ان عليا لما بويع أرسل اليها قيس بن سعد بن عبادة كما قدمنا فبايعه أهلها الا جماعة منهم اعتزلوا بخربتا عليهم يزيد بن الحارث الدلجي أعظموا قتل عثمان ودخل معهم مسلمة بن مخلد فكف عنهم قيس لعلمه انهم ليسوا ممن يخاف شره فلما

علم بذلك أمير المؤمنين كتب اليه يأمره بقتالهم لان معظم النار من مستصغر الشرر فكتب اليه قيس (امابعـد فقد عجبت لامرك تأمرني بقتال قوم كافين عنك مفرغيك لعدوك ومتي حاددناهم ساعدوا عليك عدوك فاطعني ياأمير المؤمنين وا كفف عنهم(فانه الرأي تركهم والسلام) فعزله أمير المؤمنين عنها وولاها محمد بن أبي بكر الصديق فلما جاءها قصد المسجد وخطب أهلها فقال (الحمد لله الذى هدانا واياكم لما اختلف فيه من الحق وبصرنا واياكم كثيراً مما عمي عنه الجاهلون ألا ان أمير المؤمنين ولانى أمركم وعهد الي ماسمعتم وماتوفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب فان يكن ماترون من امارتي وأعمالي طاعة فاحمدوا الله علي ما كان من ذلك فانه هو الهادى وان رأيتم عاملا لى عمل بغير الحق فارفعوه الى وعاتبوني فيه فانى بذلك أسـعد وأنتم جديرون وفقنا الله وإياكم لصالح الاعمال برحمته) ثم نزل وبعـد شهر من مقدمه أرسل الى المعتزلين بخربتا يخيرهم بين الطاعة أو الخروج من مصر فاجابوه انا لانفعل فدعنا حتى ننظر الى مايصير اليه أمرنا فلا تعجل لحربنا فأبي عليهم فامتنعوا وأخذوا حذرهم وكانت حينذاك وقعة صفين فتمت وهم حذرون من محمد فلما حصل التحكيم طمعوا فيه ونابذوه فارسل اليهم سرية لقتالهم فقتلوا رئيسها فأرسل أخرى فقتلوا رئيسها ثم خرج معاوية بن خديج السكوني مطالباً بدم عثمان فلما علم أمير المؤمنين بذلك رأى أن محمداً لا تمكنه المقاومة فولى على مصر الاشتر ابن الحارث النخعي وكتب اليه عهداً جمع فيه سياسة الدنيا وصلاح الآخرة فتوفي في الطريق وشق على محمد بن أبى بكر عزله فأرسل اليه على (أمابعد فقد بلغنى موجدتك من تسريحي الاشتر الى عملك واني لم أفعل ذلك إلا

ازدياداً لك مني فى الجد ولو نزعت ماتحت يدك لوليتك ماهو أيسر عليك مؤنة وأعجب اليك ولاية . ان الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان لنا نصيحاً وعلى عدونا شديداً وقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون فرضى الله عنه وضاعف له الثواب اصبر لعدوك وشمر للحرب وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة واكثر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفك ماأهمك ويعنك على ماولاك) فكتب اليه محمد (أما بعد فقد انتهى الى كتابك وفهمته وليس أحد من الناس أرضى برأى أمير المؤمنين ولا أجهد على عدوه ولا أرأف بوليه مني وقد خرجت فعسكرت وأمنت الناس الا من نصب لنا حربا وأظهر لنا خلافا وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظ له والسلام) فلما كانت سنة ثمان وثلاثين أرسل معاوية عمرو بن العاص في ستة آلاف فسار حتى نزل أدانى مصر فجاءه من خالف على محمد ابن أبي بكر وطالب بدم عثمان فاجتمع بهم وكتب الى محمد (أما بعد فتنح عنى بدمك يا ابن أبى بكر فانى لا أحب أن يصيبك منى ظفر . ان الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم مسلموك فاخرج منها انى لك من الناصحين) فكتب محمد الى على بالخبر واستمده فأرسل اليه أن يضم شيعته اليه ويأمره بالصبر ويعده بانفاذ الجيوش اليه فقام محمد في الناس وندبهم الى الخروج معه فانتدب له الفان أمر عليهم كنانة بن بشر فسيرهم أمامه وتوجه هو بالفين لقتال عمرو فلما التحم كنانة بجيوش الشام ومعهم معاوية بن خديج من أهل مصر انهزم المصريون وقتل كنانة فلما سمع بذلك من مع محمد تفرقوا عنه فاختفى أما عمرو فانه سار حتى نزل الفسطاط وخرج معاوية بن خديج يطلب

محمد بن أبي بكر حتى التقى به فقتله ولما بلغ قتله أم المؤمنين عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً وضمت اليها أولاده . وبقتل محمد صارت مصر في طاعة معاوية بن أبي سفيان وبايع له أهلها أما المدد الذى أرسله أمير المؤمنين لمساعدة محمد بن أبي بكر فانه بلغهم وهم في الطريق قتله فرجعوا (وبعد) ان تم لمعاوية أمر مصر سير الى البصرة عبد الله بن الحضرمى وكان عليها اذ ذاك زياد بن أبي سفيان خليفة لابن عباس فاجتمع الى ابن الحضرمى جمع كثير من بنى تميم كانوا يطالبون بدم عثمان فطلب منهم المساعدة فقام اليه الضحاك ابن قيس وكان على شرطة ابن عباس فقال له قبح الله ماجئتنا به وما تدعونا اليه نحن الآن مجتمعون على بيعة على وقد أقال العثرة وعفا عن المسيء افتأمرنا أن ننتضي أسيافنا ويضرب بعضنا بعضاً ليكون معاوية أميراً فقام عبد الله بن خازم السلمى وقال للضحاك اسكت فاست بأهل لان تتكلم وقال لعبد الله نحن أنصارك ويدك والقول قولك فلما رأي ذلك زياد استجار بالازد فأجاروه هو وبيت ماله وأرسل الى على بالخبر فبعث اليه أعين بن ضبيعة المجاشعي التميمى ليفرق تميما عن ابن الحضرمى فقتل غيلة فلما بلغ ذلك علياً أرسل جارية بن قدامة السعدى فسار الى البصرة وخطب الازد وجزاهم عن أمير المؤمنين خيراً وقرأ على أهل البصرة كتاب على يهددهم ويتوعدهم فيه بحرب اشد من وقعة الجمل فأجابه اكثر اهل البصرة فسار الى ابن الحضرمي وقاتله هو ومن معه حتى هزمه فتبعوه حتي قتل (ثم صار) معاوية يوجه السرايا الى بلاد امير المؤمنين ليدخلها في طاعته وسير يزيد بن شجرة الى مكة ليحج بالناس ويبايع اهلها على طاعته وكان واليها من قبل على قثم بن

العباس وليس عنده قوة يقاتل بها فلم يقدم على القتال فأما شجرة فأمن الناس إلا من قاتل وارسل الى ابي سعيد الخدرى يخبره ان يأمر قثم الا يصلي بالناس ولا يصلي ايضاً شجرة ويختار الناس من يصلي فاختاروا شيبة ابن عثمان فصلى بهم وتم الحج بسلام ولم يحصل الحاد فى الحرم حذراً من وعيده تعالى في قوله (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) وصارت السرايا بعد ذلك تتردد من الجهتين وكل يريد جمع الكلمة فلم يتيسر ذلك لاحدهما ولكن الحجاز واليمن دخل اهلوهما في طاعة معاوية حينما سير اليهما يسر بن ارطاة العامرى فلم يعد مستمسكا ببيعة اميرالمؤمنين إلا العراق وما والاها من بلاد فارس وكلها نار تضطرم بالخلاف والشقاق فريق شيعة لعلي وآخرون خوارج لايريدون عليا ولا معاوية وفريق منافق يظهر طاعة علي ويخفي عداءه فلهم امير المؤمنين وسئم إمارته عليهم حتى خاطبهم بذلك في كثير من خطبه . وفي السنة الاربعين من الهجرة النبوية اراحه الله من هذا الشقاق المتتابع والخلاف المستعصي فضمه الى اخوانه من الشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً وسبب ذلك انه اجتمع ثلاثة من الخوارج وتذاكروا ماحل باخوانهم من الخوارج وكرهوا المقام بعدهم فاتفقوا على ان يذهب احدهم وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادى الى الكوفة فيقتل عليا ويذهب الثاني وهو البرك بن عبد الله التميمي الى الشام فيقتل معاوية ويذهب ثالثهم وهو عمرو بن بكر التميمى الى مصر فيقتل عمرو بن العاص واتعدوا بينهم ليلة ينفذون فيها ما اتفقوا عليه فاما البرك فذهب الي معاوية وانتظره في صلاة الصبح فضربه بالسيف فوقع في اليته ولم يمته فامر

به معاوية فقتل واما عمرو بن بكر فذهب الى عمرو ولحسن حظه لم يخرج الى الصلاة في ذلك اليوم لمرضه فكان يصلى بالناس خارجة بن حبيب. السهمى فضربه الخارجي فقتله ظنا منه انه عمرو فخاب ظنه وقبض عليه فقتل. واما عبد الرحمن بن ملجم فقصد الكوفة وانتظر امير المؤمنين في صبح الليلة التي اتعد فيها الخوارج وهي ليلة الجمعة لسبع عشر خلون من رمضان فبينما امير المؤمنين ينادى الناس الصلاة الصلاة إذ ضربه هذا الشقي بسيفه قائلا الحكم لله لا لك يا على ولا لاصحابك فقال على لا يفوتنكم الرجل فشد عليه الناس واخذوه وقدم جعدة بن هبيرة يصلى بالناس الصبح ثم قال رضى الله عنه النفس بالنفس ان هلكت فاقتلوه كما قتلنى وان بقيت رايت فيه رأيى يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قتل امير المؤمنين ألا لا يقتلن إلا قاتلي انظر ياحسن ان أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثلن بالرجل فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول (إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) ودخل جندب بن عبد الله فقال يا أمير المؤمنين ان فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن فقال ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما (أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تبكيا على شيء أزوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضائع واصنعا للاخرى وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما فى الله لومة لائم) ثم نظر الى محمد الاكبر بن. الحنفية فقال له هل حفظت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال فانى أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك العظيم حقهما عليك وتزين أمرهما ولا تقطع

أمراً دونهما ثم قال للحسن والحسين أوصيكما به فانه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه وقال للحسن أوصيك أى بنى بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء فانه لاصلاة الابطهور وأوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه فى الدين والتثبت في الأمر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش ثم لم يزل يذكر الله حتى مات رضى الله عنه فغسله ولداه الحسن والحسين وابن أخيه عبد الله بن جعفر وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات . مكث رضى الله عنه فى الخلافة أربع سنين وسبعة أشهر وأياماً أراد الله فيها أن يذيق الامة كأس الضر من الاختلاف عليه لتكون قد ذاقت الامرين السراء والضراء والاخوة والشقاق فتختار لنفسها مابوفقها الله له وقد كان الله سبحانه وتعالى يعلم الامة المحمدية فى عصر رسول الله ﷺ بعقاب يعجله جزاء على أعمال لتحذير الامة من العودة لها كما عاقب بالهزيمة فى غزوة أحد اذ فشل المسلمون وتنازعوا في الامر وعصوا الرسول فلم يعد المسلمون بعد ذلك لشىء من هذه الثلاث لعلمهم بانه يبعدهم عن الله جل ذكره وماداموا كذلك فنصره بعيد عنهم وكذلك فى هذه الواقعة أراد الله أن يعاقبهم على مافعله بعضهم في خليفتهم الذى بايعوه وتعهدوا بطاعته ثم نكثوا بيعته وقتلوه ظلما فعاقبهم الله بهذا العقاب الشديد وأوقع بأسهم بينهم حتى لا يعودوا لتفريق كلمتهم وشق عصا أمتهم ، نسأل الله التوفيق

ولما استشهد على رضى الله عنه بايع أهل الكوفة ابنه الحسن وأول

من بايعه قيس بن سعد بن عبادة قال له ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال المحلين فقال الحسن على كتاب الله وسنة نبيه فانهما يأتيان على كل شرط فبايعه الناس على ذلك

الحسن

هو الحسن بن على بن أبى طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ولد بالمدينة المنورة فى السنة الثالثة من الهجرة وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ وكان عليه السلام يحبه حبا شديدا هو وأخوه الحسين وقال في حق الحسن (اللهم اني أحبه فاحبه واحبب من يحبه) وقال فيه كما رواه البخارى فى صحيحه (ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين) ولم يحضر غزوات رسول الله ﷺ لصغر سنه فقد توفي عليه السلام وقد جاوز سبع السنين ولما فرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه العطاء أدخل الحسن في أهل بدر لمكانه من رسول الله ﷺ وكان ممن دافع عن عثمان وابلى في ذلك بلاء حسناً حتى نهاه عثمان رضى الله عنه ولما بويع أمير المؤمنين على كان الحسن معه في جميع مشاهده ولما قتل على رضي الله عنه أجمعت شيعة أبيه على بيعته وله كثير من الاولاد من أمهات شتى لم يعقب منهم الا ابناه الحسن المثنى وزيد

أعماله فى خلافته

لما بويع رضى الله عنه وكان أبوه قد جهز جيشاً لحرب أهل الشام أمر الحسن بخروج هذا الجيش لتتميم ماقد عزم عليه أبوه وسير قيس بن

سعد طليعة له وليحقق الله سبحانه للحسن ما اخبر به رسول الله ﷺ ألهمه الرشد فنظر الى بيعته فرآها ليست كبيعة أبيه فانها ليست عامة ولكنها قاصرة على شيعتهم من أهل العراق ورأى من جهة أخرى ان جند العراق لاتقوم به دولة لما هو بينهم دائما من الشقاق والنزاع والتطلع الى ما ليس لهم حتى نازعوه بساطا كان يجلس عليه فراسل معاوية بن ابي سفيان يبذل له الصلح ويشترط عليه شروطا فارسل له بصك مختوم ليس فيه كتابة وطلب منه ان يشترط لنفسه فيها ما شاء فكتب فيها الحسن شروطا أهمها تأمين جيشه وشيعة على كلهم فقبلها معاوية وقدم الى العراق فقابله الحسن بجيشه وبايعه بالخلافة هو وجنده وبهذا صدق رسول الله ﷺ في قوله (ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين) وبتسليمه رضى الله عنه انقضى الدور الثانى من دولة الخلفاء الراشدين وهو دور الفتن والشقاق وكان مبدؤه من قيام الثوار على عثمان رضي الله عنه ونهايته تسليم الحسن الخلافة لمعاوية . فتن دامت عشر سنين لو كانت في أمة أخرى لهدت أركانها وقوضت بنيانها ولكن الله نظر الى دينه القويم بعين عنايته فألف كلمة أهله وحفظه كما وعد وكنت أود ان اجعل خاتمة الكتاب خلافة امير المؤمنين معاوية بن ابى سفيان ولكن منعنى من ذلك مامنع العلامة عبد الرحمن بن خلدون حيث قاله في خاتمة الجزء الثاني من تاريخه (وقد كان ينبغي ان تلحق دولة معاوية واخباره بدولة الخلفاء واخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة ولا ينظر في ذلك الى حديث الخلافة بعدى ثلاثون سنة فانه لم يصح والحق ان معاوية في عداد الخلفاء

وانما اخره المؤرخون عنهم لأمرين (الاول) ان الخلافة لعهده كانت مغالبة لاجل ماقدمناه من العصبية التى حدثت لعصره وأما قبل ذلك فكانت اختيارا واجتماعا فميزوا بين الحالتين فكأن معاوية اول خلفاء المغالبة والعصبية الذين يعبر عنهم أهل الأهواء بالملوك ويشبهون بعضهم ببعض وحاشا لله ان يشبه معاوية بأحد من بعده فهو من الخلفاء الراشدين ومن كان تلوه في الدين والفضل من الخلفاء المروانية ممن تلاه في المرتبة كذلك وكذلك من بعدهم من خلفاء بنى العباس ولا يقال ان الملك أدون رتبة من الخلافة فكيف يكون خليفة ملكا (واعلم) ان الملك الذى يخالف بل ينافى الخلافة هو الجبروتية المعبر عنها بالكسروية التى أنكرها عمر على معاوية حينما رأى ظواهرها واما الملك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة فلا ينافي الخلافة ولا النبوة فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات الله عليهما نبيين وملكين وكانا على غاية الاستقامة في دنياهما وعلى طاعة ربهما عزوجل ومعاوية لم يطلب الملك ولا أبهته للاستكثار من الدنيا وانما ساقه أمر العصبية بطبعها لما استولى المسلمون على الدول كلها وكان هو خليفتهم فدعاهم بما يدعو الملوك اليه قومهم عند ماتستفحل العصبية وتدعو لطبيعة الملك وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده اذ دعتهم ضرورة الملك الى استفحال أحكامه ودواعيه والقانون فى ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الاخبار لا الواهى فمن جرت أفعاله عليها فهو خليفة النبي ﷺ فى المسلمين ومن خرجت أفعاله عن ذلك فهو من ملوك الدنيا وانما سمي خليفة بالمجاز (الامر) الثانى فى ذكر معاوية مع خلفاء بنى أمية دون الخلفاء الاربعة انهم كانوا أهل نسب

واحد وعظيمهم معاوية فجعل مع أهل نسبه والخلفاء الاولون مختلفو الانساب فجعلوا في نمط واحد والحق بهم عثمان وان كان من أهل هذا النسب للحوق بهم قريباً فى الفضل والله يحشرنا في زمرتهم ويرحمنا بالاقتداء بهم وقد أفردنا نحن لبنى امية وخلفائهم واخبار دولتهم فى الشام والاندلس كتابا نفيساً سميناه (الفتوحات الاسلامية فى عهد الدولة الاموية فى الشرق والاندلس)

الخاتمة

لما كنا قد التزمنا ان نتبع كل دور بنتيجة ماحصل فيه رأينا ان نوفى هنا ماوعدنا به من ذلك فنقول ان لهذا الشقاق الذى حصل والخلاف الذى ألم سببا واحداً به انصدع الحبل وتشتت الشمل وهو قتل عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله عنه . نقم عليه الناس اذ ذاك أموراً فعلها فقاموا عليه وحصروه في داره ولم يقبلوا منه الا ان يخلع نفسه ويدعوه مستندين على كتاب افتعل وادعى انه من عثمان الى عامله بمصر يأمره فيه بقتل بعضهم وجلد آخرين فلما امتنع من خلع نفسه قتلوه في داره فى عاصمة الاسلام ومدينة النبي عليه الصلاة والسلام البلد الذى يأمن فيه الجاني ويلوذ به الآثم ولم يرعوا لرسول الله ﷺ حرمة ولا لخليفته عهداً . انقسم الناس فيه على ثلاثة أقسام منهم الناكث لبيعته وهم الزعانف الذين لم تستنر بصائرهم بصحبة رسول الله ﷺ ومنهم المقيم على ولائه الذاب عنه وهم أكثر الامة وغالب أصحاب رسول الله ﷺ فى أمصار المسلمين ومنهم المقيم على الحياد لاينصره ولا يخذله فأما

الاولون فقد خالفوا سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد قدمنا لك في صدر كتابنا هذا ماقاله عليه السلام في الخروج عن طاعة الامام ولم يجعل لها سبباً الا الكفر البواح وهو الظاهر الصريح الذى لا تأويل فيه ولم يقل بذلك أحد منهم ولا التفات الى الغلاة الذين صرحوا بذلك فان كلامهم مردود عليهم من جميع الامة حتى الشيعة والذي نقموه عليه هو أمور لا تخرج عن حد الشرع وقد قدمناها لك اما الذين أقاموا على ولائه فنهم المقيم بالمدينة وهؤلاء غلبوا عليها فلم يتمكنوا من المقاومة والذين قاوموا أوذوا فقتل بعضهم وجرح كثير منهم ومنهم المقيم بالامصار وهؤلاء خرجوا لنصرته حينما بلغتهم الاخبار فلم يصلوها الا وقد قضى الامر واما الذين كانوا على الحياد فلم يكونوا يظنون ان الامر يصل الى القتل لانهم رأوا ان عثمان قد صار أسيرا في أيديهم وليس من العادة قتل الاسرى ولو كانوا كفارا وحاشا لله ان نظن ان عليا والزبير وطلحة كانوا يظنون ان قصد الثائرين قتل عثمان ثم لا يدافعون بأنفسهم عنه حتى يهلكوا أو يخاصموه . أراد الله ما أراد ولا راد لقضائه قتل عثمان فافترقت الامة اذ ليس هذا بالامر الهين حتى يقابل بالغض : فريق ناقم على قتلته ويود قبل كل شيء اقامة حد الله والقصاص من قاتليه ثم يجتمع رجال الحل والعقد من الامة فينتخبون بدله ومن هؤلاء عامة عشيرة عثمان ورأسهم وكبيرهم معاوية بن أبي سفيان أمير الشام وكثير غيره من الصحابة كطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة وعمرو بن العاص وغيرهم رضى الله عنهم وفريق رأوا ان الاولى بالمسلمين ان يبدؤا باقامة خليفة لهم ثم هو ينفذ حكم الله في القاتلين بعد ان تهدأ الاحوال ولا يتعسر أمر القصاص وتجتمع جنود المسلمين

للقدرة على الثائرين ومن هؤلاء على بن أبي طالب وكثير من أصحاب رسول الله ﷺ والفريق الثالث قتلة عثمان يرون بالطبع انهم أصابوا فيما صنعوا ولا يستحقون قصاصاً . قام المسلمون بالمدينة وفيهم كثير من أصحاب رسول الله ﷺ وبايعوا عليا ليكون خليفة لهم فامتنع من بيعته كل من ليس على رأيه وقاموا يدعون المسلمين للأخذ بناصرهم حتى يقيموا حد الله فيمن قتل عثمان فتوجه الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة الى البصرة للاستعانة بأهلها على القصاص فوافقهم جماعة وخالفهم آخرون فعدوا من خالفهم عاصياً مانعاً من اقامة حد الله وأصابوا بعضاً من قتلة عثمان فقتلوهم . اما أمير المؤمنين فعدهم خارجين عن طاعته لانه رأى ان بيعته تمت بمن حضرها فازمت من لم يحضرها فتوجه اليهم وحاربهم حتى دخلوا فى طاعته بعد قتل رؤسائهم وارجع أم المؤمنين الى بيتها ثم عزم على حرب معاوية ومن رأى رأيه ان لم يدخلوا في طاعته وكيف يطيعون وقد رزئوا بقتل شيخهم وأمير المؤمنين والقصاص من قتلته أهم الاشياء عندهم فكيف يتركونه أو يؤجلونه وعدوا ذلك عصيانا لله سبحانه وتعالى وتعطيلا لحدوده ويتهموا عليا بالهوادة في نصر الخليفة وايواء قتلته فى جيشه فلما حاربهم حاربوه وظل السيف يعمل في رقاب المسلمين فلما رأى ذلك معاوية وأصحابه أشاروا على أمير المؤمنين بتحكيم كتاب الله بينهم فقبل ذلك حينما رأى أكثر جيشه راضين به فحكم كل فريق رجلا فهذان الحكمان لم يوفقا للاصلاح بين هاتين الطائفتين العظيمتين ولكنهما اختارا فى صحيفتهما خلع على ومعاوية ويختار المسلمون لانفسهم من شاؤا فعرض كل منهما شخصا فلم يقبل أحدهما ماعرضه الآخر فافترقا على ذلك .

أنتج هـذا التحكيم عند معاوية بن أبي سفيان أملا عظيما في تولى خلافة المسلمين حيث بايعه بها كثير من اصحاب رسول الله ﷺ لاعتقادهم فيه الكفاية وحسن السياسة وانتج في جيش علي الافتراق والشطط ففريق عده كفرا وضلالة زاعمين ان لاحكم الا لله وهذا تحكيم للرجال في أمر الله وفريق استحسنه فعادى كل فريق الآخر واعتزل من قبحوا التحكيم عليا فشغل بهم وحاربهم مرارا فقتل كثيرا منهم ونجا آخرون تأصل فيهم مذهب الخروج على خلفائهم زاعمين الا يصلح لها الا رجل يدين بمعتقدهم فشغلوا الخلفاء حيناً من الدهر والهوهم في كثير من الاوقات عن جهاد الاعداء اما شيعة علي رضي الله عنه فانهم رأوا فعل معاوية وطلبه للخلافة أمرا أمرا لانهم وزنوه بعلي فرأوه مرجوحا فارادوا اعادة الكرة على الشام ولكن الاجل المقدور قضي على حياة أمير المؤمنين فقضى نحبه ولحق بربه وجاء السيد ابن السيد فاصلح بين المؤمنين ووحد الكلمة وازال الفرقة ولكن الصدور لم تزل تكمن مافيها فشيعة علي لاتزال ترى هذا الامر في أولاده يطلبونه متى سنحت لهم الفرصة وصارت لهم مذاهب ونحل قد يعجز القلم عن استقصائها والخوارج لاتزال ترى التحكيم ضلالة ولا ترى البيعة الا شورى ولا ينتخب الا رجل على مذهبهم ومعتقدهم وتفرقوا شيعا كل له مذهب يتبعه وسنأتي عليها في كتابنا في أخبار الدولة الاموية ان شاء الله ولا يخفى ان كلا من علي ومعاوية رضي الله عنهما كان يظن في الآخر الخطأ ومخالفة السنة والا لما جازله قتاله حتى كان أمير المؤمنين علي يدعو على معاوية في صلاته وكذلك كان يفعل معاوية (واما أخبار اللعن فمن أكاذيب التاريخ

لأنه لم يقل أحد المتخاصمين بكفر الآخر حتى يجوز له لعنه بل يعتقد انه مؤمن ولكن عاص وناهيك بما قاله أمير المؤمنين على عن قتلى الفريقين فى وقعة صفين والجمل وقال العلامة ابن كثير فى تاريخه ان خبر اللعن لم يصح) والعجب بعد ذلك ممن يأتى بعدهم وهو لايعرف إلا القليل مما حصل لهم ثم هو يتشيع لأحد الفريقين ويبغض الآخر وهذا ليس من الدين فى شيء فأولئك قوم اختلفوا في الرأي ولم يتبعوا الهوى بل أرادوا الله بأعمالهم وهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين تلقوا عنه الدين مباشرة ونقلوه الينا وقد أجمع المسلمون على توثيقهم وعدالتهم فالخوض بعد ذلك في تضليل بعضهم مما لا يرضى به الله ولا رسول الله ﷺ والأولى للمسلمين أن يعرفوا ان ماحصل في زمنهم من الخلاف والفرقة أمران لا ينبغي عملهما فيتجنبوهما ويتخذون ذلك درساً فى أحوالهم وسياسة دنياهم بدل أن يشغلوا أنفسهم بما لاطائل تحته من تفضيل أحد الأخوين على الآخر وتضليل الثانى منهما. فالله الله فى أصحاب رسول الله ﷺ فلو أنفق أحدكم يا قوم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه بشهادة نبيكم ﷺ واياكم ودجالين وكذابين من المؤرخين قضت عليهم ظروف زمنهم أن يقلبوا الحقائق ويكذبوا على الله وعلى الامة الاسلامية فينسبون القبائح لاصحاب رسول الله ﷺ واشغلوا أنفسكم بتحسين حالكم وطاعة ربكم وها أنا قد نقلت لكم هذا التاريخ الصغير من أوثق المصادر التى تعتقدون بصحتها فليس بعد كتاب الله سبحانه وتعالى كتاب أوثق من صحيح الامام البخاري وصحيح الامام مسلم اللذين نقلنا عنهما كثيراً من أمهات المسائل وبعضاً من الأحاديث التى يدخل تحتها

معظم الأمور التي منيت الأمة بها وليس على الله بعزيز أن يؤلف كلمة الأمة ويلم شعثها ويوفقها لما فيه رضاه بمنه وكرمه أسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وجميع المسلمين الى ذلك انه على ما يشاء قدير

قال مؤلفه كان الفراغ من تأليفه خامس رمضان من سنة ١٣١٦ بمدينة المنصورة



فهرس الكتاب

